الأدب الإسلامي

١٠٥

مجلة فصلية تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية - العدد (١٠٥) ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م

دور الأدب القصصي في تربية الأطفال وجهود أبي الحسن الندوي فيه

د. شفيق أحمد خان الندوي

دراسة لمجموعة المسرحيات القصيرة "من عبق التراث" للأديبة نوال مهني

د. صابر عبدالدايم

مقاربة أنثروبولوجية للأمثال العربية

د. آمنة بن منصور

لقاء العدد: مع الأستاذة الدكتورة بدرية بنت عبد الله المعتاز

حوار: منيرة السيف

الاغتراب في شعر حسن الأمراني

د. فريد أمعضشو

بسم الله الرحمن الرحيم

زمن الرواية

شاعت مقولة «زمن الرواية» وزعم زاعمون أنها هي «ديوان العرب المعاصر»، بدلاً من الشعر الذي كان ديوانهم في القديم، كما عبر عن ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وغيره.

والحق أن هذه مقولة خطيرة، فهي تحاول أن تنفي جنساً أدبياً رئيساً في ثقافتنا العربية الإسلامية، وهو «الشعر»، أو تقلل من شأنه على الأقل.

لقد كان الشعر دائماً هو أصل ثقافتنا، وهو مصدر اللغة، ووعاء الحضارة، ومستودع التاريخ، وهو الذي تجنَّد في المعركة بين الإيمان والكفر.

ومع تقديرنا البالغ لمنزلة الرواية، وعظم تأثيرها في العصر الحديث؛ إلا أنها – في ثقافتنا – فنٌّ غير تليد، وتكاد تكون – فيما آلت إليه من تقانات فنية، بل من تقانات مضمونية في كثير من الأحيان – فناً غربياً مستورداً، فهي إذن – على أهميتها – ليست أصلاً أصيلاً في ثقافتنا العربية الإسلامية كالشعر.

والحق أن مقولة «زمن الرواية» – كما لاحظ الدكتور محمد عبد المطلب بحق– نوع من ترسيخ سلطة ثقافية معينة، إذ «إن إخراج الشعر من دائرة السلطة الثقافية قد وازاه السعي لإعلاء أجناس أدبية أخرى على حساب الشعر، والعمل على صياغة جمل ثقافية بديلة لترسيخ هذا الاستعلاء، وبخاصة جملة «زمن الرواية»، ومع احترامنا وتقديرنا للرواية فإنها لا تمتلك العمق التراثي الذي للشعر، ومن ثَمَّ فإن تدخلها في تشكيل الذاكرة العربية جاء في مرحلة متأخرة، وفي تصورنا أن هذا التدخل قد خلص للوقائع والأحداث والشخوص والتصورات، بينما ظل الجوهر الداخلي للإنسان من اختصاص الشعر دون شريك»(١).

تزاحم الرواية الشعر في أدبنا الحديث، ويروج لها نقد مصنوع من النقد الغربي، ولكنها – ولاسيما عندما تحتذي ثقافة الآخر المختلف عنا حضارياً– لن تسهم في التأصيل لذاكرة أصيلة في حضارتنا.

مدير التحرير

---

(١) «من سلطة الثقافة إلى ثقافة السلطة»، مجلة الضاد، اتحاد كتاب مصر، العدد (٣)، ٢٠٠٦م، ص٤٧.

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٧) العدد (١٠٥)
ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٤١هـ
كانون الثاني (يناير) - آذار (مارس) ٢٠٢٠م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٠٠٩٦٦١١٤٦٢٧٤٨٢
٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٦ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أو ما يعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

سالم بن رزيق بن عوض

د.عمر محمود الراوي

د.محمد عباس عرابي

د.حسن الأمراني

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره.
- تنشر موضوعات المجلة في حلقة واحدة.
- تكتب الموضوعات المرسلة على الحاسوب مع ضبط الشعر، ولا يزيد حجم المقال على عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لا ينشر لا يعاد إلى صاحبه.
- ترسل صورة غلاف الكتاب، موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصّاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات

■ **الافتتاحية:**
- زمن الرواية — مدير التحرير — ١
- الاغتراب في شعر حسن الأمراني — د. فريد أمعضشو — ٤
- دراسة لمجموعة المسرحيات القصيرة "من عبق التراث" للأديبة نوال مهني — د. صابر عبد الدايم — ١٦
- دور الأدب القصصي في تربية الأطفال وجهود أبي الحسن الندوي فيه — د. شفيق أحمد خان الندوي — ٣٤
- مقاربة أنثروبولوجية للأمثال العربية القديمة — د. آمنة بن منصور — ٥٦
- أول الذكرى مع الشيخ محمد سعيد الطنطاوي رحمه الله — د.عمر بن عبدالله بن طالب — ٧٢
- بناء المكان في قصص العدد (٩٧) من مجلة الأدب الإسلامي — د.محمد عباس عرابي — ٧٦

■ **الورقة الأخيرة:**
- أين نصيب المراهق من الإبداع الأدبي!؟ — عمر فتال — ١١٢

نصوص إبداعية

- صمودي – شعر — سالم بن رزيق بن عوض — ١٥
- وصية أم – خاطرة — رفاه أحمد مهندس — ٢٤
- طلع الفجر – شعر — رمضان عبد الله إبراهيم — ٣٢
- وأخيرا ملك القلبين معاً – قصة — د.عبد الله رمضاني — ٤٠
- يا شَعْرَها – شعر — د.أحمد محمد كنعان — ٥١
- سوق القبعات – قصة — د.شميسة غربي — ٥٢
- الحب – قصة — د.عمر محمود الراوي — ٧٠
- لا شيء كالإحسان – شعر — محمد مصطفى البلخي — ٧٥
- نظرة أخرى – قصة — عبد الحميد ضحا — ٧٩
- جزاء الأمين – مسرحية — محمود محمد كحيلة — ٨٠
- تأملات مغترب – شعر — خلف محمد كمال — ٨٣
- رحلة بالقطار – قصة — غياث الإسلام الصديقي الندوي — ٨٤
- ريحٌ على شرفةِ النسيان – شعر — أشرف قاسم — ٩٩
- الفُرص الضَّائعة – قصة — محمد عبد الشافي القوصي — ٩٢
- ناجيت طيفك – شعر — مصطفى قاسم عباس — ٩٤
- يا قدساه – شعر — خالد برادة — ٩٨
- شهيد – شعر — عبد الرحيم الماسخ — ٩٩
- مطيع والغشّاش – خاطرة — رامي أحمد ذو الغنى — ١٠٠
- بوح أخضر – شعر — حسين حسن التلسيني — ١٠١

الأبواب الثابتة

■ **لقاء العدد:**
- مع الأستاذة الدكتورة بدرية بنت عبد الله المعتاز — حوار: منيرة السيف — ٢٨

■ **تراث الأدب الإسلامي:**
- ذكر من اختار الوطن على الثروة — إبراهيم بن محمد البيهقي — ٥٠

■ **رسالة جامعية:**
- شعر المديح في ضوء منهج الأدب الإسلامي — إعداد الطالبة: عائشة بنت صالح بن فيحان الشمري — ٨٦

■ **مكتبة الأدب الإسلامي:**
- العلامة الشريف محمد واضح رشيد الحسني الندوي حياته وفكره وأعماله للدكتور محمد أكرم الندوي — عرض: د. حسن الأمراني — ٩٦

■ **أخبار الأدب الإسلامي:** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٢

الاغترابُ في شعر حسن الأمراني

يسهُل على مَنْ له إلمامٌ بعالم الشعر المغربي المعاصر، والعربي بصفة عامة، التنبُّه إلى أن ثمة معانيَ وموضوعات معينة تحضر فيه بكثافة، لعدة اعتبارات ذاتية وموضوعية؛ ومنها تجربة الغربة والاغتراب وما يرتبط بها من معاني الضياع والحزن والألم والمقاساة، ولا سيما حين تعاش داخل الذات في بُعدَيْها الفردي والجماعي.

د.فريد أمعضشو – المغرب

ويعد د.حسن الأمراني من بين كبار شعرائنا المُحْدَثين الذين عبّروا، في كثير من قصيدهم، عن هذا الاغتراب الذي أمْلَتْه بواعث عدة، وتَخِذ صوراً شتّى. والرجلُ، كما هو معروف، واحدٌ من أعمدة القصيدة المغربية المعاصرة وفرسانها المبرّزين، بدأت علاقته بالشعر قبل أزيد من أربعة عقود، وخَبَر دروب الشعر العربي قديمِه وحديثِه، دون أن يُغفِل الانفتاح على الشعر الغربي، وتضم مكتبته الشعرية، الآن، دواوينَ ومجاميعَ شعرية كثيرة جعلته واحداً من أكثر الشعراء المغاربة المعاصرين إنتاجاً.

ويعد الأمراني في نظر كثير من نقادنا المعاصرين، قطباً من أقطاب الأدب الإسلامي في بلاد المغرب إلى جانب صديقيْه: محمد علي الرباوي، ومحمد بنعمارة –رحمه الله تعالى.

وتسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضياء على تجربة الغُربة لدى شاعرنا الأمراني، من خلال الوقوف عند بواعثها وتجلياتها ومخلّفاتها ونحْو ذلك مما له صلة بها. وسبيلُنا إلى ذلك قراءة أشعار الرجل ومُدارَستها وتحليلها وتفسيرها للاستدلال على ما ذُكِر وتوضيحه.

لقد اكتوى الشاعر حسن الأمراني بلهيب الغربة والمعاناة داخل وطنه، لأنه لم يستطع أن يكيّف نفسَه المُرهفة مع وطنه المتخلف على مختلِف الواجهات، يقول[1]:

... نارُ البدايَةِ فوْقَ احْتِمالي
وفوقَ ظُنُوني
تُجَرْجِرُني غرْبَةُ الرّوح نحْو انْشِطاري
وتَرْمي شَظايا دَمي للمَسافاتِ

ويعبّر الأمراني في النص المُوالي عن تشرُّده وتغرُّبه الذاتي داخل وطنه الذي طالما اعتزّ بانتمائه إليه. ويبدو مَظْهَرياً أنه قد أسْند الخطاب إلى مخاطَبٍ آخرَ، ولكنه في العُمق يَقصد به ذاته العاشقة التي أجْبَرَتها ظروفٌ قاهرة على تحمُّل مشاقّ الغربة داخل بلدها. يقول[2]:

شَرَّدَتْكَ البلادُ الحَبيبَةُ
واحْتضَنَتْكَ المَنافي.
أيُّها العاشِقُ المُتغَرِّبُ في الذاتِ
أو في البلادِ العَريضَةِ
قدْ شرَّدَتْك الحُروفُ

د. حسن الأمراني

وأسْلمَكَ الأهْلُ للّيْل
غَرَّبَكَ العِشقُ واحْتَضَنَتْك السُّجونْ.

وعادةً ما يلازم الحزن الغربة في شعر الأمراني؛ فتسُود فيه المَشاعر الأسْيانة، وقهقهات البُكاء والأنين، ومظاهر القلق والمعاناة. يقول الشاعر[3]:

تغَرَّبْتُ
فأدْرَكني عُصْفورُ الحُزْنِ الوَرْدِيُّ
تذكَّرْتُ وَصاياكَ العَشْرَ
بَكَيْتُ على زَمَنٍ لمْ أدْخُل فيه إليْكِ
ولمْ أمْسَحْ ظَهْرَ جَبيني
في أعْتابِك،
كانَ الخَوْفُ يُساكِنُني
والقلقُ الأخْرَسُ
والدَّيْدانُ الأخْرى
وانْفرَطَتْ حَبّاتُ الكَلِماتْ.

وفي دواوين الأمراني ومجموعاته الشعرية القيّمة قصائدُ عديدة جمع فيها الشاعر بين تصوير واقع الغربة والتعبير عن قلبه المَكلوم الذي ينفطر حزناً وأسىً على ما آلَ إليه حالُ مجتمعه وأمّته من تخلف وتقهقر واضحيْن في مختلِف الميادين الحيويّة.

إن غياب شمس الحرية في شتى أنحاء أمته، وتنامي درجة قمْع المواطنين، والإجهاز على حقوقهم بغير حقّ، من الدوافع المباشرة التي تفسّر غربة الأمراني وتبرُّمَه من واقعه المَعيش. يقول الشاعر مستهلاً كلامَه بأسلوب المُفارَقة[٤]:

لا تسْألوا عنّا، فنحْنُ بألْف خَيْر،
ليْس يُعْوِزُنا سِوى أنْ ترْفَعُوا عنّا وصايَتكُمْ
أيَاديكُمْ
لنَغْدُوَ مِثلما الأسْماكُ تسْبَحُ في مُحيطاتٍ
بغيْر مَدىً
لتعْبُرَ هذه الأطْيارُ بحْرَ المَوْت والظُّلماتِ
نحْوَ الفَجْرِ

ويزداد شعور الأمراني بالغربة والمعاناة في كنَف وطنه، وأمتِه ككلّ، كلما تزايَدَت الضغوطُ على أبناء هذا الوطن مستهدِفةً سلْبَهم حريتَهم، وحمْلهم على الخُنوع... ويظل الإنسان متَّهماً ومضطهَداً في بلده إلى حين إعْلانه التنازلَ عن حُرّيته، والخُضوع لإرادة الآخر. يقول الأمراني[٥]:

أنتَ إنْ غَنَّيْتَ مُتّهَمٌ
ومُتهَمٌ إذا ألْجَمْتَ
متهَمٌ وقفْتَ أو انْطلَقتَ
صرَخْتَ أو أعْلَنْتَ موْتكَ – قبْل مَوتِكَ – مُتَّهمٌ

حتى تقولَ: نعَمْ.. نَعَمْ!

يبدو –ظاهرياً– أن الشاعر يخاطب شخصاً آخر، ولكنه –في الحقيقة– إنما يوجّه الكلامَ إلى ذاته المغتربة التي تنفطر حزناً وألماً على واقِعها الكئيب. وكثيراً ما استند إلى قصص القرآن ومعانيه لتصوير حالته الأليمة، ولحَمْل ذاته على الفَأل والجَلَد. يقول مقتبساً من سورة يوسف المكّية[٦]:

يا صاحِبَيْ سِجْني، نِداءُ المَوْتِ مُنْتشِرٌ
وهذا الليلُ مُعْتكِرٌ
وصَوْتُ الفجْر مُنْتظَرٌ
ففِيمَ تُراكُما تَسْتفْتِيانْ؟

ويقول الشاعر مواصِلاً تصْوير العذاب وحال الموت العام الذي يلفُّ كلّ جوانب مُغتَرَبه[٧]:

يا صاحِبَيْ سِجْني، هُنا ظَمَأ ومَخْمَصَةٌ[٨]
وإنسانٌ يَموتْ
المَوْتُ يَدْنو مِنْ (غُلُوّ) عِمامَةٍ
أو مِن جَناح حَمامَةٍ
حَطّت بباب الغارِ
أوْ من خيْط هذا العَنكبُوتْ
الموْتُ يدْنو في القَصيدَهْ
في افتتاحِيَةِ الجَريدَهْ
المَوْتُ يَدْنو من مَواقفنا الجَديدَهْ.

وتغرَّب الأمراني في دُنيا الشعر ردحاً من الزمن طالباً ما هو أفضل[٩]:

تغرَّبْتُ عشْرِينَ عاماً بمَمْلكة الشّعْر
أطلُبُ مَمْلكة السَّيْف والأقْحُوانْ
وأوْغَلتُ حتّى نَعَتْني الطُّلولْ
وفي آخِر الخَطْو، قبْل انْهياري

وَجَدْتُ انْتصاري
لأنّي وَجَدْتُكِ في ذلكَ الأرْخَبيلْ.

تحضر في هذه المُقطَّعة الشعرية ثنائية (الموت – الحياة)، أو (الانهيار – الانتصار)، أو (السيف – الأقحوان)؛ والتي تحيل إلى طائر العنقاء الذي يحترق، ولكنه بعد مدة معينة ينبعث من رماده حيّاً؛ كما تقول الأسطورة المعروفة. وقد استغلَ الأمراني أسطورة العنقاء – بصُوَر مختلفة – في جُل قصائد ديوانه «سآتيك بالسيف والأقحوان» كما قال د. محمد علي الرباوي في تقديمه لهذه المجموعة الشعرية. ويحسُن بنا أن نشير إلى أن الشعر المعاصر بعامَّة يُكثر من استخدام تقنية التناص والاقتباس سواء من القرآن الكريم أو من الحديث الشريف أو من التراث بشقيْه العربي والإنساني.

إن هذا التناص يحضُر في النص الشعري لهدفين اثنين؛ أحدهما دلالي بحيث يساهم في توضيح دلالة النص وإثرائها، والآخر فنّي إذ يُضفي على النص ذاته جَمالا ورَوْنقاً، ويجعله أكثر تأثيراً... كما أن الأمراني أفرَدَ ديوانه المذكور للحديث عن المرأة حديثاً يختلف عن حديثه عنها في السبعينيات.

وبالرغم من شعور الأمراني بالتغرب بين أحضان وطنه، وبالرغم من تخلف هذا الوطن وتخبُّطه في دُجى الآلام والمحن، فإننا نُلْفي الشاعرَ مُعتزّاً بوطنيته أيَّما اعْتزاز؛ ذلك بأن «الوطنية عنده بمثابة جمْر الغضا أو خنْجر يسعى على جسده، يغوص في قراره السحيق ليَجدَ موطنَه الأصلي وهو القلب»[10]، يقول[11]:

(ولِي وَطنٌ آلَيْتُ ألَّا أبيعَهُ)
ولي وَطنٌ
يُجَوّعُني فأطْعمُه شَرابِيني
ويُظْمِئُني فأَسْقيهِ دَمِي المَخْبوءَ في ليْل المَساكينِ

إن في النص ثنائيتيْن ضِدّيتيْن بارزتيْن ومتقاطعتيْن أسْهمتا في إبراز مقدار اعتداد الأمراني وتمسُّكه العميق بوطنيته؛ فإذا كان وطنه يُسيء إليه، فإنه يواجِه إساءَته بالإحْسان؛ وهذا من الخِلال الحميدة التي يحضُّ عليها دينُنا الحنيف.

وقد يستغرب الإنسان من هذا الأمر للوهلة الأولى، ولكن الأمراني الذي عاش تجربة الغربة والمعاناة يدرك أهمية الوطن والحرية؛ لذا نجده شديد التشبث بوطنيته وانتمائه لأرضه وشعْبه[12]:

فأنا ابْنُ هَذي الأرْض،
وأنا ابْنُ هذا الشَّعْب، أَعْلنْتُ انْتمائي
يَـوْمَ أعْلنْتُ انْبِثاقَ الفَجْر مِنْ (طَهَ) و(نُونْ)

وقد تبيَّن، من خلال نَمُوذجاتٍ سابقة، أن الأمراني شديدُ التعلق بوطنه، كثيرُ الاعتزاز بوطنيته، بالرُّغم من كل ما يُلاقيه من إساءة وهموم وتغريب داخل أسوار بلده الذي تغاضى مراراً عن تضْحيات أبنائه الأبْرار. ويحسُن بنا أن نشير إلى أن الباحث بلقاسم الجطاري كان قد خصَّص حيّزاً من كتابه «أبواب ونوافذ» للحديث عن مفهوم الوطنية عند شاعرنا د. حسن الأمراني[13].

وعِـلاوة على «الغربة الفردية»، تحدَّث الأمراني، في شعره، عن «الغربة الجماعية» التي لا تقتصر على شخص الشاعر وَحْدَه، بل تمتد لتشمُل سائرَ أفراد بلده، وكذا أمته. وقد كان شعر الأمراني –حقّاً– بمثابة مرآة تعكس آلام أبناء وطنه وآمالهم، وتبرز اغترابهم وضياعهم. يقول(١٤):

ضاعَ منّا الظِّلُّ في الصَّحْراءِ
ضاعَتْ قَسَماتُ الوَجْهِ منّا
وتَضاريسُ الجَسَدْ
ما الذي يَحْدُثُ للنَّهْرِ إذا
جَفَّ وغاضَ النَّبْعُ
ما يَبْقى؟ غُثاءٌ وزَبَدْ..

هذه هي صورة الضياع التام الذي يعيشه الشاعر بمعية جماعته، وهي صورة تولدت، أساساً، من الابتعاد المتزايد عن النبْع الصافي المتدفّق الذي يتمثل بشريعة الله السَّمْحاء. ويواصل الشاعر وصف حياة الغربة والتشرد قائلاً(١٥):

وتشرَّدْنا قُروناً في المَجاهِلْ
وتعلّقْنا بباطِلْ
فإذا الكَوْنُ دُخَّانٌ ورَمادْ
وإذا الأمْرُ جَميعاً قدْ تلاشَى مِنْ يَدَيْنا
لمْ نَجِدْ غَيْرَ البُكاءْ.

وهكذا بدا كل شيء حالكاً وضائعاً، في نظر الشاعر وأبناء وطنه. ولم يُلْفوا، في المآل، سوى البكاء والنحيب الذي لا يُسْمن ولا يُغني من جوع. وإنّ الدمع المِدْرار لا يُجْدي في هذه الغربة القاسية التي سبَّبَها الابتعادُ عن الدين الإسلامي الحنيف، وتغْييبُه في الممارسة الواقعية(١٦):

وبكيْنا..
وبكيْنا..
لمْ يَعُدْ شَيْءٌ إليْنا
في سَراديبِ الهَزيمَهْ.

وإمعاناً منه في تأكيد العلاقة الجدلية بين تغييب الدين عن الحياة وسيادة الغربة القاتمة، يقول الأمراني(١٧):

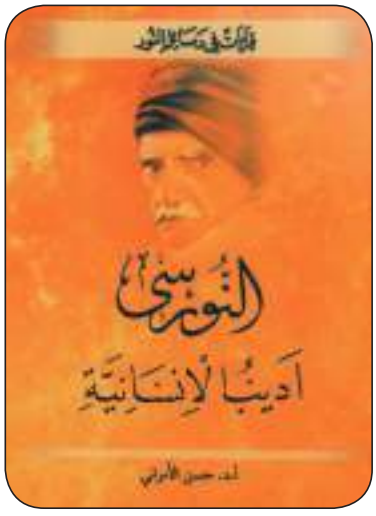

عُمْرٌ منَ السَّنَواتِ مُنْصَرِمٌ
وشَمْسُ الله غائبَةٌ
نَسينا دفنَها المَوْعودَ
إنّا قدْ نَسينا أنّنا أشْباهُ مَوْتَى
أنّنا غُرَباءُ لمْ نَضْجَرْ منَ
الضَّجَرِ الذي يُزْجي
عَصَائِبَنا بمِهْمازِ الأسَى.

ومن أبرز ما يَسِمُ هذا التشرد والاغتراب الجماعي كونُه مستمرّاً. يقول(١٨):

شَرَّدَتْنا القَوافي
أيُّها العاشِقُ المُتَغَرِّبُ: أنْتَ
أنا!
نَتَحَرَّكُ عبْرَ دماءِ الجَماهيرِ
قدْ نَسْتريحُ قليلاً ونَأوي إلى أذْرُعِ الضُّعَفاءِ
لنُعاودَ رِحْلَتنا

ويقول الأمراني في التعبير عن اشتعال نار الغربة التي مَدَّت لهيبَها لتشْمل كِيان الشاعر والمرأة المقصودة بكاف الخطاب(١٩):

وكِلانا، يَوْمَها، آنَسَ ناراً لا تَشيخْ
لِكِلَيْنا غُرْبَةٌ مُشْتعِلَهْ

وعَلينا مِنْ دَمِ العُشّاقِ سُؤرٌ[٢٠] ووِشاحْ
وأنا دُونَكِ مَقْصُوصُ الجَناحْ
فلْنُرَتِّلْ، يا ابْنَةَ النُّور، سَوِيّاً:
﴿فلمّا جاءَها نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ في النّارِ وَمَنْ حَوْلَها، وسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العالَمينَ﴾[٢١]

إن حضور عنصر المرأة في هذا النص، وفي جميع نصوص ديوان الأمراني «سآتيك بالسيف»، محفوفٌ بلغة تتأجَّج عِفّة وطُهْراً، ويغلب عليها النفَس الصُّوفي. فقد خصَّ الشاعرُ هذا الديوانَ رُمَّته بمدْح المرأة المؤمنة المخلصة التي استطاعت أن تصمُد في وجه ريح التغريب المخرِّبة، غير مُبالية بمظاهر الحضارة الغربية الزائفة. وهذا التناول يختلف تمامَ الاختلاف عن كيفية تناول الشاعر نفسه لموضوع المرأة في سنوات السَّبعين. فالشاعر استحضر في النص السابق عنصر المرأة، في نظري، لغرض التعبير عن استفحال ظاهرة الغربة وامتدادها لتشمل الذكر والأنثى معاً. وفي خاتمة النص عَيْنِه إشارةٌ إلى ضرورة الأخذ بخَصيصة التفاؤل والتمسُّك بالقرآن بوَصْفِهما خيرَ وسيلتيْن لتجاوُز حال الغربة والتغرُّب.

لقد تأكد من خلال الوقوف عند بعض الأشعار الأمْرَانيّة أنه قد «تآزرت هموم الذات وهموم الجماعة داخل جغرافية القصيدة الإسلامية، لتخلق سمْفونية الغربة والمعاناة لدى الشاعر الإسلامي المعاصر»[٢٢].

وفي غمرة المِحن والإحَن واشتداد وطْأة الغربة، لا يجد الإنسان ملجأ خيْراً من الفرار إلى الله تعالى. يقول الأمراني[٢٣]:

لقدْ كَبِرَتْ في القلْبِ شُجَيْراتُ الحُزْنِ
وعَذَّبَني الطّينُ
وأنا أحْملُ أوْزاري
وأمُدُّ الطَّرْفَ إلى أنْوارِكَ:
﴿أدْخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ يا أللهُ
وأخْرِجْني مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾

وثمة ملاحظة بارزةٌ حَريٌّ بنا أن ننبَّه إليها في هذا الصدد؛ وهي الحضور المكثف لمعجم الحزن والأسى في شعر الأمراني نتيجةً لِما لاقاه الشاعر من صُنوف المعاناة وأنواع الهُموم من وجهة، ومن وجهة أخرى نجد أن هذا الحزن ينفلت من قبضة الذاتية؛ ذلك بأن الحزن الذي يتحدث عنه الشاعر حسن الأمراني، حسب الباحث الجزائري علاوة وهبي، «ليس حُزْنا ذاتياً، وإنما هو حزن إنسانيّ يحْمِله الشاعر على أكتافه؛ لأنه يحمل هموم بَنِي وطنه، ويحمل قضاياهم ومشاكلهم»[٢٤].

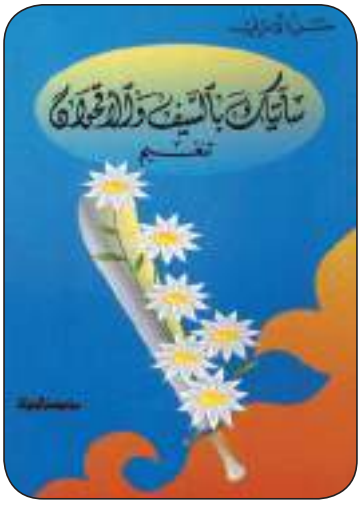

لقد نَظَم شعراء معاصرون كُثْر قصائدَ من الوفرة بمكان في سياق التعبير عن المدينة بوصْفها فضاءً للأحْزان والغربة والوَحْشة.

فالمدينة، في نظر شاعرنا، فضاءٌ للتوجُّس والخوف والمتناقِضات؛ حيث يختلط فيها الأمْن بالرُّعب، والنور بالظلام، والحقّ بالباطل[٢٥]:

نَتساكَنُ في المُدُنِ الخائِفَهْ

نتحرَّكُ في المُدُن اللَّوْلَبيَّة، يَقتاتُ مَنْ دَمنا الصَّنَمُ الجاهِليُّ، ويَخْتلِطُ الأمْنُ بالرُّعْبِ، يَخْتَلطُ الفَجْرُ باللَّيْل،
تَخْتلِطُ القِيَمُ الحَقُّ بالقِيَمِ الزّائِفَةْ.

ولا يرى الشاعر شيئاً في المدينة عدا القتامة والقمع المستمر الذي يطال الجميع[٢٦]:

تمُرُّ بي عَبْرَ رُبُوعِ المُدُن الحَمْراءِ
والبَيْضاء
والخَضْراء
فلا أرَى غَيْرَ شَريطٍ داكِنٍ

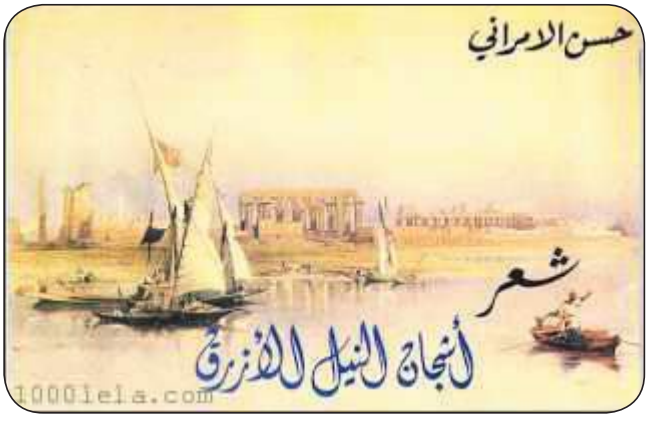

يُدَجِّنُ الرِّجالَ والنِّساءْ
وغَيْرَ سِكّينٍ على الأعْناق
والثدْي في الصَّباحِ والمَساءْ.

ومن الأسباب الموضوعية الرئيسة التي تفسّر شعور الأمراني بالغربة والمعاناة ما يعانيه المسلمون من مِحن ورَزايا وأزمات واعتداء في مختلف أنحاء المعمورة؛ بحيث يتعرض أبناء الأمة الإسلامية إلى التعذيب والتقتيل مراراً، وفي أماكن عدة. ويتغاضى المنتظَم الدَّوْلي عن هذه الاعتداءات التي يُوقعها النصارى واليهود في حق المسلمين. كما يلتزم الإنسان العربي، في أحايينَ كثيرة، موقف الصمت والتفرج، وكأنه لا يعْبأ بما يجري لإخوانه ولأمته. وهذا الأمر يزيد من إحساس الشاعر الإسلامي المعاصر بالغربة والمعاناة؛ ذلك بأنه إنسان مُرْهَف الحِسّ، واعٍ بواقعه وواقع أمته. «والإنتاج الشعري الإسلامي المعاصر إنتاج يحكمه الوعي بشتى صوره، وكيف لإنتاج يصدر عن رؤية واضحة للوجود ألا يكون واعياً بذاته وبتجربة صاحبه ومقصديته؟»[٢٧].

ويُلاحَظ أن الأمة الإسلامية، في اللحظة الحضارية الآنية، تعيش حالةً من الألم الحادّ والأسى المتفاقم، ويخيّم على أجوائها شبحُ الموت. وهذا يبعث على الغربة والمعاناة وسيادة نفَس الحزن لدى الشاعر الإسلامي المعاصر. يقول الأمراني[٢٨]:

لنْ تقْدُري حُزْني
ولنْ تحْتمِلي بَعْضَ هُمُومي
بعْضَ ما يَضيقُ عنْهُ الصَّدْرُ مَنْ أشْجانِ
فعالَمي قامَ على بُرْكانِ
لا شَيْءَ غيرُ الموْتِ يا إنْسانْ
المَوْتُ في دِمَشْقَ
في بَيْروتَ
في عَمَّانْ
المَوْتُ في كابُولَ، في طَهْرانَ
المَوْتُ في بَغْدادَ
في وَجْدَةَ
في أسْيُوطَ
في تُونُسَ
في وَهْرانْ

إن معجم الحزن طاغٍ على النص؛ نظراً لاستفحال الموت الذي صار يجْثم على صدْر الأمة الإسلامية جميعها في عصرنا هذا، عصْرِ تخلُّف المسلمين وتقهْقُرهم في مختلف المجالات.

وكثيراً ما يتألَّم الشاعر حسن الأمراني لواقع أمتنا المُزْري. فهذه الأمة لم تعُدِ الآن قويةً كما كانت من ذي قبلُ، بل دَبَّ إلى أوصالها الضعْف والوَنَى، وتجَرَّأ الأعداءُ على المِساس بحُرْمتها والمُعابَثة بكِيانها[٢٩]:

أمَّةٌ نَحْنُ تداعَتْ أمَمُ الأرْضِ علينا
كتَداعي الأكَلَهْ...

لقد أفْرد الشاعر حسن الأمراني ديواناً بأكْمله للتعبير عن واقع المعاناة والغربة والمحنة الذي يعيشه مُسْلمو البوسنة والهرْسك بسبب غطْرَسة الصِّرْبيّين مَصَّاصي الدماء واعتداءاتهم. ويتعلق الأمر بديوان «جسر على نهر درينا» الذي يضم ثلاثَ عشْرةَ قصيدةً في تصوير الاغتراب النفسي والحزن الدفين الذي يكتنف كيان الأمراني من جرّاء ما تتعرض إليه هذه الأقلية المُسلمة على أرض أوربا من تشْريد وتنكيل وتقتيل... ففي الماضي، عاش المسلمون في البوسنة حياة عِزٍّ وكرامة وسيادة مُدّةً من الزمن. أما الآنَ فإنهم يعيشون هناك حياة ضَنْكاً؛ إذ يتعرَّضون إلى مُختلف أشكال التعذيب والتقتيل على يد الصربيين الطُّغاة الذين لايعرفون الرحمة ولا الهَوادة. يقول الأمراني مُقارناً بين ماضي مسلمي البوسنة وحاضرهم؛ فيتحسَّر على الماضي المُشرق، ويتألم من الحاضر المتردّي[٣٠]:

يـا قُـرونـاً خَمْـسَةً لألاءَةً..
كرَحيق الفَجْر ما بيْن القُرون
مَنْ طَوَى أعْلامَكِ الخَضْراء؟ مَنْ
نَسَجَ الأكْفانَ للحَقِّ الرَّزين؟
قدْ غَدا نَهْرُ (دَرِينَا)[٣١] ظامِئاً
ولَكَمْ كانَ يُروّي الظامِئين!
والعَصافيرُ التي كانَتْ هُنا
زِينَةَ الرَّوْضِ وكَحْلَ النّاظِرين
ذبَّحُوها.. هَدَّمُوا أعْشاشَها
صادَرُوا ألْحانَها بيْنَ اللُّحُون..
هَتَكوا سِتْرَ الصَّبايَا، عَذّبوا
كلَّ شيْخٍ.. قطعُوا كُلَّ وَتِين

سَرَقوا الأطْفالَ مِنْ أمَّاتِهِمْ
شَرَّدوهُمْ.. يا لَظُلْمَ الظّالِمين
قتَّلُوا كُلَّ أبِيّ.. صَلَبُوا
يا سَرَايِيفُو بَنِيكِ المُهْتَدين

يدور النص كلُّه حول ثنائية (الماضي – الحاضر). فالماضي كان زاهراً قوياً، أما الحاضر فهو زمن الأفُول والفتور. وهكذا نجد المسلمين البوسنيين يتعرضون إلى القتل والتغريب والتشريد، ويقع أبناؤهم فريسة الاغتصاب. وقد أشرك الأمراني بعضَ عناصر الطبيعة لتصوير هذه المعاناة، وتجسيد

هذا التبدُّل من الماضي/ الإيجاب، إلى الحاضر/ السَّلْب؛ بحيث كان نهر (درينا) فيما مضى متدفقا بالماء، أما الآن فقد استحال ظامئاً شحيحاً...

ولا يملك الأمراني حِيال ما يقع للأقلية المسلمة في البوسنة من صنوف التعذيب والتقتيل إلا البكاء والتجلد[٣٢]:

جَمْرةٌ مُطْفَأةٌ شمْسُ الضُّحى
وفُؤادُ اللّيْل بَكّاءُ حَزينْ
جُنَّتِ الأرْضُ مِنَ الذَّبْح، فمَنْ
يَمْلِكُ الرُّقيَةَ مِنْ مَسِّ الجُنونْ؟
يا دُموعَ الأرْض كُوني مَنْصَلاً
يتَلَظّى في صُدورِ المُعْتَدينْ
يا سَرايِيفُو جِراحي جَمَّةٌ
ونِداءُ القَلْب مَكْتومُ الأنينْ
واصْطِباري فيكِ أضْحى خِنْجَراً
كَلهيبٍ يَبْعَثُ الدّاءَ الدَّفينْ
إنّها مَسْألةٌ واحِدَةٌ:
أنْ نكونَ الآنَ أو أنْ لا نَكونْ!

يشير عَجُزُ البيت الأخير إلى قولة شهيرة للكاتب الإنجليزي وليام شكسبير (١٥٦٤-١٦١٦م)، وهي: «To be or not to be. That›s the question»، ومعناها بالعربية: «أن نكون أو لا نكون. فهذا هو الإشْكال». وهذا يؤكد مدى انفتاح الأمراني على الأدب الإنساني والعالمي، وعدم اقتصاره على التراث العربي والإسلامي.

ويبدو من خلال النص أعلاه أن الأمراني يصوّر حزنه النفسي العميق ومعاناته المتزايدة، ويدعو إلى التغيير والانطلاق نحو أفُق أحْسن؛ وذلك من خلال الاقتباس أو التناصّ الوارد في البيت الأخير. يقول المرحوم نجيب الكيلاني: «إن الأدب الإسلامي ليس أدبَ نَحيب وبكاء وتعبُّد للألم، لكنه تصوير لهذا الأسى النفسي، وتصوير يرتبط بمعاني المعاناة والتطهر والثورة على أسباب العذاب والمعاناة، نقطة تحريض وانطلاق إلى آفاق الانشراح والابتسام والسعادة»[٣٣].

وبالرُّغم من كل المِحَن والإحَن التي يُلاقيها هؤلاء المسلمون، فإنهم أصرّوا على الصمود والجهاد دفاعاً عن الوطن والعِرْض. ولكن الزمان لم يُنْصِفهم، إذ صاروا اليومَ غرباء أذلاء[٣٤]:

نحْنُ دافَعْنا عَنِ الأرْض، عن العِرْضِ، وعَنْ مجْدِ الوَطنْ
فلماذا اليَوْمَ صِرْنا غُرَباءْ؟
ولِماذا اليَوْمَ صِرْنا كالوَبَاءْ؟

ويعقِد الأمراني رباطاً بين مَصيري الأندلس وسراييفو نظراً لتشابُههما في المحن. فلم تعد الأندلس وحيدة، بل ظهر لها توأمٌ في عصرنا هذا مجسَّدٌ في البوسنة. فقد أصبحتا معاً في عِداد الذكريات المُرَّة بعدما أفلَ نجمُ المسلمين في كلٍّ منهما[٣٥]:

يا أرْضَ أنْدَلسٍ سَلاما
ما عُدْتِ وَحْدَكِ جَمْرَةَ الذكْرَى، سَلاما
هَذي سَراييفُو تُبادِلُكِ التَّحيَّةَ والخِتاما...
يا أرْضَ أنْدلسٍ سَلاما...

ومن حُلكة الواقع تنبَجسُ شُعلة النور؛ حيث لم يستسلم مسلمو البوسنة للوضع القاتم، بل نراهم يحملون راية الصمود ومشعل التفاؤل؛ لاعتقادهم الجازم بأنه مهما طال ليل الغربة والمعاناة والتوجُّس، فإنه سيأتي فجْر الحرية والعِزّة لا مَحالة. يقول أبو القاسم الشابي (١٩٠٩-١٩٣٤م) في قصيدته «إرادة الحياة»[٣٦]:

ولا بُدَّ للّيْل أنْ يَنْجَلي
ولا بُدَّ للقيْد أنْ يَنْكَسِرْ

إذاً، فالمحنة، مهما طال أمَدُها، ستعقبها السعادة. ولكن يجب أن يبادر الإنسان إلى رُكوب الأسباب؛ فالسماء لا تمطر ذهباً ولا فِضة كما يُقال. والتفاؤل أمْرٌ مطلوب في الإسلام.

يقول الأمراني على لسان أطفال سراييفو الذين ألحّوا على الجهاد والتحدي مُتسلّحين بالتفاؤل والأمل بغَدٍ مُشْرق مهما طال ليلُ الحصار والأحْزان[٣٧]:

سَوْفَ نُعْلي رايَةَ الإسْلامِ في الأرْضِ وإنْ طالَ الحِصَارْ
وسَنَبْني للحَضارَهْ
هاهُنا أَلْفَ مَنارَهْ
ومَنارَهْ...
يا سَراييفُو المَجيدَهْ
يا سَراييفُو الشَّهيدَهْ
أذِنَ اللهُ بأنْ تُرْفَعَ رَاياتُ الجِهادْ
نَحْنُ أطْفالُكِ، حُرّاسُ العَقيدَهْ
لنْ يَطولَ الانْتِظارْ!
لن يَطُول الانتِظارْ!

من خلال النماذج المستعْرضة، تبيَّن لنا أن الأمراني يستحوذ عليه الشعور بالاغتراب والمعاناة في كثير من الأحيان نظراً لتفاقم جُروح الأمة الإسلامية، وتوالي محنها في الوقت الحاضر. وقد وقفنا عند معاناة المسلمين في البوسنة فقط لضيق المجال، وإلا فإن الأمراني نظم شعراً كثيراً في وصْف معاناة المسلمين في فِلسطين وغيرها من مناطق العالم الإسلامي.

◁◁ ملاحظات في غربة الأمراني:

بناءً على ما قيل بخُصوص تجربة الاغتراب لدى شاعرنا الأمراني، يمكن أن نسجل الملاحظات والاستنتاجات الآتية:

* يشغَل موضوع الغربة والمعاناة حيّزاً مهماً في شعر حسن الأمراني؛ لأن الرجل عانى –فعلاً– الاغتراب إنْ على المستوى الفردي أو الجماعي، وما يزال يعانيه، وسيظل كذلك ما دامت أسبابُه قائمة. يقول[٣٨]:

لكنَّني ما زِلْتُ مُبْعَداً كأنَّ رِحْلَتي
لَيْسَ لها نِهايَهْ

ومع استمرار الغربة واشتداد سَوْرَتها، يلجأ الأمراني إلى التسلُّح بما يلزم لمقاومتها. يقول[٣٩]:

لكِنَّ لي في كُلِّ عامٍ رِحْلَةً وتَشَرُّداً

وكأنَّني جَوَّابُ أوْدِيَةٍ وآفَاقِ
ولي في كُلِّ عامٍ غُرْبَةٌ،
مُتأبّطاً سَيْفي
ودَمِي عَلى كَفّي!!

* تحضر ثيمة الحزن بصورة لافتة للانتباه في قصيد الأمراني. ولا عجب في ذلك؛ فواقع وطنه وأمته قاتم ومتدهْور، يبعث على الشجن والتغرُّب، ولا يبعث على الانشراح والفرح. وبجانب هذه الموضوعة، يبرز معجم الموت في عديدٍ من قصائد الأمراني. والموت عنده ليس فناء ونهاية، بل هو نَماء

وبداية؛ وذلك انسجاماً مع التصور الإسلامي السليم للموت. يقول[٤٠]:

وفي المَوْت الوِلادَهْ

* لقد «كان من الطبيعي أن تؤثر الغربة في بنية القصيدة، ذلك لأنها لم تكن حادثاً عارضاً، وإنما كانت حادثاً مُوجِعاً في كثير من الأحيان»[٤١]. ومن هذا المُنطلَق، فإننا نلمس في الأشعار المقدَّمة في هذا البحث حضور هذا التأثير. فموضوع الغربة والمعاناة ترك بصمات واضحة في الجانب الشكلي/ الفني للقصيدة الأمرانية؛ ويظهر ذلك، بالأساس، في الأوزان الشعرية المُختارة، وطبيعة اللغة المتوسَّل بها في التعبير. والملاحَظ أن الأمراني يُكثر من استعمال البُحور القادرة على استيعاب المشاعر الرقيقة كالرَّمَل والكامل، ويَستخدم الكَسْر بصورة بارزة؛ لأنه الأنْسب لتصوير حال الانكسار والمعاناة والغربة، كما أنه يستعمل لغة واضحة، جميلة وقوية؛ لتحقيق التواصُل مع القارئ، وإبْلاغِه رسالةَ النّص■

الهوامش:

(١) الأمراني: سآتيك بالسيف والأقحوان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط.١، ١٩٩٦م، ص٤١-٤٢.
(٢) الأمراني: الزمان الجديد، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٩٨٨م، ص٦٥.
(٣) السابق نفسه، ص١٩-٢٠.
(٤) الأمراني: القصائد السبع، المطبعة المركزية، وجدة، المغرب، ط.١، ١٩٨٤م، ص٤٠.
(٥) السابق نفسه، ص٣٦.
(٦) السابق نفسه، ص٢٥.
(٧) السابق نفسه، ص٢٧.
(٨) أي جوع.
(٩) الأمراني: سآتيك بالسيف والأقحوان، ص٣٤.
(١٠) بلقاسم الجطاري: أبواب ونوافذ (دراسة)، دار الجسور للنشر ، وجدة، ط.١، ٢٠٠١م، ص١٤٠.
(١١) الأمراني: الزمان الجديد، ص٧٠.
(١٢) الأمراني: القصائد السبع، ص٣٠-٣١.
(١٣) يمكن الرجوع إليه في الكتاب المذكور، ص١٢٠-١٤٣.
(١٤) الأمراني: القصائد السبع، ص٤٦.
(١٥) السابق نفسه، ص٤٧.
(١٦) السابق نفسه، ص٤٧.
(١٧) الأمراني: الزمان الجديد، ص٦١-٦٢.
(١٨) السابق نفسه، ص٦٦.
(١٩) الأمراني: سآتيك بالسيف والأقحوان، ص١٠٤.
(٢٠) ما يبقى من الماء في الإناء. أو هو البقية مطلقاً. وتُجمع «سؤر» على «أسْآر».
(٢١) سورة النمل، الآية ٨، رواية الإمام ورش.
(٢٢) عمر الملّاحي: تجليات الوعي في القصيدة الإسلامية المعاصرة، رسالة جامعية لنيل د.د.ع. مرقونة مسجلة بخزانة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة (المغرب) تحت رقم ٥٠، نوقشت يوم ١٩٩٩/١٢/١٩م، ص١٥٠.
(٢٣) الأمراني: الزمان الجديد، ص١٧-١٨.
(٢٤) مؤخّرة ديوان حسن الأمراني «القصائد السبع»، ص٧٣.
(٢٥) الأمراني: القصائد السبع، ص٧١.
(٢٦) الأمراني: ثلاثية الغيب والشهادة، المطبعة المركزية، وجدة، ط.١، ١٩٨٩م، ص٢٤-٢٥.
(٢٧) عمر الملاحي: تجليات الوعي في القصيدة الإسلامية المعاصرة، ص٣٧.
(٢٨) الأمراني: الزمان الجديد، ص١٢٩-١٣٠.
(٢٩) الأمراني: القصائد السبع، ص٤٨.
(٣٠) الأمراني: جسر على نهر درينا، ص٢٤-٢٦.
(٣١) نهر في جمهورية البوسنة والهرسك.
(٣٢) الأمراني: جسر على نهر درينا، ص٢٦-٢٧.
(٣٣) نجيب الكيلاني: الإسلامية والمذاهب الأدبية، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٧م، ص٧٣.
(٣٤) السابق نفسه، ص٢٩.
(٣٥) السابق نفسه، ص٥٢.
(٣٦) أبو القاسم الشابي: الأعمال الكاملة، الدار التونسية للنشر، ط ١٩٨٤م، ٢٣٦/١.
(٣٧) الأمراني: جسر على نهر درينا، ص٥٩-٦٠.
(٣٨) الأمراني: القصائد السبع، ص٦٤.
(٣٩) الأمراني: الزمان الجديد، ص١٧٠.
(٤٠) الأمراني: القصائد السبع، ص٢٦.
(٤١) عبده بدوي: الغربة المكانية في الشعر العربي، عالم الفكر، ع.١، مج.١٥، ربيع ١٩٨٤م، ص٣٤.

صمودي

سالم رزيق بن عوض - السعودية

قَلّ صبري ونام في غيهب الضْـ ضياع صعودي وهمتي في سعودي
أتـراءى على الـمدارات حلماً عـارياً من تخيلات وجـودي
عرضه كالسماء فوق البرايا طوله بامتداد هذي الحدود
وجهه كالظلام لا كالخطايا في الخفايا على دروب الشرود
أنفه كالجبال تعلو تنادي للعشايا على رفاة السدود
تملأ الجو بالشموخ الموشى كالدعاوى على غبار البنود
لا ترى في الخيال غير دموع دامعات على خدود الخدود

***

أترى خطوتي على الأرض نبعاً يتهادى على بروق رعودي
يمنح الأفق خضرة وحضوراً وشموخاً على سبيل وعودي
يرتوي منه كل طير طروب وتحيي المياه كل الأسود
والشذى في مآثر الخطو نور يملأ النفس بالجديد الجديد
ضمخ الطيب كل دنيا المرايا فالمرايا غوائب في شهود
أسمع الطير في الرياحين يشدو من مغانيه أغنيات قصيدي
وأرى الزهر في البساتين يهدي للوجود الجميل فوق الوجود

***

أي نفس ترى لها الفضل دوماً والغيوب الغيوب خلف المدود
هذه الروح في الجسوم الغوالي نفحة من لدن عظيم حميد
يمنح الفضل من يشاء نعيماً ونعيماً على الفؤاد الكنود
ويمد الأكوان من ذاته العلـ يا حياة من الودود الودود
يشرق الكون بالنعيم المصفى عبقرياً على الوجود الولود
كل شيء له خفايا البرايا وحياتي معقودة في صمودي

***

دراسة لمجموعة المسرحيات القصيرة

«من عبق التراث»

للأديبة نوال مهني

إن لفن المسرح دوراً رئيساً في إيقاظ الوعي لدى جماهير الأمة، وذلك لارتباطه بواقع الحياة، وحركة المجتمع المائجة بالصراع والتفاعل والتصادم؛ ولذلك يعتمد الفن المسرحي على الصراع -كما يرى النقاد- لأن المسرحية في حقيقتها نوع من تنبيه الناس إلى خلل في بنيانهم الاجتماعي أو كيانهم الخلقي، ومجال المسرحية المفضل هو الكشف عن سوء النظم الاجتماعية من سياسية وخلقية ودينية.

د.صابر عبد الدايم – مصر

والمسرحية ليست أدباً خالصاً كما يقول أحمد أمين، بل هي فن مركب يتكون من الفن الأدبي والإخراج المسرحي والأداء التمثيلي، فالعمل المسرحي جملة أعمال فنية ممزوجة أو متداخلة على الأقل، وأهم ما يجب أن يُراعى في بناء المسرحية هو الوحدة بين الأشخاص والأحداث والمواقف والمناظر والأصوات والإضاءة والموسيقى بحيث لا يبدو في أي من ذلك شيء من التضارب أو التنافر مع النسق العام[١].

وهذه المجموعة المسرحية «من عبق التراث»[٢] التي تقدمها الشاعرة نوال مهني هي نصوص أدبية مسرحية تستمد فيها الكاتبة من التراث الشعبي والعربي والإسلامي والإنساني كثيراً من المشاهد والمواقف الإنسانية التي تعتمد على المفارقة ذات النزعة الساخرة، والأهداف الإنسانية.

وهـذه المسرحيات أقرب إلى المسرح التعليمي الذي يبث القيم، ويجسد الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، والعدل والظلم، ولذلك لم تبتعد الكاتبة كثيراً عن وظيفة المسرح في المجتمع، فهو ليس للترفيه ولا للإضحاك فقط، ولكنه رسالة تتجاوز هذه المتعة الوقتية، وتسعى إلى الكشف عن سوء النظم الاجتماعية من سياسية وخلقية ودينية وسلوكية، لذلك تحرص الكاتبة نوال مهني على تحديد الهدف من هذه الرسالة المسرحية في إهدائها الذي يمثل إحدى عتبات النص في هذه المجموعة، حيث تقول: «إلى عشاق القراءة ومحبي التراث.. أهدي هذه المجموعة من المسرحيات النثرية القصيرة عسى أن يجدوا فيها – إلى جانب متعة القراءة – معلومة مفيدة وفكرة صالحة، وحكمة صائبة».

وبعد استقراء هذه النصوص المسرحية النثرية القصيرة أرى أن الكاتبة –على الرغم من عدم تفرغها للكتابة المسرحية، وعدم تخصصها في هذا المجال– قد كشفت عن قدرتها الفنية على الإجادة في هذا الميدان في إطار الأسس المألوفة للبناء المسرحي التقليدي. ومن الظواهر الفنية التي تطالعنا في هذه المجموعة، القدرة على التخطيط في تقديم عناصر العمل حيث الخبرة المسرحية في وصف الأماكن وتوزيع الأدوار وتقديم اللوحات التي ترسم وتشكل طبيعة المكان، وتنبئ عن تضاريس الزمان.

ونظراً لاهتمام الكاتبة بالجو التراثي؛ نراها لا تواكب المعاصرة في وصف الأماكن والشخصيات، ففي المسرحية الأولى: يحيا العدل، وهي مسرحية تجريدية غير محددة زماناً أو مكاناً، وتصور الكاتبة المنظر الأول (في بلاط الملك، قاعة فاخرة يتوسطها كرسي العرش، حيث يجلس الملك في هيئة فخمة، يعلوها تاج مرصع بالجواهر وعن يمينه يجلس الوزير... إلخ)، وهذه المسرحية تجسيد للصراع بين العلم والعلماء، وبين الحق والباطل من خلال الوزير ودوره في تضليل الحاكم، وتشويه صورة الفيلسوف والعالم بكل السبل والوسائل، والعنوان وهو من عتبات النص الرئيسية يحمل مفارقة ساخرة حيث يُفاجأ القارئ والمشاهد الذي يتوقع أن يكون

العدل هو نهاية المسرحية وهو شعار الدولة، ولكن الصدق والمفارقة الساخرة تعلن عن نفسها حين يهتف الوزير.. يحيا العدل.. بعد أن قبض الحراس على الفيلسوف الذي كان ينصح الملك بتهمة التخطيط لخلع الملك من الحكم.

ثانياً: تقنية الحوار ومراعاة السياق وطبيعة المواقف:

من عناصر البناء المسرحي، الحوار وهو الأسلوب الدرامي الذي تتخذه المسرحية وسيلتها في ترابط الأحداث بعضها مع بعض، حتى تجسم في حبكتها النهائية المعروفة بالعقدة، ثم تسير في مجراها الطبيعي نحو توضيح المشكلة وبيان النتيجة التي انتهت إليها، فالحوار -كما يقول نقاد المسرح- هو الذي يتكون من نسيج المسرحية، وهو الذي يعطيها قيمتها الأدبية.

وقد وفقت الكاتبة في إدارة الحوار، ولم تتدخل بالتعليق أو السرد، ولكنها تركت الشخوص تتحاور في جمل سريعة خاطفة تشد القارئ والمشاهد، وهي في صياغة الحوار أقرب إلى المسرح التقليدي، فلم تلجأ إلى التقنيات الحديثة المعقدة في البنية الدرامية، ولم تلجأ إلى تداخل الأزمنة، ولا إلى أسلوب «تيار الوعي»، ولا إلى بناء الشخصية المركبة، ولم نلمح تطورا في الشخصيات، وإنما هذه الجودة في إطار الفن المسرحي التقليدي المألوف.

ومسرحية «سيدي حمير» مشهد حيوي ساخر مستمد من التراث الشعبي، والكاتبة في هذه المسرحية تقدم رؤية ساخرة رافضة للمعتقدات الشعبية والخرافات والشعوذات، وفي ذلك تنبيه إلى الخلل الاجتماعي والفكري الذي يسود، وينتشر لدى كثير من أبناء الطبقات الشعبية، والعنوان نفسه تجسيد لهذه السخرية وذلك الرفض، فمن سيدي حمير؟ إن له ضريحاً وأطلقوا عليه سيدي حمير، وصدق الناس، وبعد حوارات سريعة متلاحقة في أربعة مناظر يكتشف الناس الخدعة الكبرى، ويقبضون على اللصوص ويسلمونهم للشرطة. والقصة لها أكثر من رواية في الأوساط الشعبية، وهي من أدب الفكاهة، وإيقاظ الوعي الشعبي.

ولنتأمل المشهد الثالث من هذه المسرحية وكيف صورت الكاتبة لحظة التحول في مسار اللصين، وكيف أتقنا الخديعة والكذب، وجعلا من الحمار ولياً صالحاً. اللصان مشغولان بجمع الأحجار ورصها، وحولهما عدد من القرويين: يتبادلون معهم الحديث:

الأول «يبكي وينتحب»: رحم الله سيدي حمير كان رجلاً صالحاً.

الثاني «يبكي في تأثر بالغ»: كان من أصحاب الكرامات، وكم من الكرامات تمت على يديه!.

أحد القرويين: هل كان من الأولياء أصحاب الكرامات؟

الأول: نعم كان من الأولياء الصالحين، وقد اهتدى على يديه العصاة، وتاب بين يديه المذنبون.

الثاني: وكان يقصده ذوو الحاجات فتقضى حاجاتهم بفضل دعائه وبركاته.

الأول: ولقد سمعته يؤكد أن كراماته ستظل مستمرة بعد وفاته.

قروي ثان: هذه بركة ساقها الله لقريتنا كي ننتفع ببركات هذا الولي الصالح.!!

ثالثا: الأحداث والشخصيات:

استلهام التراث والشخصية في العمل الأدبي سواء كان عملاً مسرحياً أم غيره هو كائن ورقي ألسني على حد تعبير «تودورف»، بمعنى أنها أداة فنية يبدعها المؤلف لأداء وظيفة يتطلع الأديب إلى

رسمها، فيجعل منها كائنا حيا له آثاره وبصماته الواضحة الجلية في العمل الإبداعي.

والشخصيات لا الأفكار هي التي تعطي المسرحيات الجيدة قوتها وعنفوانها، ويقول «روجرم بسيفلون»: إذا عنيت بأمر شخصياتك العناية الواجبة فإن الحوار والفعل سيفي كل منهما بأمر نفسه.

وتستمد الكاتبة شخصياتها، وترسم ملامحها في كثير من هذه المسرحيات من تضاريس التراث العربي والشعبي، فهي شخصيات غير معاصرة ولكنها دوال ورموز تضيء كثيرا من الأزمات المعاصرة.

والشخصيات في عدد من المسرحيات في هذه المجموعة ليست من صنع الخيال، ولكنها شخصيات حقيقية تاريخية، تقدم الكاتبة نماذجهم إلى الحياة المعاصرة، كما أوضحت في الإهداء «من أجل المعلومة المفيدة» والفكرة الصالحة والحكمة الصائبة، وهذا يؤكد المنحى التعليمي التربوي في هذه المسرحيات القصيرة المتعددة. ولنتأمل ملامح شخصيات مسرحية «زين العابدين والفرزدق»، فهي شخصيات حقيقية، والواقعة تاريخية، وتختلف رواياتها، ولكن المغزى من المسرحية هو الوفاء والإخلاص، وحب الفرزدق الإمام علياً زين العابدين بن الحسين، ووقوفه في وجه هشام بن عبد الملك، ولكن الكاتبة أضفت على شخصية الفرزدق صفات وملامح لا تتوافق مع طبيعة شخصيته الحقيقية.

ربما يكون الموقف من الفرزدق صادقاً، ولكن بعد ذلك قال: «لساني مع بني أمية، وقلبي مع آل علي».

وكان الشاعر الرسمي للأمويين في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك. وليست من معالم شخصية الفرزدق ما قدمته الكاتبة على لسان أحد شخصيات المسرحية: «إنه يجاهد بالكلمة في سبيل الحق، ولم يثنه ما يعانيه من آلام (السجن). إن أفضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر».

والكاتبة تعلن عن مغزى المسرحية حين تقول على لسان الإمام، وهي تقدم قاعدة إنسانية، ونموذجا لأصحاب الكلمة المؤثرة من الشعراء والأدباء والعلماء: «وهكذا يجب أن يكون الشعراء، أصحاب المبادئ السامية والهمم العالية والنفوس الكبيرة، والشعر الخالد». وهذه رؤية عامة وليست مطابقة لشخصية الفرزدق ومنهجه في حياته.

ومن الشخصيات الرائدة في تراثنا الإسلامي والعربي، السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم جميعاً، وهي ومسجدها من آثار القاهرة العامرة بأولياء الله الصالحين. ومن الشخصيات العلمية الرائدة شخصية الإمام العز بن عبد السلام، وموقفه من المماليك، وهو موقف شجاع.

والمسرحية قناع تاريخي لإبراز دور العلماء في إرساء قواعد العدالة والمساواة، والجسارة في مواجهة ظواهر الانحراف والفساد، والوقوف أمام الحكام الظالمين الطغاة، وردهم عن طغيانهم.

وذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر من النماذج العالية التي تؤكد دور المرأة في مسيرة الدعوة الإسلامية، والقصة معروفة، ولكن الكاتبة تقدمها في حوار مشوق وأسلوب راق، لتعيد للفتاة المعاصرة هذه القسمات الإسلامية الشجاعة التي تبرز دور الفتاة المسلمة وهي في بيت أبيها، وبيت زوجها، وهي كذلك أم تحث ابنها عبد الله على مواصلة الكفاح

والجهاد وإصلاح خلل الحياة في السياسة والمجتمع، والفكر الديني يجسد هذا الهدف السامي الذي يتفق مع منهج الكاتبة الإسلامي، ومسيرتها البارزة في هذا الاتجاه، ومنها مسرحية «بين المنصور والأصمعي».

ولنتأمل مسرحية «الإمام الأعظم» أبي حنيفة النعمان وصاحب الدنانير، وكذلك مسرحية «الراعي الأمين» ودور الصحابي الجليل عبد الله بن عمر، وكذلك مسرحية «الجاحظ» تاج الثقافة العربية، وحامل لواء نهضتها، وحادي مسيرة تجديدها، وهو العلامة الموسوعي، وكان يمكن اختيار معلم من معالم شخصيته، يجسد رؤيته الحضارية ومواقفه الشجاعة، ولكن هذا الموقف رغم طرافته قد يترك آثاراً غير حميدة في نفوس القراء، وخاصة من الشباب والأطفال، وكتاب البخلاء للجاحظ مشحون بالمواقف والمفارقات الإنسانية الغريبة العجيبة.

رابعاً: الصراع ودوره في سلوك الشخصيات وتنامي الأحداث:

إن الصراع من أسس البناء الفني في العمل المسرحي، وهو يفرض نفسه تلقائيا في كل مسرحية حية ذات هدف، أو فكرة اجتماعية خطيرة، وفي كل مسرحية يتجلى فيها كفاح الأفراد والجماعات ضد العوائق الاجتماعية، واستبداد النظم وسلطات القهر المختلفة.

وخير أنواع الصراع ذلك الصراع النامي الصاعد، أي الذي ينمو ويتطور ويشتد ويتعقد ويتأزم، حتى تتأزم الأحداث، ويتعقد الموقف، ويصل إلى أقصى درجات التأزم والتعقيد بعد فترة من الشد والجذب والأخذ والعطاء.[٣]

وقد تعددت أنواع الصراع في هذه المجموعة المسرحية، وهو صراع ليس معقداً ولا مركباً، ولكنه صراع يجسد ما في واقع الحياة من تناقض وصدام بين الواقع والمثال، وبين الكائن وما ينبغي أن يكون، ومن أبعاد هذا الصراع:

أ) الصراع بين العلم بصفته قيمة عليا وبين محترفي السياسة وحاملي بيارق النفاق من بطانات السوء الذين يزينون للحاكم كل قبيح حتى تعمى بصيرته عن رؤية الصواب.

ومسرحية «يحيا العدل» تجسد هذا الصراع الأزلي بين أرباب ومحترفي السياسة من خلال شخصية

الوزير وسيطرته بدهائه على الملك ومحاولته تشويه صورة الفيلسوف، رمز الحكمة والتفكير والعطاء بكل الوسائل والسبل.

وتكفي هذه المشورة الفاسدة من الوزير حين شاوره الملك في تعيين أحد الفلاسفة ليكون مستشاراً للملك، فأجابه الوزير مجسدا الصراع بين أهل الفكر وذوي السلطة قائلاً: مولاي هؤلاء المفكرون خطر على العرش، فهم دائما يهيئون عقول العامة للنقاش والجدال.

والحوار السريع بين الملك والفيلسوف حول آليات تطبيق العدالة والمساواة قد أحكمت الكاتبة لغته، وقدمت البراهين المقنعة على لسان الفيلسوف للملك على صدق ما يقول، وعلى شجاعة الفيلسوف العالم في تبصير الملك بكيفية تطبيق القانون، والملك يبدو مستجيباً لكل ما يقوله الفيلسوف، ولكن الوزير وهو الوجه الآخر للسلطة يمثل السلوك الفاسد والنفعي. إنه يقنع الملك بأن الفيلسوف والعلماء خطر على مُلكه، ويحتدم الصراع، وتضعف شخصية الملك، وتخدعه تحذيرات الوزير، ويتوهم أن الفيلسوف سيسلبه مُلكه بهذه الآراء الصائبة الحاكمة، ويبلغ الصراع ذروته، ويتأزم الموقف حين يصيح الملك: أيها الوزير أصدر فرماناً عاجلاً بالقبض على الفيلسوف وإيداعه السجن، وإذا لم يتراجع عن أقواله يُعدم.

والمفارقة الساخرة تجسدها الكاتبة في رد الفعل لدى الوزير فيهتف بهذا النداء الخادع: يحيا العدل.. يحيا العدل!.

توظيف التراث في تجسيد الصراع المذهبي:

وتستمد الكاتبة من مشاهد التاريخ الواقعية مشهداً معروفاً ومتداولاً في الأوساط الفكرية والثقافية والصوفية، وهو يجسد الصراع بين بني أمية وآل البيت، وهذا الصراع امتداد لعقود كثيرة منذ أن اندلعت الحرب بين أنصار علي وأنصار معاوية، وبلغ الصراع ذروته إبان مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما في كربلاء. ومازال الصراع إلى الآن محتدماً بين أتباع المذهبين: المذهب الشيعي ومذهب أهل السنة والجماعة، ولكن المشهد الذي توظفه الكاتبة كان في بداية هذا الصراع، وهي تعلن عن موقفها من الحاكم المستعلي على غيره، الرافض لكلمة الحق.

يتجسد الصراع؛ ولكنه عن طريق تيار الوعي حين تتذكر السيدة نفيسة التي استوطنت مصر، ولكنها تحن إلى المدينة المنورة، حيث جدها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وجدتها فاطمة الزهراء، وكل أنوار بيت النبوة.

ويدور الحوار بينها وبين زينب بنت يحيى المتوج، ابنة أخيها.. تقول السيدة نفيسة تصور ما حلّ بها وبآل البيت من كوارث: «وشى أحد الحاقدين بأبي، وأوقع بينه وبين الخليفة المنصور، فعزل أبي عن إمارة المدينة، وألقى به في السجن، واشتعلت الفتنة، وصار العباسيون يضيقون على أبناء علي، ويعدون عليهم أنفاسهم، وبتنا لا نأمن على أنفسنا، فكان لابد من الرحيل!!».

خامساً: توظيف الشعر في البناء المسرحي:

وهذه التقنية تترجم مبدأ تلاقي الفنون وتقارب الصلات فيما بينها، والمسرح الشعري برهان فني على الامتزاج الجمالي بين الشعر والمسرح والموسيقى والغناء، والقصيدة الدرامية نموذج لتطور الشعر ومواكبته لحركة الحياة المعاصرة.

والمسرح في بداياته منذ عصر اليونان كان شعراً، وظلت المسرحية تكتب بالشعر حتى العصر الحديث.

يقول «موم» أحد كتاب المسرحية الإنجليزية « في اعتقادي أن المسرحية قد ضلت الطريق حينما قادتنا الرغبة في الواقعية لهجر حلبة الشعر، إن للشعر منزلة مسرحية سامية، ففضلا عما يُحدثه النغم والوزن من الأحاسيس والانفعالات حين يلقى على المسرح، فإن الشعر يخلص المسرحية من الواقعية، ويضعها في مستوى آخر، ويجعل من اليسير على الجمهور أن يهيئ لنفسه حالة شعورية جديدة محببة، وتلك هي الجاذبية المسرحية الخاصة.[٤]

وقد لجأت الكاتبة نوال مهني إلى تقنية توظيف الشعر في بناء المسرحيات، وجعلته متشابكاً مشاركاً في صنع الأحداث، ومشاركاً في تشكيل ملامح بعض الشخصيات، وهو في بعض المسرحيات من الشعر التراثي الذي أبدعه الشعراء مثل الفرزدق في مسرحية «زين العابدين» في صنع أحداث المسرحية، وكان لها تأثيرها في تأزم الموقف وغضب هشام بن عبد الملك لأن القصيدة في ظاهرها مدح لعلي بن زين العابدين، وفي حقيقتها الباطنة أو دلالاتها الرامزة تعريض بهشام وبني أمية وسخرية منهم جميعاً.

ولنتأمل هذا المقطع بما يحمل من إشعاعات ودلالات في مدح آل البيت وعلي زين العابدين:

الله شـرفـه قِـدْمـاً وعـظمـه
جرى بـذاك لـه فـي لـوحـه القلمُ
مَنْ جـدهِ دان فضل الأنبياء له
وفضـل أمتـه دانـت لـه الأمـمُ
من معشرٍ حبهم دينٌ، وبغضهم
كفرٌ، وقربهم منجى ومعتصمُ.[٥]

وفي مسرحية «الشاعر والسوقة» يتجسد الصراع بين السوقة من الناس وبين عالم الشاعر الخاص، وهو صراع بين المثالية والواقعية المحزنة، صراع بين زعيم المثقفين والنفعي والانتهازي، وبين عالم الشاعر المثالي النزيه، الخالص من المنفعة، وقد جعلت الكاتبة من الشعر وسيلة مشاركة في صنع الأحداث، وصولاً إلى تجسيد السخرية من الروتين ومن الجهل المستبد بعقول السوقة.

واتخذت الكاتبة من السوق مكاناً للأحداث، والتجانس بين السوقة والسوق واضح في إيصال المعنى وإبراز دلالة التسبيح ونقش الجهل. ولنتأمل هذا الحوار السريع الواثق بين الشاعر وصاحب السوق:

– صاحب السوق للشاعر: تقدم .. من أنت وما عملك؟

– الشاعر: أنا ضمير الشعب، ولسان المجتمع، المعبر عن آماله وطموحاته، والحافظ لفنه وتراثه، والراوي لتاريخه وأمجاده، أفجر نبع الأماني في الوجدان، وأذكي فيه الحماسة، وأشعل الثورات عند الخطر.

صاحب السوق: تشعل الثورات!! إذن أنت معاد للنظام، الويل لك! أنت بهذا تعترف أنك تثير الفتن،

وتحرض الناس على قلب نظام الحكم.

وهذه المفارقات في المواقف تعلن عن النزعة الساخرة التي تتبناها الكاتبة في عرض أفكارها ومواقفها لهذا المنطق النفعي الاستبدادي الذي يجهل فيه الكلمة المؤثرة وأثرها في الإصلاح والتغيير.

وقد قدمت الكاتبة بعض المقطوعات الشعرية من أشعارها على لسان هذا الشاعر، ومن هذه الأشعار وصف السوق، ووصف الحديقة، وقد جاءت الأبيات معبرة عن الموقف، مصورة للواقع، ولكن الشعر ليست هذه وظيفته، فهو ليس سلعة تقدم وقت الطلب.

وأرى أن الكاتبة لجأت إلى هذه التقنية رغبة في إدانة هذه الطبقة الانتهازية السوقية، التي لا تدرك قيمة الشعر ووظيفته في الحياة، وحتى زعيم المثقفين المتواطئ مع صاحب السوق من ذوي النزعة المهادنة التي تعلن الولاء لصاحب السوق، وهو رمز السلطة المتاجرة بمكاسب الشعب وحقوق الأمة.

وزعيم المثقفين مصاب بهذه العاهة السلوكية المستديمة، ويبلغ الموقف قمة الأزمة حين يكتشف زعيم المثقفين أن كل أمنيات الشاعر أن يمتلك أوراقاً ثم أقلاماً ليكتب شعراً، ولكن يقف الروتين الحكومي عائقاً دون تحقيق هذا المطلب اليسير القليل؛ لأن العثور عليه يتطلب كتابة الطلب، ثم وضع طوابع الدمغة، ثم التقدم إلى الجهة المختصة؛ ثم.. ثم الانتظار حتى تتم الإجراءات، ويشعر الشاعر بالعجز والمهانة أمام هذا الواقع الكئيب الذي يتكرر في كل زمان ومكان.

والحوار في مسرحية «المنصور والأصمعي»، يُجسد ذكاء الخليفة المنصور وكذلك ذكاء الأصمعي، وهو العالم الراوية صاحب الأصمعيات، والشعر التراثي فيه تأييد لبني العباس. واستطاع الأصمعي أن يكشف خدعة الخليفة، وأن يقدم أشعاراً عجز الخليفة والرواة عن حفظها.

وبعد فأقدم للكاتبة نوال مهني تحياتي وأترك السادة القراء يكتشفون جماليات هذه المسرحيات التعليمية التربوية التي تهدف إلى إرساء القيم الخلقية والتقاليد الاجتماعية والإنسانية النبيلة■

الهوامش:

(١) انظر في النقد الأدبي الحديث.. د.محمد عبد الرحمن شعيب.

(٢) مسرحيات شعرية ونثرية (لمحات من عبق التراث)، تأليف الأديبة نوال مهني، نشر مؤسسة طيوف، الجيزة، مصر، ط١، ٢٠١٨م، عدد الصفحات ٢٣٢، (٢١×١٤).

(٣) انظر: المسرحية لعمر الدسوقي، والنقد الأدبي الحديث للدكتور محمد شعيب.

(٤) انظر: المسرحية، عمر الدسوقي، والنقد الأدبي الحديث، د.محمد شعيب.

(٥) انظر شرح هذه القصيدة شرحاً جمالياً وافياً بكتاب جماليات النص الأدبي في التراث العربي، للدكتور صابر عبد الدايم.

وصية أم

رفاه أحمد مهندس - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين..

إلى أحمد؛ إلى حبيبي أحمد مع خالص الود، وأصدق الدعوات أضع بين يديك قلبي في هذه الكلمات.

حبيبي أحمد: هاتان الكلمتان نطق بهما قلبي، وتدرب عليهما لساني قبل أن أعرف وجهك الجميل بسنتين، وكنت أكررهما في سري، ثم أعرضُ نفسي على مرآتي، فأرى أني كنت أزداد جمالاً كلَّما نطقتهما.

حبيبي أحمد: لقد كانت وداعتك منذ نعومة أظفارك، وكان اللطف والحياء أول ما عرفته فيك، وأكثر ما كان يحزُنني منك - إن ظهرت منك فَظَاظة أو غِلْظة - أني كنت أعرف أنها ليست منك، وأنك لست أنت في تلك الساعة!.

حبيبي أحمد: لم أُقدِّم على حبِّك يوماً إلا حب ثلاثة: حب الله عزَّ وجل الذي ليس في قلبي مثله، وحب رسوله صلى الله عليه وسلم الذي ملك عليَّ فؤادي وحياتي، وحب والديَّ وزوجي، ملآ أركان روحي ونفسي؛ حتى ذقت حُبَّك وهو أغلى من روحي.

حبيبي أحمد: علمت أنَّ الوقت لا يتَّسع لكلِّ شيء، فاخْتَرت أهم المهمات لوقتي، واستخلصت من ساعات نهاره وليلي كل عمل يعود عليَّ بربح ولا يعود عليَّ بخسران أو ندم. فاخْتر لأوقاتك ما يجعلها فرحاً موصولاً، وخيراً دائماً.

حبيبي أحمد: العُمر مراحل، كلُّ مرحلة لها ما بعدها، فاحسب لكل مرحلة ما وراءها، ولا يَغْرُرْك حال الساعة التي أنت فيها، بل احسب حال الساعات التي تأتي بعدها؛ تعش السعادة مرتين: مرة في ساعتك.. ومرة فيما يأتي بعدها.

ما هو تعريف السعادة؟ إنَّ من الأغبياء كُثُراً يعرّفون السعادة بلذة فانية، أو عرض زائل، أو انغماس في حمأة منتنة. لكن لا سعادة إلا ما تجلب من ورائها فرحاً وآمالاً، أو ما تفتح لك بِشِفْرتَها أبواب نعيم موصول، وقُرَّة عين لا تنقطع.

حبيبي أحمد: سمّ الله، ولا تشرب إلا لترتوِيَ، أما إذا شربت لتعطش؛ فإنها بئست الكأسُ، وتُعْسُ الشراب، اشرب كأس الإيمان واثبت، فإنه دوام الارتواء.

حبيبي أحمد: ضَعْ لنفسك خارطة الأحلام، وكُن على قدر الرجولة، رجلاً يصنع من الحُلُم الحقيقة، ولا ينسى خارطته، ولا يهمل خطَّته.

حبيبي أحمد: يتقاطر الأغبياء على أبواب أرباب مصالحهم لينفعوهم.. مالاً، سلطاناً، جاهاً، لكنهم لا يستطيعون سَوْق النفع لأنفسهم ولا لآبائهم؛ فضلاً عن أن يسُوقوا لغيرهم نفعاً وخيراً. يا لتعس الأذلاء!.. أخطؤوا قصد الباب الصحيح. فلا تكن عبداً إلا لله، ارفع هامتك فلا تُعفِّرها بغير الذل له، ولا تطرق إلا بابه.

أحمد: لا تطرق إلا بابه، قم: صُفَّ قدميك عند بابه، وأخْضِعْ جبهتك ساجداً، وقل: يا رب!.. فليس مَنْ يجيب ويعطي إلا هو.

أحمد يا حبيبي: اعرف نفسك، اعرف ما سيعرفه الناس عنك، اعرف ذاتك، وصفاتك، اعرف أخلاقك، ومَحْتدك، وأصلك، اعرف، وتعلَّم، فليس سراً ما يعرفه الآخرون عنك، لكنه من القبح بمكان أن يعرف عنك الآخرون ما لا تعرفه عن نفسك.

حبيبي أحمد: لا تعتب عليَّ: أزاحم السطور بالكلمات، كأنما لم تكفني الأيام لأزاحمها بكلماتي إليك، لكن هذا قلبي، وهذا قلمي، وهذا قدري معك.

حبيبي أحمد: كن موصولاً بالله، لم يغلق بابه دونك وهو الملك، فلا تغلق بابك دونه وأنت العبد. لم يقبض كفَّ العطايا عنك وهو الغنيّ؛ فلا تقبض كفَّ السؤال إليه وأنت المحتاج الفقير. كن موصولاً بالله.. بيدك ضياعك وهو يحميك، بيدك حرمانك وهو يعطيك.. تقرّبْ إليه؛ فلن تستوحشَ أبداً، تقرَّبْ إليه؛ فلن تضيعَ أبداً، تحبّبْ إليه بذكره؛ فهو يحبك ويذكرك. نوّرْ سرّك بالتضرُّع إليه يضِئْ من حولك النور سراً وعلناً.

حبيبي أحمد: (يَسْلَملي هالطول... أبوس هالوج ما أحلاه!)

نسكت قليلاً حتى نسكب باقي الدموع...

***

أحمد: أنت مستقيم على الخير بالفطرة، اغتنامك للبكور هداية، نومك المبكر هداية، حبك الزراعة والنبات والحيوان هداية؛ فكن مهدياً هادياً كما سوَّاك ربُّك.

حبيبي أحمد: الصَّلاةَ، الصَّلاةَ، فريضة ربك، وفرجُ همِّك، وضياءُ دربك، وصلاحُ أمرك، فالحفاظ عليها رجولة، وعلى مواقيتها في أولها صدقُ العبودية لله.

حبيبي أحمد: كما يغسل النورُ وجهَ الصباح، كما يغتسلُ الشجرُ تحت المطر، كما يستدرّ الرضيعُ الحليبَ، كما يستحمُّ بالضياء النَّهَر.. توضأ، وقم للصَّلاة في البكور، وأعلن خُضوعَك لربَّ البشر، ورتِّلْ كتابَ العزيز الرحيم يُعزَّك مولاك أبدَ الدهر.

حمُّودة!.. اشتقت إليك قبل أن تغادرنا فماذا بعد؟ كيف أكفكف دمعي؟ كيف أهوي بنومي إلى مَضْجعي؟ كيف وكيف؟! حديثٌ يطول، وجوابه يوم أن تعود.

أحمد يا حبيبي: كلما رأيت الحُسْنَ في الصبايا، كلما التمعت بالجمال المرايا، كلما أفصحت عن القلوب (النوايا) ؛.. تباهَيْتُ بك فخراً بين البرايا، وتحسَّستُ قلبي بين الحنايا.. يا رب بزواج أحمد تمّم مُنايا، طَمْئن قلبك يا حبيبي فحبُّك في سويداء القلب. قبلة على خدّك مع كل صلاة، قبلة على خدك عند كل استحمام، قبلة على خدك عند كل استعلاء على معصية، قبلة على خدك عند كل تلاوة، قبلة على خدك – يا خد الورد – عند كل سانحة تستلهم فيها الرجاء والدعاء.

يا أحمد.. كن جواداً، كن سخياً بكلّ خير، بكل ما تستطيع في وجوه الخير والبر والإحسان. تخيّر لنفسك الطيب من الطعام، واللباس من غير سَرَف، وأبقِ على كل خير فيك، فأنت أنت يا أحمد.

لا خَيْرَ فينا إن لم نكن هُداةً دعاةً لرب ودين، ننشر نورنا في الخافقات، ونعلن دينه في العالمين. تمسَّكْ بإسلامك تنلْ احترام من حولك، وإن لم تفعل فلا خير فيك.

يجربُك أعداؤك.. في صدق قولك، وفي أمانة عهدك، في نظافة يدك وجيبك، وفي ولائك لأمتك، فإن لمسوا فيك هوادة في أحد هؤلاء؛ هانت نفسك عليهم، فما تقوم لنا بعد الهوان قائمة.

احفظ عينيك بنورهما، يحفظ الله لك نورهما حتى يريهما كل خير وعزّ، احفظْ لسانك يحفظِ الله لك طلاقته في الحق، ويجرِه لك بكل صواب. احفظ قلبك عن اتّباع الهوى أنت أولى بنبضاته، احرصْ عليه وجنّبْه العثرات يحفظْك الله ويُجنّبْك العَثَرات.

حبيبي أحمد: تخير إخوانك فهم جزء من هُويتك. إن سألوا الناسَ عنك سألوا عنهم، وإن حُمِدَتْ أخلاقهم حُمِدَتْ أخلاقُك، وإن نسبوا الشرَّ إليهم نالك شرر مما لحقهم، وإن كان لهم عطرٌ نَفَحُوك ريحه، وتطيَّبت بما تطيَّبوا به.

أحمد يا حبيبي: قل لي: مَنْ مِنَ الناس التقيته فبهرك فيه تكامل شخصه!؟ لابد من أنه إن أعجبك فيه وصف؛ ساءك منه أوصاف، وإن أُخِذْتَ منه بجانب صُدِدْتَ عنه بجوانب، أو إن بدا لك منه خلق خفيَتْ عنك منه أخلاق إلا مَن..!؟ إلا رسولَ الله

صلى الله عليه وسلم.

فاعلم يا حبيبي.. أنه ما دقّ وصف بشر في كل كلمة قالها، أو فعل فعله، أو نظرة نظرها، أو سكوت صمت فيه، أو نية أخفاها، أو عتاب أظهره، أو سر أسرّه، أو خطاب أعلنه كما كان في توصيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان أكثر خيراً في البشرية منه.

واعلم يا حبيبي: أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين في كل زمان ومكان، يمكنك أن تجعله قدوة تقتدي بها، وأسوة تتأسى بها، ولا تظن أن اختلاف الزمان والمكان يغير صفات الخير والشر؛ فإن الصدق والعدل والرحمة والإيثار صفات الخير في كل زمان على اختلاف أساليبها، أو تنوع تطبيقاتها.

يا أحمد! ارفع رأسك وإن بهرتك مظاهر حضارتهم، ارفع رأسك يا حبيبي عالياً فما دالت الدولُ لنا إلا لما خفض أبناؤهم رؤوسهم، وأنزلوا راياتهم، وما دالت الدول لهم إلا لما نامت أمجادنا على كتف التاريخ، ولم تعش بذاكرة أبنائنا.

الأرض تحنُّ إليك فاسجد واقترب..، حروف التَّسبيح تعشق أن ينطقها لسانك.. فسبِّح ورتِّل وأعْلِ صَوْتَك، قف بقامتك إلى الصلاة، ناجِ مولاك فأنت عبده، بحاجة إلى رحمته.. وفي غربتك.. ولو كنت بين أهلك.

أحمد يا حبيبي: فكِّرْ قبل أن تقدم على أي عمل.. كما عوَّدتني من نفسك.. فكّر برضوان ربك.. فكّر بشفاعة حبيبك لك.. فكر بدعاء أبيك وتضرُّعه، فكّر بأمك وقلبها الذي كاد أن ينخلع. فكِّر وتأمل: خطوك صحيح، وعقلك راجح، لأنك أحمد.

أدخلُ إلى غرفتك وأنت نائم كل ليلة، أقبِّلُ رأسك، أقرأ وأدعو ثم أمضي. ويدخل والدك عند الفجر يوقظك، ويخبرك أخبارَ الليلة، وبرامجَ اليوم الجديد، إلى أن تصلي صلاة الفجر، ثم يبدأ يومك الحافل.

نم كما أنت، واستيقظ كما أنت، وانبعث كما أنت.. صافياً نقياً، واثقاً تقياً.. أبداً أبداً يا حبيبي■

أمك: رفاه أحمد مهندس
قبيل فجر السبت:
٣ رجب ١٤٣٠هـ
٢٠٠٩/٦/٢٧م.

جامعة الأميرة نورة في مدينة الرياض

الدكتورة بدرية المعتاز لمجلة (الأدب الإسلامي):

لست مع فتح باب تلقي المناهج والفنون الغربية على مصراعيه، ولست مع الرأي الذي يرفض التجديد

حوار: منيرة السيف – السعودية

بدرية بنت عبدالله المعتاز: عينت معيدة في كلية الآداب، ثم تدرجت لمحاضر، فأستاذ مساعد، فأستاذ مشارك، ثم نالت درجة الأستاذية (بروفيسور) في الأدب العربي القديم. حازت درجة الماجستير في فلسفة الأدب والنقد، ثم حصلت على الدكتوراه في فلسفة الأدب والنقد، وقد تولت مناصب إدارية عديدة، مثل: عضو مستشار في وحدة الجودة بكلية الآداب في جامعة الأميرة نورة بالرياض لمدة ست سنوات، ووكيلة مساعدة لرئيسة الجودة في كلية الآداب، وعضو لجنة الاستقطاب العلمي في كلية الآداب بجامعة الأميرة نورة، وعملت رئيسة لقسم اللغة العربية وآدابها سنوات عدة، وترأست الجمعية العلمية للغة العربية. وقد حازت على العديد من شهادات الشكر والتقدير مثل: شهادة شكر وتقدير من الملك سلمان حين كان أميراً لمنطقة الرياض، لمشاركتها في أسبوع المرور، وشهادة شكر من الجمعية العلمية للغة العربية وآدابها للمشاركة في اليوم العالمي للغة العربية، وشهادة شكر وتقدير من وكالة الكليات في جامعة الأميرة نورة لمشاركتها في مئوية المملكة، فإلى اللقاء:

■■ **ماذا يعني الأدب للمتلقي في وقتنا الحاضر؟ وما الذي بقي من تأثيره السابق؟**

■ المتلقي للأدب في وقتنا الحاضر ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: ينتمي صاحبه إلى الثقافة والعلم فيرى تحول الأدب إلى المعالجة السطحية، ويشوبه الضعف والملل، لذا لا يتبقى منه إلا القليل. والقسم الثاني: بعض عامة الناس تقبل عليه بسبب ما يسبقه من حملات إعلانية وتسويقية.

■■ **في تلقينا للمناهج والفنون الغربية بحث دائم عن مفقود، في ظنكِ ماذا نفتقد لنستورد كل هذه الأفكار؟**

■ لست مع فتح باب تلقي المناهج والفنون الغربية على مصراعيه، ولست مع الرأي المتزمت الذي يرفض التجديد، ولكني مع المناهج والفنون التي تخدم الأدب والمجتمع، فالمناهج الحديثة أصابت بعض الأفكار بالانحلال، فانظري مصير بعض أهل الفكر والأدب؛ أصابتهم تلك المناهج بلوثة عقلية حتى أخرجتهم عن الدين!. نعم لتطور الفكر، نعم لتطور المناهج بطريقة لا تجعلنا نغرق في لجة طغيان الإلحاد.

■■ **الفلسفة الأدبية إن صح المصطلح؛ هل تحتاج آدابنا العربية لفلسفات خاصة من حيث تركيبها، وجملها، وموضوعاتها تسبر الفكر والمجتمع؟ وماذا سيفيدنا ذلك؟.**

■ الفلسفة الأدبية موجودة في بعض مصادرنا، ولسنا بحاجة إلى فلسفة أدبية.

■■ **هل سيصبح النقد العربي مشاركاً بدلاً من أن يكون متلقياً في يوم ما؟**

■ سيصبح -بإذن الله- النقد العربي مشاركاً لأن أمتنا العربية مليئة بالعقول، والفكر الثاقب.

■■ **النقد مهمة الناقد، وربما كان هو الوسيط المقرب للنص؛ ما رأيك بمن يقول: مهمة الناقد الوقوف عند الحدود الجمالية؟**

■ هذا ما تدعو له المناهج الحديثة، وأنا لست مع هذا الرأي، لأن الناقد لابد أن يستجلي ما وراء النص، ويستلهم سبب نبوغ الأديب، والعذوبة، والمعاني التي تفيض بزخم من الجمال الفني.

■■ **رأي الدكتورة بدرية بمناهج النقد الحديث من حيث الديمومة والاستمرار؟**

■ يوماً ما سيأفل نجم النقد الحديث، لأن الدراسات النقدية في كل مرة تثبت فشل أحد المناهج فيلجؤون إلى منهج جديد.

■■ **العامية تقع في مساحة بين أمتين أمة تراها لغة فصيحة في أغلبها بيضاء مفهومة، وأمة تراها سبب لإقصاء الفصحى، ما رأيك؟ وهل يقلقك**

طغيان العامية واعتمادها غالباً في الإعلانات والبرامج؟.

■ اللغة العربية الفصحى مفهومة عند الخاصة والعامة، وعند العرب جميعاً، ودليلي على ذلك التزام جميع المحطات الإذاعية، والتلفازية بنشرة الأخبار بلغة الضاد، أضيفي إلى ذلك قبل عدة سنوات مضت كانت المسلسلات المترجمة تُعرض بالعربية الفصحى، وكان الجميع يتابعها، وطبعاً مؤلم جداً، وهذا ما نراه اليوم من اهتمام بالعامية، آه يا ابنتي لم أجد شعباً يهزأ ويسخر من لغته سوى العرب، الكل يفتخر بلغته سوى العرب، نرفع مستوى العامية ونمنحها أعلى المناصب في وسائل الإعلام، ونتجاهل لغة الضاد، ولا ندرك أننا نحدث فجوة عميقة بيننا وبين اللغة.

■■ في نظرك هل تقترب الفصحى من الجيل القادم أم تبتعد؟

■ تبتعد الفصحى من الجيل القادم ابتعاداً عظيماً، وستبدو غريبة إن لم نتدارك الأمر، ونتمسك بلغتنا، ونعتز بها، فعلينا تعليمهم كيف يفتخرون بها كما يفتخر الغرب واليابان بلغتهم، شهدت ذلك في دولة الفلبين منذ مرحلة الروضة.

■■ قضت الدكتورة بدرية سنوات في التدريس الجامعي، لو كان لك يد في التغيير ما الذي سيتغير؟

الذي سيتغير – وأرجو تحقيق ذلك–:

* الاعتزاز والفخر بقسم اللغة العربية وآدابها.
* لا يلتحق بالقسم إلا من تتقن اللغة كتابة ونطقاً.
* الالتزام بالتحدث باللغة الفصحى، وتشجيع الطالبات على التحدث والمشاركة باللغة الفصحى.
* إلغاء التصحيح الآلي لمادة الأدب العربي، والنحو، والصرف..إلخ.
* إدخال المعامل الصوتية في تدريس اللغة.
* الجمع بين طريقة التدريس النظري والتطبيق العملي؛ حتى تتميز الطالبة بشخصية علمية قوية.
* التبادل الثقافي بين المملكة والدول الأخرى المهتمة بتعليم اللغة العربية.
* إعداد مناهج خاصة لمعهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين والناطقات بها للمرحلة الجامعية بحيث نركز على مجال الدعوة، وطرق تدريس اللغة العربية.
* تحذف جميع المواد العامة التي لا تحتاجها.

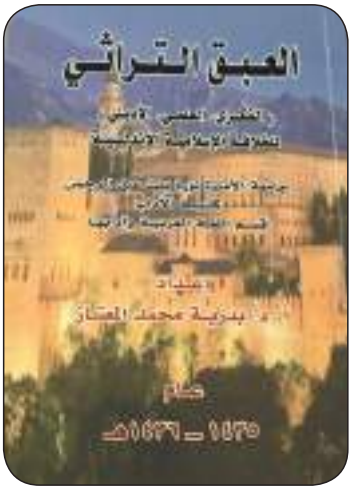

■■ ألَّفت الدكتورة بدرية عدة كتب، فما هي؟ وما موضوعاتها؟ وأيها أقرب لنفسك؟

■ ألَّفتُ بحوثاً علمية، وكتباً كثيرة منها: «قوافل» وهي مجموعة

من المقالات المتنوعة في شتى المجالات، والحسد في نبض الشعر، والصبر في الشعر العربي، وفاطمة القرني شعرها دراسة أدبية نقدية.

■■ هل التأليف الأدبي من حق الجميع؟ كيف تنظر الدكتورة بدرية إلى ثورة التأليف الحاصلة حالياً؟

■ في نظري لا، ليس من حق الجميع التأليف الأدبي، لأن ما نراه الآن لا أسميه تأليفاً، فبعضه ينتمي إلى تفاهة أدبية ويشوبه الضعف، لأن التأليف لابد أن يتميز صاحبه بموهبة أدبية صقلها العلم، وغذتها الثقافة، فثورة التأليف حالياً أعتبرها طفرة أدبية ستنطفئ يومًا، لأن الأدب تحول لسلعة تجارية هدف صاحبها الشهرة والمال.

■■ هل ترين التصنيف في الأدب بين الرجل والمرأة، وتسمية ما تكتبه المرأة «أدباً نسوياً»؟ وماذا يعني هذا التصنيف؟

■ هذه التسمية أعدها تسمية خاطئة؛ فلم نسمع، ولم نقرأ من قبل أدباً نسوياً أو ذكورياً، الأدب أدب، نص يعالج قضية ما، أو يعرض فكرة؛ بغض النظر عن جنس المؤلف رجلاً كان أو امرأة.

■■ هل تؤيدين الأدب النسوي الثائر الغاضب؟

■ لا يوجد ما يسمى أدباً نسوياً؛ إنما هو أدب عرضت المؤلفة فيه رأيها الشخصي، فطغت العاطفة على العقل والكتابة المنطقية للموضوع، وأنا ضد كل فكر يدعو إلى أفكار لا تتماشى مع مبادئنا الدينية، والعادات والتقاليد، نعم للحضارة الفكرية الهادفة إلى رقي المجتمع والفكر.

■■ لو سألت عن قضية حاضرة في فكر الدكتورة بدرية دائماً، ما هي؟

■ قضايا عديدة تشغل بالي، وأتمنى لو نستطيع تقديم شيء لكل مسلم قلبه شغوف بحفظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، وتعلم اللغة العربية، ونشر الدعوة الإسلامية في بلدان مثل: كازاخستان، والهند، وبنقلاديش، وإندونيسيا...، وقد شهدت ذلك بنفسي من خلال رحلتي إلى كازاخستان والالتقاء بأهلها.

■■ ماذا يتبادر في ذهن الدكتورة بدرية عندما ترى طلاب الدراسات العليا؟

■ المرأة في المجتمع اليوم اختلفت عن المرأة في الزمن السابق؛ في السابق كان بيتها هو هدفها الأساسي، فالتربية والتعليم تحت إشرافها، فنشأ جيل المناصب في شتى المجالات، أما اليوم فالجيل يغذى بثقافات وعادات أعجمية، والمرأة أتيح لها عدة مجالات في العمل، وقدمت في التوظيف على الرجل، ومع ذلك نجدهم يطالبون بالتحرر، وكأننا نعيش زمن الجاهلية والعبودية! هل تريد المرأة طمس هوية الرجل العربي المسلم!؟ ■

طلع الفجر

رمضان عبد الله إبراهيم – مصر

قل لي من هذا المصباحُ؟ ... من هذا الفجر اللمَّاحُ؟
مَنْ شمس قوافينا، قل لي ... من بدر الليل الوضَّاح؟
مَنْ سحر الدنيا.. زينتها ... من عطر الكون المنفاح؟
مَنْ سر الأسرار إذا ما ... مرت نسمته تنداح
إن يُغْلَقْ باب ملامحنا ... فلماذا هذا المفتاح؟
قل لي: مَنْ؟ ولماذا دهراً؟ ... يتنافس فيه الشرَّاح
كُتُبٌ عن سيرته ألْفٌ ... مليونٌ متنٌ إيضاح
هل كان زعيمًا أو ملكًا ... حتى تعشقه الأرواح
مهلاً يا منيةَ أزماني ... فهو الإبلاج الإصباح
كحلٌ للعين وبهجتها ... ذا نجم بصائرنا البوَّاح
لو غابت عنا نضرته ... فالنفس ظلام أتراح
شوقتَ الروح لطلعته ... أفصحْ، ما شعرك إفصاح
أتجيب سؤالاً بسؤال ... قل لي: من هذا الفواح؟!
في مدرستي في تلفازي ... يتبارى فيه المُداح
في السيارة في السوق بجا ... مِعِنا يرفعه الصُّداح
سأجيبك، أنصتْ، لا تعجلْ ... ولدي في الصبر المفتاح
إن خيَّم في عمرك ليلٌ ... ماذا تفعل يا رمَّاح؟
يعجلُ، أضغطُ زراً ما يمـ ... ـحو العتمةَ إلا المصباح
فالممدوح هو المصباح ... ضوءٌ صحبتُه أرباح
لو شبَّ بروعك خوفٌ مَنْ ... تسأل لو طافت أشباح؟
بالفطرة أدعو مبتهلاً ... مَنْ غير إلهي الفتَّاح؟
ذا رحمته وهديته ... للحائر فجرٌ وصباح
أسؤالي لغزٌ وفوازيـ ... ـرُ، جوابك يكسوه وشاح؟

أفصِحْ إني أتململ ذا ... ردُّك مثل الماء قَراح
هذا يا ولدي أول دَرْ ... سٍ علمنيه الشُّراح
أن ترفع هيبة أشياخ ... تاجاً إن جاؤوا أو راحوا
أن تستر بالصبر عُواراً ... درسٌ ثانٍ فيه فلاح
يا أبتي أتعلم لكن ... قل لي: مَنْ هذا النفَّاح؟
أما الدرس الثالث ولدي ... شامتُه صدقٌ وسماح
أما الرابع والخامس والـ ... ـنبع رسالته الإصلاح
إن هبت ريحٌ.. إعصارٌ ... بسمته الحل المفتاح
مدرسة التقوى فتخرجْ ... فيها فالمنهاج صلاح
إن تمسِكْ خيطَ معانيه ... سترفرف فوقك أفراح
بِشْرٌ وسلامٌ مأمونٌ ... يدُه عند الجود رياح
نبراسُ الصدق، وجيرتُه ... شرفٌ والشهرة صفَّاح
يا أبتي أتعلم لكن ... نِعْمَ التفسير الإفصاح
شوقتَ العينَ لرؤيته ... قل لي: أين يعيش المنَّاح؟
حتى أنهل من ينبوع ... ساحلُه البرُّ الإصلاح
يتبسم ولدي، في قلبي ... يحيا مسكنه الأرواح
أبتي مازلتَ تراوغني ... مَنْ أبتي النجمُ السبَّاح؟
ذا درسٌ آخر يا ولدي ... من يتعَبْ يطلُبْه نجاح
تعب الأستاذُ بدعوته ... رحلتُه صبرٌ وكفاح
فاتعَبْ يعرِفْك الهادي يو ... مَ تطايرُ فينا الألواح
أبتي هل تقصد هادينا ... مبعوثُ النور المسماح
مَنْ نمدحه في كل أذا ... نٍ، عطرُ الدهر الفواح
نقتربُ الآن حبيبي مَنْ ... مَنْ غيرُ الصادق مفتاح؟
مَنْ شمسُ قوافينا ولدي؟ ... مَنْ غيرُ حبيبي المصباح؟
مَنْ عبدُ الله معلمُنا؟ ... في روح هوانا يندا
أجهدتَ فؤادي يا أبتي ... درسُك نضَّاخ لمَّاح
روضتَ جموحي هرولتي ... طلعَ الفجرُ انْبلجَ صباح

دور الأدب القصصي في تربية الأطفال وجهود أبي الحسن الندوي فيه

د.شفيق أحمد خان الندوي – الهند

الأدب تعبير جميل عن شعور صادق بصورة موحية؛ وله عناصر: أولها حسن الاتزان بين اللفظ والمعنى، ثم العاطفة بما فيها القوة، والصدق، والسمو، فالأخيلة وتعدد صورها، مع جمال الإيقاعات الصوتية والنبرات الموسيقية العذبة. ولما كانت القصة نوعاً من الأدب فإنها كالعادة تتسم بالعناصر الأربعة المذكورة أعلاه؛ بالإضافة إلى التزامها بشروط جودتها في روعة العنوان، والاستهلال، والحدث، والحبكة، والحوار، وأدوار الأشخاص، والزمان والمكان، والعقدة، والحلّ عن طريق الإيحاء الخاص بهدي القارئ إلى صراط سوي معروف مستقيم، واجتناب الغيّ والمنكر والضلال بصورة تلقائية؛ من غير صراحة ووضوح.

ولا يخفى على أحد أن الأدب القصصي يؤدّي دوراً فعّالا في تهذيب النفوس وتثقيف المجتمع، فالمعلم المربي يتمكن عن طريق القصة، من تصحيح ما اعوجّ في أخلاق الدارس وتوجيهه إلى الصراط المستقيم المؤدّي إلى فلاح الدنيا والآخرة، فيوصله إلى ذروة الكمال التي لا يمكنه تحقيقها بأسلوب صريح من الأوامر والنواهي.

يعتبر الإسلام القصة وسيلة فعالة في خدمة الحياة الاجتماعية، وتثبيت العقيدة، وتهذيب الأخلاق، لذا فهو يركز عليها تركيزاً وافراً،

(*) رئيس قسم اللغة العربية وآدابها؛ الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي سابقاً.

ويعدها من أحسن الطرق لمعالجة مشكلات الحياة، واستخدمها القرآن في كثير من الأغراض، وفيه سورة معروفة بسورة القصص، استخدمها الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم في سبيل الدعوة إلى الله، وإصلاح المجتمع.

وقد اهتم المربّون المسلمون في العصر الحاضر بهذه الفكرة، وتقدموا بإنجازات ملحوظة، أشهرها قصص الأستاذ علي الطنطاوي وقصة الدكتور نجيب الكيلاني (الشيخ صابر) لأنها تدعو إلى الإيمان بالغيبيات والاعتراف بعجز العقل عن تفسيرها أو محاولة معرفة الأسرار الكونية الكبرى.

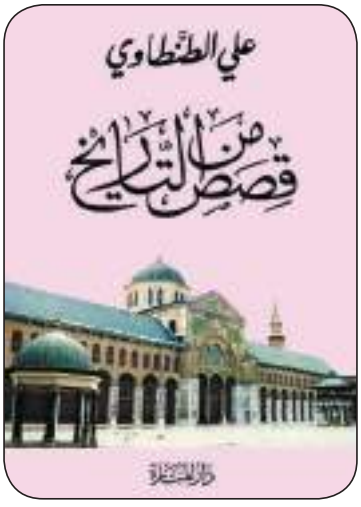

والمكتبات العربية مليئة بكتب القصة للأطفال، وسلاسل قصصية لنشر كتب القصة أهمها: سلسلة «أنا أقرأ» (مكتبة لبنان) بمشاركة شركة بريطانية لإخراج كتب الأطفال القصصية المصورة، وسلسة قصتي الجديدة لوصفي آل وصفي (المكتبة العالمية، القاهرة)، وسلسلة النجوم الصغيرة (دار الفتى العربي، بيروت)، وقصص ملونة (مكتبة دار شرق، بيروت)، وروضة الأطفال وأولادنا (وزارة المعارف المصرية)، وسلسلة حكايات كليلة ودمنة، وحكايات بابا نجيب (القاهرة، مصر)؛ بالإضافة إلى قصص كامل الكيلاني، وعطية الأبراشي، وعبد العزيز عبد المجيد، وعلي الطنطاوي، وحسين حسون، وإبراهيم مصطفى، ومحمد سعيد العريان..؛ نستطيع أن نستخدمها في تعليم اللغة العربية للأجانب، وتنمية المهارات اللغوية لأهلها كذلك.

أمّا بالنسبة إلى بلادنا (الهند) فإنها معروفة بتوظيف القصة للإصلاح الاجتماعي، وترسيخ جذور القيم الخلقية في النفوس. وعلى سبيل المثال مجموعة قصص هندية قديمة «كليلة ودمنة» للفيلسوف الهندي «بيدبا» الّتي عرّبها أديب العربية في العصر العباسي عبد الله بن المقفع. واستمرّ هذا التقليد عبر العصور حتى العصر الحديث بأقلام المربّين المهتمين بإعداد المقررات الدراسية للطلاب الهنود من أمثال الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي، والدكتور محمد لقمان السلفي، والدكتور ف. عبد الرحيم، والشيخ محمد الرابع الحسني الندوي، والدكتور عبد الله عباس الندوي، وكاتب هذه الأسطر ونحوهم.

قام الشيخ عبد السلام القدوائي في بداية الخمسينات، بإنشاء معهد التعاليم الإسلامية في لكنؤ مع زملائه علي أحمد كياني، واحتشام علي رحيم آبادي، وعبد الغفار الندوي، ومشير الحق البحري آبادي (المعروف بالبروفيسور مشير الحق). فأعدّوا كتباً قصصية كثيرة لتعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية عن طريق القصة. شارك في نشاطات المعهد شيخنا الجليل أبو الحسن الندوي مشاركة فعّالة. فإنهم بذلوا جهودا جبارة في سبيل تعليم القرآن والسنة واللغة العربية بواسطة استخدام القصص التربوية، وخلفوا لنا تراثاً ملحوظاً في هذا المجال.

كان الشيخ عبد السلام القدوائي الندوي (مدير الشؤون الإسلامية الأسبق بالجامعة الملية الإسلامية، ومدير التعليم والتربية في جامعة ندوة العلماء بلكنؤ سابقاً) مولعاً بتدريس القرآن الكريم وتفهيمه عن طريق القصص والحكايات. فقد ألّف كتباً سهلة بسيطة باللغة الأوردية لتعليم اللغة العربية عن طريق الآيات والسور القرآنية ومن ضمنها عشرة دروس للغة العربية، والكتاب الأول، والكتاب الثاني، والكتاب الثالث لفهم القرآن الكريم.

لنأخذ مثلاً الدرس العاشر من الكتاب الأول الذي ينبني على الآية: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ... إلخ (٦ آيات) لغاية – هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ». تمارينها تشتمل على ممارسة الترجمة، وشرح المفردات اللغوية، وتوضيح القواعد النحوية والصرفية، وتقديم قصة وجيزة مبنية على قاعدة نحوية، وطلب ترجمتها من العربية إلى لغة الدارس وبالعكس. وإدخال قاعدة معينة، منطبقة على ذلك. والحكاية أو الأقصوصة التي ذكرها المؤلف –رحمه الله– في تدريس لغة القرآن والتربية الخلقية للمتعلم، على سبيل المثال كالآتي:

«ولد فقير كان جالساً في الطريق، يأكل خبزاً، فرأى كلباً نائماً على بعد، فناداه، ومدّ له يده بقطعة من الخبز، حتى ظنّ الكلب أنه سيعطيه منه لقمة، فقرب منه ليتناول الخبز، فضربه الصبي بالعصا على رأسه، ففرّ الكلب، وهو يعوي من شدّة الألم، وفي ذلك الوقت –كان رجل يطلّ من شباكه، ورأى ما فعل الصبي، فنزل إلى الباب ومعه عصا خبّأها وراءه، ونادى الصبي وأبرز له روبية، فأسرع ومدّ له يده ليأخذ الروبية. فضربه الرجل بالعصا على أصابعه، فصرخ الولد صراخا عالياً، وقال للرجل: لماذا ضربتني وأنا لم أطلب منك شيئاً؟ فأجابه الرجل: ولماذا ضربت الكلب وهو لم يطلب منك شيئاً؟ فجزاء سيئة سيئة مثلها!».

الشيخ أبو الحسن الندوي

وأخيراً؛ فإنه تقدم بحكاية أوردية، كذلك، مبنية على الماضي والمضارع واستيعاب صيغها استيعاباً كاملاً. وهكذا تناول جميع الدروس بكلّ ما فيها من تدريبات وتمارين لغوية.

أمّا شيخنا أبو الحسن علي الحسني الندوي –رحمه الله– عميد الأدب الإسلامي، ورائد اللغة العربية في الهند الحديثة، فإنه بذل جهوداً وجيهة في سبيل ترويج اللغة العربية وأدبها للأطفال بهدف تهذيبهم الخلقي، وتربيتهم تربية صالحة. فقد قام بإعداد منهج دراسي للأطفال؛ بما في ذلك قصص النبيين للأطفال في أربعة أجزاء، بالإضافة إلى «سيرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم» الجزء الخامس لهذه السلسة، التزم فيها بأربعة أمور:

– أن تكون ثروة الألفاظ في القصة قليلاً، ولكنها تنقش في ذهن الطالب بكثرة التكرار والإعادة.

– أن يكون الكتاب في اللغة القرآنية، وتوضع

الآيات الكريمة في مجالها كالفصّ في الخاتم.

- أن يشتمل على تعليم العقائد الأساسية (التوحيد والرسالة والمعاد)، وتلقنها للطالب بطريقة عفوية.
- أن تبسط القصص وتزوّد الأطفال بما يكرّه إليهم الكفر والشرك والمعاصي، ويحبّب إليهم الإيمان والعقيدة ويرسخ فيهم الاعتقاد بعظمة الأنبياء، وجلالة مكانتهم. وكلّ ذلك بطريق لا يشعر الطالب بثقله، وأنه يلقى عليه، بل يتلقاه ضمناً وعفواً وينسجم معه.

وقد نالت هذه المجموعة القصصية قبولاً حسناً لدى المربّين المعنيين بأدب الأطفال.

وإليك الدرس الأول من هذا الكتاب نموذجاً للدروس القصصية، وهو من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

« من كسر الأصنام؟
قبل أيام كثيرة، كثيرة جداً.
كان في قرية رجل، رجل مشهور جداً.
وكان اسم هذا الرجل آزر.
وكان آزر يبيع الأصنام.
وكان في هذه القرية بيت، بيت كبير جداً.
وكان في هذا البيت أصنام كثيرة جداً.
وكان الناس يسجدون لهذه الأصنام.
وكان آزر يسجد لهذا الأصنام.
وكان آزر يعبد هذه الأصنام.»

وتقدمت معاهد ومدارس في المملكة العربية السعودية والبلدان العربية وغير العربية الأخرى، فأدخلت هذه المجموعة القصصية في مقرراتها الدراسية، والجزء الأخير «خاتم النبيين عليه السلام» يدرس في شعبة تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وتقدّم شيخنا الجليل بمجموعة أخرى من حكايات الصحابة وغيرهم –رضي الله عنهم ورحمهم– بلغة سهلة وأسلوب شيق بعنوان: «قصص من التاريخ الإسلامي للأطفال» (من إصدار رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض)، مراعياً فيها عقلية الأطفال، ومستواهم لكي يتيسر لهم الاستمتاع بذلك من غير سآمة وملل. والمجموعة كلها بالإجمال تهيئ أجواء ملائمة للتذوق والتشويق، والتقريب، والتعود على القراءة والتعلم بجنب رفع معنوية الطفل القارئ، وبناء الخلق النبيل، والعقيدة القويمة.

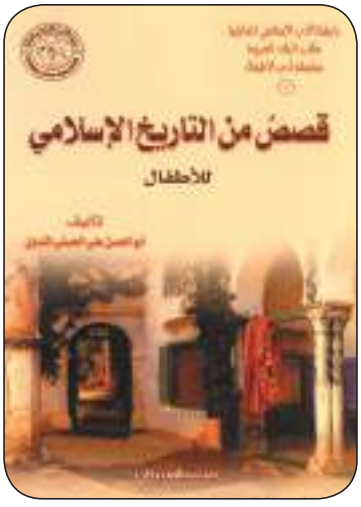

هذا، وقد ألّف شيخنا كتاباً في ثلاثة أجزاء وهو «القراءة الراشدة» جمع فيها ثمانية أجناس من الأدب للنشء وهي القصة، والسيرة، والحوار، والمقالة، وأدب الرحلات، والخواطر، والوصايا والمواعظ، والشعر. وذكر أنه يقصد من هذا التنوع تنشيط الطالب، والإضافة إلى معلوماته كذلك.

إنه قام بمحاولة تربوية جادة لإشباع ميول التلاميذ، وأعدّ قصص الأنبياء والمرسلين في أجزاء عدة بأسلوب سهل يوافق التلاميذ وإلماماتهم في المرحلة الأولى بتعليم اللغة العربية، وحاكاها في أسلوب الأطفال وطبيعتهم، فلجأ إلى تكرار الكلمات

والجمل وسهولة الألفاظ، وبسط القصة، فنالت هذه السلسلة القصصية الصادقة قبولاً حسناً في المقررات الدراسية العربية، ولها فضل كبير في تعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الهند وفي خارجها. قدم لها الدكتور أحمد الشرباصي أحد علماء الأزهر الشريف فقال:

«القصة لون جميل من الحديث، يستلفت الأسماع، ويستهوي القلوب، فإذا كانت القصة دينية قوية الأسلوب، محكمة النسيج ازدادت بها روعة وتضاعف تأثيرها في النفوس والأرواح. والاسلام الحنيف بقرآنه المجيد وسنته المطهرة وتاريخه الطويل ممتلئ بألوان القصص والأحاديث والمواقف والعبر والعظات؛ مما يعد خير زاد يوضع بين الناشئين من أبناء المسلمين، حتى يقوم بنيان أرواحهم وعقولهم على أساس متين من هدى القرآن ونور النبوة، وصفات البطولة ومكارم الأخلاق، وحتى يغترفوا مع ذلك من مناهل المعرفة الصحيحة والأنباء الصادقة والحقائق التاريخية الثابتة التي لم تتطفل عليها يد الخيال أو براعة التزوير. ولعل القرآن الكريم قد أشار إلى هذا حين قال: « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ» (سورة يوسف: ٣)، وحين قال:

أحمد الشرباصي

«لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ.» (سورة يوسف: ١١١)

ولقد أحسن أخونا الداعية الإسلامي المخلص الأستاذ المفضال السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي. أحد علماء الهند الأماثل، حين طرق هذا اللون من الكتابة فقدم إلى الفتيان المسلمين في الهند مجموعة من القصص الإسلامي المستمد من وحي الكتاب المجيد، لأنه يحقق بذلك غرضين كريمين: الأول منهما هو إمداد الشبيبة المسلمة بما تطمح إليه من غذاء روحي وعقلي يرضي العواطف..، والثاني هو تمكين القواعد اللغوية في صدور هذه الشبيبة حتى يوثق الصلة بلغة القرآن ولغة الحديث ولغة التاريخ الإسلامي في أغلب نواحيه.

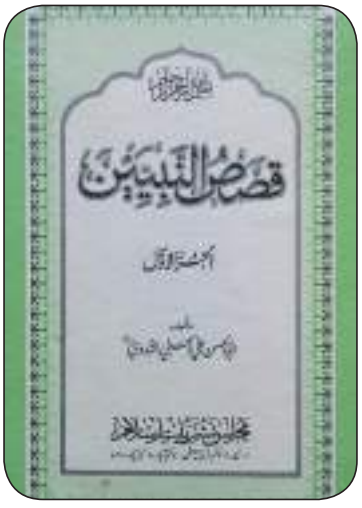

وقد اضطر المؤلف أن يبسط الحديث، ويختار من الجمل أيسرها وأهونها مجاراة منه لمستوى الأطفال الذين سيقرؤون هذه القصص، كما اضطر إلى التكرار في مواطن كثيرة لأنه لا يسرد فحسب، بل يعلم مع ذلك لغة، وتعليم اللغة يحتاج إلى الإعادة والتكرار حتى تتثبت الألفاظ وترسخ التعابير.

ولا شك أن تتابع هذه المجموعات من أخينا أبي الحسن سيؤلف ركناً كبيراً من مكتبة الأطفال المسلمين في الهند؛ مما سيكون له أكبر الأثر في تثقيفهم ثقافة إسلامية عربية تجعلهم أهلاً للنهوض بواجباتهم في حياتهم على الوجه القويم والأسلوب الحكيم.»

أما أسلوبه فإنه سهل وميسور ينسجم مع طبيعة الأطفال مع مراعاة نفسيتهم وميولهم وإلماماتهم، يهتم بالجمل القصيرة غير المعقدة من غير إهمال النمو العقلي واللغوي والثقافي للأطفال وللنشء مع الالتزام بمبدأ التدرج من السهولة إلى الصعوبة. وإذا تأملنا في عمله وجدنا أنه استخدم أموراً فنية أهمها مقدمة مشوّقة تبتدئ بالاستفهام حيناً، وبالأسلوب الإنشائي الممتع حيناً آخر، فمثلاً: هل سمعت سفينة تسير على البرّ؟ وهل تصدق إذا أخبرك أحد؟ أو: ترون أمامكم صورة مسجد، هذا مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، هل تعرفون من خبر هذا المسجد شيئاً؟ أو الدرس الذي عنوانه «المنارة تتحدث» يريد بها منارة قطب تتحدث عن تاريخ أمجاد المسلمين في دلهي.

أما بالنسبة للتكرار والإعادة وضرب الأمثلة؛ فإنها أكثر نفعاً في مثل هذه السنّ المبكرة من الواجبات المنزلية المرهقة، وتصير كالمسك إذا كرّرته يتضوّع.

هذه لمحة خاطفة من الأدب القصصي التربوي العام وجهود سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي وبعض زملائه في سبيل تربية النشء وتدريبهم على اللغة العربية عن طريق الأدب القصصي، وتحبيب الثقافة الإسلامية إلى قلوبهم قدر المستطاع■

وأخيرا ملك القلبين معاً

د.عبد الله رمضاني - المغرب

وجد الباب مفتوحا، خرج دون أن يتلفت، وسار بين الأزقة إلى أن رأى أمامه طريقا طويلا.. «إنه طريق طويل لا ينتهي، كيف ستجتازه؟» هكذا كان يردد سعيد.

كان سعيد يشعر بضيق ثقيل يخنق صدره، لا يدري كيف يتخلص من هذا الغم الذي صار كابوسا لا يفارقه أينما حل وارتحل..

كانت أمه تدلله فوق العادة، لأنه هو الوحيد لديها، حتى كان يسمى بين أصدقاء الحي (ولد الباتول). وكان الجميع يحب أن يناديه بهذا الاسم. كما كان لا يستطيع أحد منهم أن يمسه بأذى، لأنهم كانوا يعلمون جيدا مدى سلاطة لسان أمه، فقد كانت كالرجل في مواجهة كل من يحاول التعرض له بسوء، وهم كانوا كذلك يبجلونها ويحترمونها، وقد كانت بالنسبة إليهم كأم الحومة أو الدرب..

سعيد ولد وسيم، متوسط القامة، لونه أسمر، لا يتجاوز عمره ثلاثة وعشرين ربيعا, كان يحب لعب كرة القدم ويعشق السمر مع أصدقائه. كان يكثر الذهاب مساء إلى البحر، حيث كانت المناظر الطبيعية المطلة على البحر تغريه وتجذبه، كما كانت تخلب لبه تلك السفن

والبواخر المتجهة نحو إسبانيا. فكلما رأى باخرة تنهد وقال:

ليتني كنت راكبا على متنها، وكنت من بين المهاجرين صوب أوروبا.. كان يرى فيها الخلاص لمشاكله وهمومه وأحزانه. كل من يراه وهو يتنهد يخيل إليه أنه لا يجد لقمة يسد بها رمقه، أو أن أهله ينتظرونه لإعالتهم والقيام بخدمتهم.

لقد كانت أحزانه وهمومه تتضاعف كلما سمع أن أحدا من أبناء الحي هاجر إلى إسبانيا بطريقة مشروعة أو غير مشروعة.

ظل سعيد مدة طويلة على هذه الحال، وأمه كانت بين الفينة والأخرى تواسيه وتخفف من آلامه وأحزانه. خرج سعيد وأدار الظهر لكل الهموم والمشاكل، لم يفعل ذلك إلا لكونه يريد التخفيف عن نفسه ومواساتها:

– «لست وحدي في العالم، أنا نموذج متكرر في كل المجتمعات التي تعاني الفقر والبطالة!» هذا ما كان يردده سعيد دائما، غير أنه كان ذا طموح كبير، ولم يكن متشائماً، بل كان يراوده الأمل دائما في أنه سيأتي يوم ما تنفرج فيه هذه الأزمة، وتنقشع فيه هذه الغمة.

كانت أمه تخاف عليه أن تتلبسه الكآبة، ويستحوذ عليه القنوط واليأس، ثم تهجم عليه فكرة الانتحار كما حصل لأحد أبناء الجيران.. إنها كانت تتوجس خيفة من ذلك كله، إلا أنها كان يساورها إحساس ما أن ولدها لن يفكر في ذلك. إنه مجرد خوف، خوف فقط! «إن ولدي لا أظنه يجرؤ على فعل ذلك.. قد يفعل كل شيء إلا الانتحار».. هكذا كانت الأم تحدث نفسها باستمرار كلما انتهت من أعباء البيت واستراحت.

كانت تسيطر عليها كل هذه الهواجس والوساوس، وقد كانت تجد في التهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم متنفسا لها وتفريجا لكربتها. كانت امرأة متدينة وقوراً وكتوماً للأسرار، ولها غيرة كبيرة على الحي وساكنيه. فقد كانت في كثير من الأحيان تُسْتدعى للتدخل في فض بعض النزاعات الزوجية وجمع الشمل بين الزوجين، وفي بعض الأحيان كانت تستشار في مسائل الزواج أو الخطبة، عمرها لم يتجاوز بعدُ الستين سنة، لكن مظهرها الخارجي لا يوحي بعمرها الحقيقي، فهي تبدو كأنها لم تكمل بعد عقدها الخامس.

كان من عادة سعيد أن يستيقظ باكراً رغم أنه كان ينام متأخرا. ومن عادته أيضا أنه كان قبل أن يغادر المنزل يقبل رأس أمه، ويطلب منها أن تدعو له بالفرج العاجل، ثم كان يردد قائلا: «لو كان أبي حيا لما صرت إلى ما أنا فيه!».

ذات مرة، وهو يستعد للخروج إذا به يسمع جرس الباب يرن بقوة ثلاث مرات. فرد سعيد بصوت مرتفع: «أنا آت» ظناً منه أن أحد أصدقائه ينتظره كالمعتاد. لكن الجرس ظل يدق بقوة متزايدة.. فخيل إليه ربما أنهم رجال الأمن هم الذين وراء هذا كله. فأخذ يتمتم: ترى ماذا جنيت؟ أنا لم أرتكب أي جريمة، أنا بريء، ثم نادته أمه: افتح الباب، ماذا تنتظر؟ إني أكره هذا الجرس، كم يزعجني، دون فائدة..

تنفس سعيد بقوة وتثبت، ثم توجه نحو الباب ليفتحه وهو يقول: اللهم اجعله خيرا، اللهم اجعله خيرا يا رب.. فتح الباب

فإذا به يجد أمامه ساعي البريد يحمل رسالة وهو يقول:

– أين سعيد؟

– رد عليه بلهفة شديدة: أنا سعيد.

– قال له ساعي البريد: سعيد العمراني؟

– قال: نعم، نعم.

– قال له: هات البطاقة الوطنية، ثم وقع هنا. إنها رسالة وصلتك من إحدى الشركات الإسبانية.

بعد التوقيع والاستلام، أخذ سعيد الرسالة ودخل مسرعا إلى الدار، ثم بدأ بفتح الرسالة، فإذا به يجد بداخلها عقد عمل قابلاً للتجديد. صرخ سعيد عاليا: أمي، أمي، لقد أتى الفرج، وحُلَّت الأزمة إن شاء الله .. غير أن الأم لم تفهم أي شيء..

بعد ذلك أفهم سعيد أمه بفحوى الرسالة. وقد كان هذا الخبر طالع فأل على فؤاد أم سعيد.. وأحست بسعادة عارمة تغمر قلبها. لم تعرف من أين تبدأ أشغال هذا اليوم، هل تبدؤه بإخبار الجيران والأقارب، أم ماذا؟ إنها تساؤلات قلب غمرته الفرحة والحبور.. لكنها فضلت كتمان الخبر حتى يقضى.

أما سعيد فلم يتمالك نفسه، وأراد أن يهاتف جميع أصدقائه ليطلعهم على الخبر، إلا أن أمه منعته من ذلك، وقالت له: استعن على قضاء حوائجك بالكتمان يا ولدي، فعسى الله أن يجعله خيرا.

شرع سعيد في تهيئة الملف الإداري والوثائق المطلوبة لنيل التأشيرة. لقد كلفه هذا الأمر جهدا كبيرا، إضافة إلى التكاليف المادية التي صرفت في هذا الشأن.

لم تعبأ الأم بهذه المصاريف التي أنفقت في هذا الملف طالما أن ولدها سيظفر بفرصة عمل، وسيحقق الحلم الذي كان لا يفارق ذهنه ووجدانه دائما، وسيبني مستقبله.

عندما حصل سعيد على التأشيرة أخذ يفكر في الرحيل، لم

يبق على موعد السفر إلا أيام قليلة. ما أصعب لحظات الفراق! إنها أقسى اللحظات على نفسية سعيد، وكيف سيفارق أصدقاءه وأبناء حيه؟ إنها لحظات عصيبة، إنها أشد وطأة على فؤاد أم سعيد.

لم تكن الأم تفكر فيما كان يفكر فيه ابنها، بل تفكيرها كان فيما هو أشد وأمر وأقسى على القلب.. إنه أمر تنهد له النفوس.. ترى كيف سيتقبل الأمر لو صارحته بالحقيقة؟ هكذا كانت تردد دائماً بعد أن تبين لها أن ابنها سيرحل عنها بعيدا لا محالة، وربما قد لا تراه مرة أخرى..

كانت دائما تريد أن تفصح له عمَّا بداخلها فتخشى الصدمة، ويتبخر كل شيء، فتتراجع عن ذلك. كان يتملكها التردد دائما لكنها في الآن نفسه تود أن تستريح من العبء الثقيل الذي خيم على قلبها منذ أمد طويل. إنها ترغب في أن تخبره به، لكن دون أن تفسد عليه شعور السعادة بالسفر. كيف سأخبره إذاً؟ هكذا قالت.

بعد تروّ وتفكر، أخذت على نفسها عهداً وعزماً أن تبوح له بكل تفاصيل السر الذي رافقها طيلة هذه السنين الماضية، وأن تفرغ له ما في قلبها حتى لا تبقى فكرة الذنب تلازمها في حياتها كلها.

بعد طعام العشاء، قامت الأم كعادتها لتهيئ الشاي.. فعندما استوى نادت ابنها وأخذت تحدق فيه بشكل غريب، والدموع تكاد تنهمر من عينيها لولا أنها كانت تعصمها من الانـذراف.. لكن سعيداً لم يكن يعلم أن هناك سراً تخفيه عنه أمه.. كان يظن أن هذا التغيير الطارئ على محياها وسلوكها مصدره صعوبة الفراق وألم البعاد، وربما سببه قسوة الوحشة والوحدة التي ستعانيها من بعد رحيله وسفره.

أخذ سعيد يشرب الشاي وهو ينظر إلى أمه بإمعان لعله يدرك أو يفهم ماذا تخفيه عنه.

قالت الأم لسعيد: تعال بجواري يا ولدي.. دنا منها سعيد وقال لها: ماذا دهاك يا أمي؟ إني أجدك على غير عادتك؟ ألم يسرك هذا الخبر؟ ألم تكوني تطلبين من الله أن يرزقني عملا صالحا؟ فبدل أن تبتهجي أراك كأنك ارتديت لباس الحداد..

فكرت الأم مليا، ثم أردفت قائلة:

– من أين سأبدأ الكلام يا بني؟ هل سأبدؤه من البداية أم من النهاية؟

رد عليها سعيد: وهل في الأمر بداية ونهاية وأنا لا أعلمه ولا أعرفه، هذا شيء عجاب؟

الأم: نعم، يا بني، لقد مرت السنون والأعوام كنت فيها كالمرأة الخرساء، لا أستطيع البوح ولو بكلمة واحدة حبا فيك وتطلعا إلى مستقبلك.

قال لها سعيد: إني لا أفهم أي شيء مما تقولين. صرت تتحدثين إلي بالألغاز والطلاسم. أكاد أجن.. بل هناك خطب ما قد تلبسك، هل أصابك مكروه؟ صارحيني يا أمي، صارحيني أرجوك.. إن ما أنا ذاهب إليه هو من أجلك أنت دون سواك. أرجوك صارحيني..

قالت الأم وقلبها يرتجف من شدة الخوف على ولدها: سأتحدث إليك بأمر، لكن كن رجلا صلبا، وأصغ إليَّ بعقلك لا بقلبك..

هنا أحس سعيد أن في المسألة أمراً خطيراً، وأن أمه لا تبسط ولا تلغز.. فألح عليها بأن تعجل بإخباره، وتفصح له بما يدور في داخلها، وتطفئ نار

الحيرة التي شبت في كيانه..

الأم: كم عمرك الآن يا سعيد؟

سعيد: لم هذا السؤال يا أمي؟ ألا تعرفين ذلك؟

الأم: ثلاث وعشرون سنة، أليس كذلك؟

سعيد: بلى، يا أمي، لكن لماذا؟

الأم: إنها سنوات طويلة ربيتك فيها بين أحضاني، حتى صرت ما شاء الله رجلاً. يعلم الله كم عانيت من أجلك.

وقد كنت حريصة على إسعادك، وجعلك تنعم بالراحة والطمأنينة.. كنت دائما مستدفئا بظل حناني وعطفي. لقد كنت لي البسمة والأمل وماء الحياة.

سعيد: هذا أمر لا شك فيه يا أمي، ولعل هذا سلوك جميع الأمهات تجاه أبنائهن.

الأم: هذا صحيح يا بني، ولكن ليس كل الأمهات. إن بين الأمهات، لسبب أو لآخر، من يدفعن بفلذات أكبادهن إلى نساء أخريات يتعهدن بتربيتهم.

سعيد: ماذا تعنين هذا الكلام يا أمي؟ وما علاقته بحديثنا نحن؟ إن مثل هؤلاء النسوة لا شرف لهن ولا كرامة.

الأم: لا تقسُ عليهن بحكمك يا ولدي، ربما هناك ظروف وأسباب جعلتهن يقمن بهذا الفعل.

شعر سعيد كأن في الأمر ما له علاقة به، فأخذت الشكوك تساورة، والريب تنهال عليه من كل جانب، يريد أن يعرف ما سر هذا الكلام!؟ ويتوق برغبة حارة إلى فك رمز هذا الأمر الذي أنهك وجدانه، وأربك ذهنه.

كل ما يهمه هو التوصل إلى معرفة الحقيقة كيفما كان طعمها، لم يعد قادراً تحمل أكثر من ذلك.

بعد تساؤلاته الكثيرة التي كادت أن تفقده صوابه، قامت الأم بإخبار ولدها بالحقيقة المرة: إنه ليس ولدها شرعياً، بل هو ابنها بالتبني فقط، وأن أمه الحقيقية لا تزال حية ترزق، وقد دفعتها ظروف خاصة إلى وضع ولدها سعيد أمانة بين يديها، وطالبتها بعدم إخباره بحقيقة الأمر، لكن الأم المتبنية لم تطق ذلك، وظنت أنها إن لم تصارحه بالحقيقة قد ينعكس كرها وبغضا فيما بعد، لهذا أصرت على مفاتحة سعيد بالأمر، وتحمل نتائج ذلك. المهم عندها هو إخباره بحقيقته!.. ابن من هو؟ حتى لا يلومها فيما بعد.. هكذا كانت تظن وترى..

نزل هذا الخبر على سعيد كالصاعقة المحرقة أو الصدمة المميتة.. وعلى إثر ذلك أخذ يصرخ ويبكي بصوت كله شجن وحزن وهو يقول أكثر من مرة: ابن من هذا اللقيط إذاً!؟

قالت الأم: هون على نفسك يا بني، أرجوك أن تهدأ، سأحكي لك كل شيء. أمك الحقيقية تسمى كريمة، ويمكنك الذهاب إليها، سأزودك بعنوان مسكنها إن أردت ذلك.

ليلة ثقيلة مرت على سعيد، فقد فارق النوم جفونه، وضاق صدره بما سمع.. تنهد كثيرا وهو يقول في نفسه: كل هذا كان ينتظرك، أين كان مختفياً؟ لماذا أفسد هذا عليك فرحتك؟ لماذا فعلت بك هذا؟ هان عليها ابنها أن تدفع به إلى امرأة أخرى؟ كيف سولت لها نفسها فعل ذلك؟ أليس في قلبها رحمة؟ أسئلة كثيرة كانت تنزل عليه كوابل من النار..

بات الليل وهو يؤنب أمه ويؤاخذها على فعلها الدنيء الذي أقدمت عليه.. إنه إجرام

مارسته في حقي.

هكذا قال سعيد عدة مرات. لكن لم يكن في وسعه إلا أن يواجه الأمر الواقع، هذه هي الحقيقة المرة شاء أم أبى.

في الصباح الباكر استيقظ سعيد، واتجه نحو الحي الذي تسكنه أمه الحقيقية دون أن يعلم أحد ذلك. عند وصوله أخذ يبحث بين الأزقة حيث يوجد مسكنها إلى أن عثر عليه, تثبت منه أولاً، بعد ذلك طرق الباب ويده ترتعش، وقلبه زادت وتيرة نبضاته من شدة المواجهة وصعوبة الموقف.. إلا أنه تشجع وطرق الباب مرة أخرى، ثم انتحى جانبا، فإذا به يسمع صوت نافذة قديمة تفتح من الطابق الثاني.. أطلت امرأة سمراء وشعرها الأسود يتدلى من جانب النافذة، ثم قالت: من الطارق؟

التفت إليها سعيد وقال لها: هل أنت السيدة كريمة؟

أجابته: نعم، أنا كريمة.

قال لها سعيد: من فضلك، أريدك لبعض الدقائق، عندي أمانة أود تسليمها لك.

عندما فتحت الباب وجدته منتصبا قبالته وقد احمرت وجنتاه، والحزن تملك وجهه، والألم أتعب كيانه.. من أين سيبدأ الكلام؟ هل يبدأ بالتأنيب والتوبيخ؟ أم يبدأ بالتقريع والتعريض؟ كل هذا كان يعتمل نارا في وجدانه.

أول نظرة عاقلة يلقيها سعيد إلى أمه بعد سنين طويلة خلت.. فعمرها لم يتجاوز بعد الخمسين سنة، لونها أسمر، قامتها متوسطة الطول، مكتنزة نسبيا، عيناها واسعتان، وجهها ممتلئ.. يبدو عليها من خلال هيئتها ملامح الفقر، إنه أمام امرأة بكل هذه الصفات والمواصفات.. ماذا سيفعل سعيد؟

قالت له كريمة: من أنت؟ وماذا تريد؟ لقد أزعجتني بطرق الباب عدة مرات، ألم تر زر الجرس، كان يكفي الضغط على الزر، فنحن لسنا من أهل الكهف؟

رد عليها سعيد: هل أنت كريمة؟! ثم تابع كلامه قائلاً: لا أظنك كذلك، اسمك لا ينطبق عليك، ربما أنت امرأة أخرى،

أو أنت من كوكب آخر غير.. غير..

كريمة: ماذا تقول يا ولد؟ أجننت، تكلم بأدب .. من أنت؟ وماذا تريد؟ أين هي الأمانة؟ أم هل تعودت إزعاج الناس والكذب عليهم بكلامك هذا الفارغ؟

سعيد: ألم تعرفي من أنا؟ تأملي جيداً، ترى من يشبه هذا الولد الشقي التعس؟

كريمة: أنا لا أعرف من أنت، ومن تشبه، هذا لا يهمني. ماذا تريد؟

سعيد: أتعرفين «الباتول»؟ أظنك لا تستطيعين إنكارها.

كريمة: نعم، أعرفها جيداً، لكني لم ألتق بها منذ مدة طويلة.. لكن ماذا أرسلت؟

سعيد: تقصدين الأمانة؟

كريمة: نعم.

سعيد: موجودة وحاضرة كاملة.

كريمة: سلمني إياها إذاً، وارحل إلى حيث أتيت، ولا تنس أن تقرئ سلامي الحار الباتول..

سعيد: الأمانة موجودة أمامك..

كريمة: أين هي؟

سعيد: أظنك قد عميت.. أنا هو الأمانة..

كريمة: من أنت؟ أتهزأ بي؟

سعيد: يا له من قلب تحمليه في صدرك!! إنه كالصخرة الصماء.. إلى هذا الحد تقسو القلوب وتتنكر لفلذات أكبادها!؟ أنا سعيد، أنا الأمانة التي أودعتها بين يدي السيدة الفاضلة والكريمة «الباتول» وقد نسيتها، وقد جاءت الأمانة تسعى على رجليها تبحث عن صاحبتها بدل أن تبحثي عنها وتسترجعيها..هل أنستك السنون مخاض ولدك المسكين؟ لقد أودعته في أيدٍ غريبة، ربما لا ترعى الأمانة حق رعايتها، وربما تسخرها لمآربها الخاصة، كم أطفالٍ شردوا واستعبدوا وأصبحوا أدوات طيعة في أيدي الأوصياء عليهم!..

– هل عرفت الآن من أنا؟ أنا الذي حرم حنان أمه وعطفها.. أنا الذي أضعت عليه كل شيء.. حرمته الطفولة.. أظنك عرفت الآن، أليس كذلك؟ لم تكوني تتوقعين هذا اليوم الموعود، لكن شاء الله أن أتعرف إليك قبل أن أسافر إلى إسبانيا..

وقفت الأم متصلبة كالصنم،

لقد وقع عليها هذا الخبر كالصاعقة، لقد أخرسها الحق المتطاير من جوف ابنها.. فماذا عساها أن تفعل تجاه هذا الموقف الرهيب؟ ابن يأتي إلى أعتاب أمه ليقول: أنا ابنك الذي تخليت عنه في يوم ما، ومنذ سنوات طويلة.. ذلك الطفل غير المرغوب فيه، جاء يرغب في التعرف إلى أمه.. وهي لم تكلف نفسها مرة واحدة البحث عنه، وتفقد أحواله ولو من بعيد.. هذا ما كان يؤرق سعيداً ويقض مضجعه.

كيف لأم يهون عليها التخلي عن ولدها لشخص آخر، حتى الحيوانات لا تجرؤ على فعل ذلك، فهي أرحم بصغارها، وتحميها من كل مكروه!؟ أمر لم يكن ليستسيغه سعيد أو يتقبله.. فنفسه كانت تحدثه بذلك، وتستغربه..

لم يكن سعيد ليصدق ما حدث له، لولا أنه لمس في أمه المتبنية الصدق والإخلاص وتبرئة ذمتها من المسؤولية حتى لا تحاسب على ذلك في يوم ما..

كان الموقف عصيبا ومؤثرا ولم يكن في الحسبان، وزاده لهيبا ونارا ما كان يتلفظ به من كلام كأنه حمم بركانية محرقة، فما كان على كريمة إلا أن ارتمت على ابنها وضمته إلى صدرها بقوة وحرارة، وهي تبكي وتندب حالها على ما جنته يداها مرددة: ولدي، ولدي، ولدي الحبيب!..

بعد إصرار كبير منها، أدخلته منزلها البسيط الذي تكتريه، وأطلعته على حالها، ثم أخبرته بأن أباه طلقها وهي حامل به.. بعد ذلك تزوجت شخصاً آخر اشترط عليها عدم اصطحابه ليعيش معها، لأنه كان يود ولداً من صلبه وليس من صلب آخر، لكنه لم يكن يعلم أنه كان عاقراً. أقسم عليها إن هي لم تتخل عن ولدها ليطلقنَّها، ويخرجنَّها إلى الشارع تتسكع في الطرقات.. كان لزاما عليها أن تتخلى عنه. لكنها تعلم أنها كانت مذنبة ومخطئة في حق ولدها.. قضت مع هذا الزوج ردحاً من الزمن، بعدها تأكد له أنه لن يستطيع إنجاب الأطفال، فطلقها وتركها عرضة لنوائب الزمن وفريسة تحت مرأى الذئاب.. خافت على نفسها من الهلاك والضياع، فقامت تبحث عن عمل لتعول نفسها وتسد رمقها.. وهي الآن تستأجر هذا البيت المتواضع وتستظل تحت سقفه، وتكتفي بما يتبقى لها من الدخل الشهري لتفتات به..، «إنها ضريبة الأمانة التي تخليت عنها وأنا لا أشعر»، بهذا الكلام ختمت في عجالة قصة حياتها في معزل عن ولدها.

كانت الأم تحاول في خجل تسويغ فعلتها، وإسقاط اللائمة على من دفعها إلى ذلك.. إلا أن سعيداً لم يكن يأبه بكلامها، فقد كان يحس أنها كانت تريد طي صفحة الماضي فحسب.. فلسان الحال أبلغ من لسان المقال!.

بعد الاستماع إليها طويلا، قرر سعيد العودة إلى بيته القديم، رغم محاولة أمه كريمة إرغامه على البقاء عندها..

عاد سعيد إلى منزله، فوجد أمه الباتول المربية تنتظره بلهفة شديدة.. فقالت له:

– أين كنت؟ أظنك ذهبت عندها أليس كذلك؟

سعيد: بلى، وقد عثرت على مسكنها، وقابلتها وقابلتني، وحدثتها وحدثتني، والتقينا لقاء الغرباء.. كل هذا جرى لكني لم أفهم ما جرى، إني مهموم ومغموم من رأسي إلى قدمي.. أريد أن أخلد إلى الراحة، إني

مرهق، متعب، لقد تلبسني النصب، فإني أشعر كأن رأسي وقلبي مفصولان عن جسدي، لم أعد أفهم ما يجري الآن...

انزوت الأم المربية إلى ركن، وتاهت في التفكير، وبدا على محياها ملامح الخوف والتوتر، وأربكها القلق، ثم بدأت الدموع تنسكب من عينيها دون شعور، لا تقوى على منعها. فقلبها يعتصر حزنا وكمدا على سعيد. فهي تتوجس خوفا من أن يتخلى

عنها، ويركن إلى أمه الأولى الحقيقية. لقد هجمت عليها الكوابيس والوساوس ولم تدعها تسترجع أنفاسها. كان يخيل إليها أنها أصبحت غير مرغوب فيها، لقد انتهى دورها عند هذا الحد. فسعيد قد تعرف إلى أمه، وقد ضخت في عروقه وشرايين قلبه حنانها وحبها وعطفها من أول لقاء معها، ومع توالي الأيام ستغدو الأم المربية مستغناة عنها وعن خدماتها.. هكذا كان يتهيأ لها.. كلها تخيلات وهواجس كادت أن تعشش في ذهنها، وتفرخ في قلبها لولا صبرها الجميل..

مرت غفوة على سعيد، بعدها استفاق وانتبه لنفسه فإذا به يجد أمه المربية قد استغرقتها الهموم وتاهت في بحر لا شاطئ له من الهواجس والأوهام، وهي تحدق إليه دونما انتباه أو تركيز، فجسدها حاضر ولكن وجدانها وذهنها يسبحان في دنيا الخيال والاحتمالات.. دنا منها سعيد وناداها بصوت ملؤه الدفء والحنان:

– ماذا دهاك يا أمي؟ ألست أنت من صارحتني بالحقيقة؟ ماذا حدث لك؟

الأم: الحمد لله على أنك قد وجدت أمك، وتعرفت إليها، وتعرفت إليك، وهذا ما كنت أتمنى.. وقد تحقق بفضل الله تعالى..

قاطعها سعيد قائلا: وماذا بعد؟

– ردت الأم: الحقيقة جلية ولا تحتاج إلى توضيح..

– قال لها سعيد: ماذا تقصدين بهذا الكلام؟

– يا ولدي، إنها أمك ولا يمكن تجاهلها بأي حال من الأحوال.. يا ولدي، يمكنك الانصراف إليها والعيش في كنفها، فهي أولى بك مني، فهي تحتاج من يشد عضدها ويؤازرها في وحدتها.. لا مانع لدي، يمكنك الذهاب إليها متى شئت، وأرجوك ألا تقطع الصلة بيني وبينك. فأنا حقاً لست أمك، ولكني كنت أعتبرك ابني وولدي وقطعة من لحمي ودمي، وكأنك خاتمة رحمي..

فكر سعيد قليلاً في كلامها ثم أردف قائلاً:

– أنت امرأة أصيلة وعاقلة، وكلامك كله درر وحكم، يا ليت كل نساء العالم مثلك، لقد ربيت ونعم التربية، لم تحرميني من أي شيء.. غمرتني بحنانك وعطفك وحبك.. كنت رحيمة معي، وكريمة في الشدة والرخاء.. كنت تعاملينني دائما كأني ابنك من رحمك.. فأنا مهما قلت في شأنك أظل عاجزا عن إيفاء حقك واستعراض فضائلك وأخلاقك.

قالت الأم: هذا جزء من الوفاء بالأمانة التي وكلت إلي، وحملتها، لقد اخترتها بصدر رحب وقلب مفعم بالرضى والقبول..

قاطعها سعيد مرة ثانية: أمي، أنت لم تعرفي بعد ماذا يدور في خاطري، وماذا أنا مزمع عليه.. حقا إنها أمي وأنا ابنها من رحمها، لكن رُبَّ امرأة لم تلدك كانت أرحم وأرأم من رحم تكبد عناء المخاض والولادة! رحم لفظتني دون رحمة، وقلب احتضنني وأماط عني الظلمة! أمي، إني رغم هذا وذاك لقد قررت..

تنهد سعيد قليلاً كأنما أنفاسه كادت أن تنحبس..

قالت الأم المربية: ماذا قررت؟ ماذا قررت؟ لقد قررت عين الصواب، اذهب إليها وعش في أحضانها، فمهما حصل فهي أمك..

استعاد سعيد أنفاسه وقوته على الكلام وقال: لقد قررت أن أظل معك أنت دون سواك، ونعيش معا كما كنا تحت سقف بيت واحد.. أنت أمي الحقيقية لن أتخلى عنك أبداً أبداً.. ثم راح يقبل رأسها، ويضمها إلى صدره وعيناه قد اغرورقتا بالدموع:

أرجوك اقبليني معك، اقبليني معك، لا تتخلي عيني..

طمأنت الأم المربية سعيداً بأنها لا تستطيع إرغامه على شيء يكرهه، وأنها لا ترغب أيضاً في أن يقطع الصلة بأمه كريمة، فهي أمه الحقيقية يجب عليه الإحسان إليها.

بعد يومين من انتهاء تلك الزوبعة الهوجاء التي كادت أن تعصف بلبه، وتستأصل شرايين قلبه، سافر سعيد إلى إسبانيا، حيث التحق بمقر عمله هناك.. وأخذ يعمل بجد ونشاط وهمة عالية، وفي أثناء وجوده في بلاد المهجر كان يراسل أميه ويساعدهما شهرياً بالمال.

ظل الحال على هذه الشاكلة شهوراً وسنوات، كسب خلالها سعيد ود وثقة أرباب عمله، نتج عن ذلك أن سفروه على رأس فريق عمل إلى بلجيكا قصد القيام ببعض التداريب هناك، حصَّل سعيد من خلالها تجربة فائقة جعلته ينال حظوة مرموقة بين موظفي الشركة التي يشتغل عندها، ولعل هذا ما جعل دخله الشهري يتحسن بشكل ملحوظ..

بعد عشر سنوات من العمل قرر سعيد أن يشتري منزلا في بلده بما توافر لديه من المال حتى يتفادى عناء واجب الكراء الذي يسدده شهرياً..

استغل سعيد قضاء عطلته الصيفية بمدينته، واقتنى منزلاً من طابقين قريباً من الحي الذي كان يسكنه، ورحل إليه صحبة أمه «كريمة» وأمه المربية «الباتول»، حيث جعل لكل واحدة منهما طابقاً خاصا بها..

وقبل أن يعود سعيد إلى عمله في إسبانيا اتفقت الأمّان أن تزوجاه، فاختارتا له عروساً طيبة من إحدى قريباته.. وبذلك اكتمل السعد، واجتمع الشمل، ورجع سعيد إلى عمله ظافراً غانماً ومالكاً القلبين معاً■

ذكر من اختار الوطن على الثروة

قال بعض الأدباء: عسرك في بلدك خير من يسرك في غربتك. وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية، ولزوم الأوطان، والجلوس مع الإخوان. وقيل: فما الذلة؟ قال: التنقل في البلدان، والتنحي عن الأوطان.

وقال بعض الأدباء: الغربة ذلة، فإن ردفتها علة وإن أعقبتها قلة فتلك نفس مضمحلة. وقالت العرب: الغربة ذلة، والذلة قلة. وقال آخر: لا تنهض عن وكرك فتنقصك الغربة، وتضيمك الوحدة. وشبّهت العرب والحكماء الغريب باليتيم اللطيم الذي ثكل أبويه، فلا أم ترأم له، ولا أب يحدب عليه.

وكان يقال: الجالي عن مسقط رأسه كالعير الناشز عن موضعه الذي هو لكل سبع فريسة، ولكل كلب قنيصة، ولكل رام رمية. وكان يقال: الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذي زايل أرضه، وفقد شربه، فهو ذاوٍ لا يثمر، وذابل لا ينضر، وأنشد:

ومغتربٍ بالمرج يبكي لشجوه ... وقد غاب عنه المسعدون على الحب

إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه ... تنفس يستشفي برائحة الركب

ولآخر:

إذا ما ذكرت الثغر فاضت مدامعي ... وأضحى فؤادي نهبةً للهماهم

حنيناً إلى أرضٍ بها اخضرّ شاربي ... وحلّت بها عني عقود التمائم

وألطف قومٍ بالفتى أهل أرضه ... وأرعاهم للمرء حقَّ التقادم

ولآخر:

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي ... خيامٌ بنجدٍ دونها الطرف يقصر

وما نظري من نحو نجدٍ بنافعي ... أجل، لا، ولكني على ذاك أنظر

أفي كل يوم نظرةٌ ثم عبرةٌ ... لعينيك يجري ماؤها يتحدر

متى يستريح القلب؟ إما مجاور ... حزينٌ وإما نازحٌ يتذكر

ولأبي تمام الطائي:

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزلٍ في الأرض يألفه الفتى ... وحنينه أبداً لأول منزل

(*) الكتاب: المحاسن والمساوئ ، ص ٢٨٨، المؤلف: إبراهيم بن محمد البيهقي، (ت: ٣٢٠هـ)
مصدر الكتاب: موقع الوراق، http://www.alwarraq.com

يا شَعْرَها

يا شَعْرَها.. أطلقْ هواكَ على المَدَى ... أطلقْ هواكَ فتنتشي الأجواءُ
وارقصْ على الكتفينِ يا حنَّاءَهُ ... يا لهفَ قلبي.. ليتني الحناءُ!
يا شَعْرَها..لماصَحَوْتَ مع الضُّحى ... غَنَّى الهَوى وتراقَصَتْ أفياءُ
يا شَعْرَها.. ليلٌ طويلٌ ساحرٌ ... وضفيرةٌ مَغْرورةٌ رَعْناءُ
في صمتكَ الثرثارِ ألفُ حكايةٍ ... وعلى المَفارِقِ موعدٌ ولقاءُ
وعلى مَسارِ الضَّوءِ من خُصْلاتكَ ... الشَّقراءِ أغْفَتْ جَنّةٌ غنَّاءُ
أفديكَ يا شَعْراً يطيبُ بظلِّهِ ... هَمْسُ الحبيبِ ويَعْذُبُ الإيماءُ

***

يا ليتَني مِشْطٌ بشَعْرِ حبيبتي ... أغفو هناكَ، يطولُ بي الإغفاءُ
أو زهرةٌ مشكولةٌ في شَعْرِها ... حَيْثُ النُّجومُ وليلةٌ قَمْراءُ
أو نسمةٌ تَسْري على خُصْلاتها ... أرجوحَتي خُصْلاتُها الشَّقْراءُ
أحْنو على شَعْرِ الحبيبة مثلما ... يحنو على الزهر النَّديّ الماءُ
فأضُمُّهُ، وأبوسُهُ، وأشُمُّه ... وتُجَنُّ بي موجاتُهُ الهوجاءُ

***

يا شعرها.. هَفْهِفْ كما شاءَ الهوى ... واحرقْ بنارِ هواكَ كيفَ تَشاءُ
يا شَعْرَها.. ماذا أقولُ بوَصْفِها؟ ... قد حارَ في أوصافِها الأسماءُ
ماذا أقولُ: حمامةٌ غِرّيدةٌ؟ ... ماذا أقولُ: مليكةٌ حسناءُ؟
خُلِقَتْ مَعَ الصُّبْحِ النَّديّ فَمِنْ سَنا ... خُصْلاتها فاضَتْ لنا الأضواءُ
حوراءُ دوَّختِ العيونَ عيونُها ... كَمْ دَوَّخَتْني هذه الحوراءُ
قد زَهَّرَ النِّسْرينُ في وجناتها ... وعلى الشِّفاهِ شقائقٌ حمراءُ
في شعرها شلالُ شمسٍ مُشْرِقٍ ... إنْ يحتجبْ عَمَّ الدُّنا الظلماءُ
مَلأتْ حياتي.. لم يَعُدْ في القلب ... ليلى، لا.. ولا سُعدى ولا عَفْراءُ
مِنْ عَنْبَرٍ صاغَ الإلهُ جمالَها ... ومن السَّماءِ تساقَطَ الحِنَّاءُ
ما كنتُ أدري يا بيادرَ شعرها ... ما الحبُّ؟ حتى ضَمَّني الحِنَّاءُ

***

د.أحمد محمد كنعان - سورية

سوقُ القبّعات

د. شميسة غربي- الجزائر

شهيق في المُنْحدَر:

في المخزن الكبير؛ حيث تكدّستْ أنواع كثيرة من الألبسة والأغطية الخفيفة؛ اجتمع صاحب المتجر بأعوانه وكلَّفهُم بعَملية الفرز والتصنيف، وتجهيز أكياس بلاستيكية كبيرة؛ تُطوى داخلها هذه المكدّسات؛ ثمّ تُحْمل في شاحنة المتجر وتكون الوجهة: "محلات البيع بالتقسيط" على أطراف المدينة الشاسعة.

"الحاج إدريس" تاجر من تجار الجملة؛ عُرف في المنطقة بالتصدير والاسْتيراد لأجود الملابس والأقمشة منذ سنوات، فباتَ مقصد كل التجار الصّغار الذين يتنافسون على التعامل معه في جميع الفصول وفي كل المناسبات، يجدون فيه المورد الذي لا ينضب: ألبسة شتوية، أخرى صيفية، ألبسة ربيعية، موضات الخريف.. لكل الأعمار ولكل الأذواق.. إكسسورات تخطف الأبصار، وإن كانت ترهق الجيوب أيام الأعياد والحفلات..!

اقتسم الأعوان مهّمة الفرز؛ وتكلّفَ "بشير" – قريب صاحب المخزن- بالمُراقبة الأخيرة للأكياس قبل شحْنها؛ ثمّ أعْطى إشارة الانْطِلاق بعد أن قفز إلى الشاحنة، واتخذ له مكاناً في زَحْمة السّلع.. مسافة مُعتبرة؛ ستقطعها الشاحنة، بردٌ قارس يتسللُ من أسْفل باب الشاحِنة، يسْتشعرُه "بشير" ويحاول جرّ أحد الأكياس؛ يُدحْرجه إلى أسْفل الباب؛ تنغلق منافذ تسرُّب الهواء البارد.. يشعر "بشير" بأريحية؛ ترتخي مفاصله، يسْبح في هذا الحيّز المُتحرّك.. تهتز به الشاحنة مراتٍ ومرات؛ فالطريق غير مُعبّد، والحُفرُ تسْتأنسُ ببعْضها وتتوطد علاقاتها، وتُفكرُ في تأسيس نِظام للتناسُل؛ يحْفظ سُلالتَها من الانْقراض..!

الجالس أمام مقود الشاحنة؛ يتأفف من الضباب الكثيف؛ الذي يؤثر على الرؤية، بينما مُرافِقُه يُكرّرُ عملية مسح الزُّجاج الأمامي دون كلل.. يتضاعف الضباب، يُخفّضُ السائق السرعة؛ يحاول مواصلة الطريق؛ غير أنهُ يفاجَأ بِعُطلٍ؛ يُحتّمُ عليه التوقف للفحص والتدقيق.. ينزلُ العوْنانِ والبرْدُ يلسعُ وَجْهَيْهما.. ينْدهشُ "بشير" من توقف الشاحنة؛ يفتح الباب الخلفي ويُطلّ على رفيقيْهِ مُسْتفسراً..!؟

يكتشف الثلاثة أن الأمر يتعلق بإحدى العجلات.. يتعاونون على استبدالها؛ بينما التساقطات الأولية للثلوج؛ تُزركش الحُفر، وتعِدُ بتمْديدِ رِداء البياض على الرّطب واليابس؛ إنه عُرْسُ الطبيعة؛ وهي تُجهّزُ للفرَح في ذاكرة الشجر، وعلى قِشرةْ البَلح، وفوق زُهيْراتِ الأغصان النّديات، وبين القِمَم؛ حيث تغدو الثلوج تيجاناً تزهو بها الجبالُ الشامخات..!

وقتٌ مُعْتبر؛ يقتضيه استبدالُ العجلة.. فرغم الخبرة الطويلة للرجال الثلاثة في هذا المجال؛ ورغم حرص "الحاج إدريس" على تكليف عُمّال الصّيانة بتفقد متعلقات الشاحنة قبل الانطلاق؛ إلا أنه في بعض الأحيان؛ يحدث ما من شأنه تأخير الوصول إلى الوجهة المطلوبة.

هذه المرّة؛ تَهاطلُ الثلوج يُعرْقلُ المهمّة.. يُحاول السائق الانطلاقَ من جديد؛ تكسو وجْهه علاماتُ الحُبور والمقودُ مطواعٌ بيْنَ يديْه.. يسوق ويسوق.. حتى إذا بقيتْ بضعة كيلومترات فقط على الوصول؛ أصدرت الشاحنة صوتاً مثل الشخير.. ثمّ توقفتْ بعد أنِ اهتزّتْ؛ وكأنها تُصارِعُ سكرات الموْت الأخيرة.. لمْ يعد بالإمْكان فَهْمُ العُطل..! الشاحنة هامدة، تغطى نِصْفُها برداءٍ أبْيض؛ تموّجتْ انكساراته حسب هيكل المركبة فبدَا المنظرُ؛ وكأنّهُ خرْبشاتُ رسّامٍ على لوْحةٍ منقوشة بلونِ الذاتِ المُشَتَّتة على أجنحة الطيور المهاجرة.

حاول "بشير" الاتّصال بالحاج إدريس مرات عديدة؛ غير أنه لم يُفلحْ لانْعدامِ التّغطية.. وكان الاقتراح: المشي على الأقدام طلباً للمساعدة؛ بيْنما يظلّ "بشير" إلى جانب الشاحنة لحراسة البضاعة.

وقتٌ طويل؛ ولم يعُدِ الرّجلان.. قلقُ "بشير" يتزايد، الطبيعةُ المزْهوّة بوِشاحِها الأبْيض؛ تتدلّلُ على صمْتِ المكان، تنْسج ملامحَ مُشاكسة على جبين يوْم؛ تمَاهَى شرُوقُه بغُرُوبِه، وقفزتْ مفاجآته على أسرابِ فراشاتٍ هاربة من قيد القنديل إلى عتمة المتاهات..! يطول الانتظار بالرجل، يتغلغل البرد في مفاصله، تغزو ذهنهُ وقلبَهُ الوساوس، تتجمد أصابعُه؛ يقفز إلى الشاحنة باحثاً عن قفازاته الصوفية، يتذكر أنه تركها على مكتب قريبه؛ يحاول الاتصال مرة أخرى بصاحب المتجر؛ لكن لا يفلح.. تعْصِرُ الحيْرةُ فؤادَه، ينْتابُهُ الضّجَر، يهْتدي إلى السّيجارة والولاّعة.

ساعات النهار؛ تبدأ بمصافحة الساعات الأولى من الليل.. وكأنها تُجهّزُ الطبيعة لاسْتبدالِ رِداءٍ برِداءٍ آخرَ..! لا حركة؛ في هذا المُنْحدر أيْن شهقت الشاحنة شهْقتَها الأخيرة.. ما بَالُ الناس؛ وكأنَّهُمْ أضْرَبُوا عن المُرُور بهذا الطريق..! ساعاتٌ ثقيلة؛ دَقّ اليأسُ فيها أوتاده، وهرَسَ الفزَعُ سُبُلَ التّفكير، ولم يعُدْ بالإمْكان؛ سوى الاسْتسلام.. دُخّانُ السّجائر يتصاعد في خيلاء؛ سيجارة بعد أخرى، "بشير" يرمي العُلبة الفارغة بعد أن فتح باب الشاحنة، وأخرج رأسه ليُطلّ على قطعة ليلٍ دامس، وبردٍ قارس، وأمَلٍ دارس؛ يُلغي سانحَة الانْفلاتِ مِنْ وَضْعٍ منحوس..! يتكوّمُ "بشير" بين أكياس السلع؛ طلباً للدّفء، يُغمض عينيْه. لحظاتٌ.. ويطيرُ به سُلطان الوَسن إلى تُخومِ المُحال!.

وَساوِسُ قبّعة:

قبّعاتٌ جَميلة، للنّساء والرّجال.. للصّغار والكبار.. بأشْكالٍ مُختلفة: المُستديرة، المُستطيلة، المُربّعة، المُتدرّجة.. آخر صيحات الموْضة؛ للزّينة.. للتّغطية.. للوقاية منْ لسعات البرْد، صُنعَتْ من أجْود أنواع النّسيج، وتشكّلتْ على أيدي أمْهر المُصَمّمين الذين وضعوا في حسابهم: أمْزجة النّاس.. فتفننوا وأبْدَعوا، وحمّلوا القبّعاتِ وِزْرَ المِزاج.. قبل قناعة الاِخْتيار..!

عند قدمَيْ "بشير"؛ كيسٌ كبير يتململ.. حركة غريبة داخله؛ تُكثّفُ مَخاضَهُ الأخير..! يتدحْرجُ الكيس.. ينْتفض.. يتمزّق.. تقْفزُ القبّعات بأشْكالها المُختلفة؛ وَاحِدة بعْد الأخْرى؛ وكأنّ هناك مَنْ يُلاحقها.. يَفْرُغ الكيس؛ وتتكوّمُ القبّعاتُ فوْق جسد "بشير" المسافر في تخوم الخيال..! إحْداها؛ تعْتلي رأسَه، تنشر خيوطها على وجهه؛ وكأنها تقرأ طقوس تخْديره، بيْنما تتأهبُ الأخريات لسمَاع الحكي.. فتنْتظمُ على جَانبَي الجَسَد، وتُؤسّسُ لمَشْهد تأبيني؛ صادقتْ عليْه الأكياسُ المُكدّسة في زَوَايا الشّاحنة الهامدة، والشاهدة في نفس الوقت؛ على تفاصيل مُحاكمَة حالمَة بزرْع النُّور في أدْغال النفس الهاربة من الفيء؛ إلى أتون الجمر..!

صفقة مع الاِسْتثناء:

لم يكن بالإمكان أن تهدأ القبعة.. وهي التي خبرتِ الرّؤوسَ الآدَمية؛ وتَكشّفَ لها تباينُ الأمْزجَة ومقاييس البشر؛ في رِحْلة الغطاء التي تقودُها منْذ آلاف السّنين.. هي تحاول اللحظةَ أنْ توقف الرّحلة، أن تجعل مشهداً للفُرْجة على ضفاف رُؤوسٍ أنْهكتْها التّناقُضات، فسلبتْ بعْضَها ميزتها؛ وطوّحتْ بها في جَحيم التّرهات.. وستجعل مشهداً آخرَ لِلاقتداء برُؤوسٍ؛ حبَتْها الطبيعة مَباهِجَ الفِكْر، فتتلمَذَتْ على نواميس السُموّ الإنْساني، وترقّتْ في سلاليم المجد الروحي؛ فإذا النفحاتُ جذلى، تُبارِك الرُّؤوسَ في مَشهد مُعايَدَةٍ جميلة؛ إنها مُعايدة العقول السليمة وهي تصْنعُ عبيرَ الحياة بنواةِ الخيْر وبِذرَة الأمان في جوف غيم؛ يتطلع إلى أعْتاب نجْم ساطع، وصُبح مُفْلق يلثمُ الخمائل، ويحْتضنُ المعمور في حكايةٍ أزلية؛ تُرَتّلُ فُصولَها حيواتُ الأزْمنة المَسْقية بِعبق الوجدان المتعالي عن كل نقيصة.

كم كان صعباً على القبعة؛ أن تتمرّد على الرّحْلة..! أن تُمزّق الأشْرعة؛ أن تخدش سحر الرّذاذ؛ وهو يعانق خيوطها ويلتفُّ على عيونها، في دلال يبهر الرياح..! اليوم؛ تلجأ القبعة إلى المُحاكمَة العلنية.. صُويْحباتُها يُطوّقن جسد "بشير" المُتجمّد داخل الشاحنة المشلولة. قرّرتِ القبعة أن تعقد صفقة عاجلة مع عنصر من عناصر الطبيعة.. فاستدعت إليها "الرياح"، وقصّتْ عليها الحكاية.

غداً؛ "يومٌ بلا قبعات".. غداً ستهبّ ريح عاصفة، ستُعرّي كل الرّؤوس..! غداً سيتحلّلُ ويتبخّرُ جليدُ الرّؤوس.. سيتسلل البُخارُ إلى العُروق، سيُخرج ما تخثّرَ فيها.. رِهانُ حمْلة نظافة واسعة..! تُطهّرُ الخلايا، تُنقّيها منْثقل العتْمة، منْ أدْران الهمَجية، المُتلذّذة بأوجَاع البشر..! نحْن نريد رؤوساً نظيفة.. وعقولاً نيّرَة.. ومن عبق الإنْسانية؛ سنُبْدِعُ تمْثالاً؛ يُغنّي للحبّ في جحيم الكُرْه! يغنّي للسلام في ذرْوة العَداء..! يطربُ للحياةِ في عزّ الموت..! يغرس الصّفْحَ في أتون الحقد..! يشدو مع طيور الغاب، شدْوَ الأمل على أكتاف الكادحين؛ وقد قُدّتْ ضلوعهم من أشواك المحن وسالت آلامُهمْ على أتربة الحقول، وارتسمتْ على أفواهِ الزّهْر؛ ترْتشفُ

مذاق الحسرة عبر الأزمنة المتناسلة من زمْهَرِير البرْد، وقيظ الهجير..!

نحن القبّعات.. اليوم.. يومُنا..! أوْزارُ الخَلق أثقلتْ كواهِلنا، أرْبَكتْنا، مزّقتْ نسيجنا، شوّهتْ رُسوماتنا.. اخترْنا "التمرّد" ولو إلى حين..! لا نريدُ أن نظلمَ الخيّرين.. ولكنّها جريرَة الكثيرين.

لحظات قليلة؛ هبّتْ بعدها ريح عظيمة؛ فتعرّتْ كل الرؤوس في المدِينَة.. اندهش الناس وهم يلاحظون طيران القبّعات إلى فضاء بعيد؛ يستنجدون بأيديهم للإبقاء عليها.. لكنها تتطاير إلى أبْعَد مدى..! يخشون على رؤوسهم غضب الريح وتناثر التراب؛ تحولت السماء إلى جحيم أحمر.. هرع الناسُ إلى أماكنَ مُغطّاة؛ علّها تقيهم، ريثما تتوقف الغضْبَة.. أمّا القبعات فكانتْ نشوى؛ تراقب المشهد في حُبور وارْتياح..!

غرفة من نور:

سريرٌ أبْيَض.. على جانبيْه؛ اصطفّ أشخاصٌ بمَآزِرَ ناصِعة البَياض، بين أيديهم قراطيس وأقلام، يُدوّنون تعاليمَ المتحدّث الوَاقِف قُبالتهم.. المتحدّث يمدُّ أصابعه إلى المصل؛ يُركزُ نظره عليْه.. يهزُّ رأسَه وعلاماتُ الارْتياح؛ تتدفق على وجْهه الوقور.. يخرج من الغرفة، ويتْبعُه السّرْبُ الأبيض في خفة ونشاط..

كان "بشير" يرى "البياض" مِنْ حَوَالَيْه.. يتعجّب من وجوده في هكذا غرفة..! ضوءٌ مثل كُرَيات النّور يغْمُرُ المكان، ومُعَدَاتٌ غريبة على طاولة ضخمة؛ موصولة بجسمه؛ يحاول أن يتحرّك، لكنه يستشعرُ ثِقَلاً.. بعد برهة يدخل عليه الحاج إدريس؛ وجماعة من أعوان المتجر يهنئونه على النجاة.. يرفع إحدى يدَيْه إلى رأسه؛ وكأنه يبحث عن شيء.. تصطدم يدُه بضمادٍ خشن؛ يلُفُّ كل الرأس.. لا يفهم لماذا هذا

الضماد..؟ يربتُ الحاج إدريس على كتف "بشير"، ثم يجلس على مقعدٍ جانبي؛ يفرك جبهته.. يهمس للأعوان: "الحمد لله كانتْ حروقه خفيفة.. ليته انتبه إلى أعقاب السّجائر..!" يعلق أحد الزوار؛ وهو يتأمّلُ المصاب:

"لا شك أن إحداها وقعتْ بين الأكياس؛ فتسبّبتْ –على مهل– في اندلاع نار؛ تزامنتْ –لِحُسن الحظ– مع وصول فريق المساعدة بصحبة العوْنيْن اللذيْن غادرا الشاحنة منذ ساعات؛ طلباً للنجدة..!"

أغلق "بشير" عينَيْه؛ علهُ يُتابعُ مُخطّط القبَّعات.. تمنى لو أنه لمْ يصْحُ.. تمنى لو أنه طار معها وكتب قصّتها.. تمنى لو أنّها تسْمعه؛ ليقترح عليْها: نُكَرّسُ يوماً عالمياً دون قبّعات..! تتجدد الاحْتفالية به كل سنة.. حملة وِقائية لتهْوِيَة العُقول.. ونفض بعْضِ الرُّؤوس■

مقاربة أنثروبولوجية للأمثال العربية القديمة

د.آمنة بن منصور – الجزائر(*)

لقد بات من الضروري اليوم قراءة التراث العربي القديم وفق المناهج الحديثة والمعاصرة، وبمعنى آخر لابد من البحث والتنقيب والتفتيش الجيد في تراثنا ولاسيما ما تعلق منه بالجانب النثري، هذا الجانب الذي عانى التهميش من قبل الدارسين الأولين والآخرين، بالمقارنة مع اهتمام الدراسات والبحوث بشقيقه (الشعر)، إذ اكتفى جلهم بالجمع والتبويب بدل الدراسة والتحليل، وإن وجدت دراسات، على قلتها، فقد حظيت بها الفنون المعروفة كالقصة والمقامة والسير؛ أما المثل فاكتفى الدارسون بتصنيفه ضمن نوادر العرب وحكمها وأيامها، دون محاولة الخوض فيه، حتى إنهم يطلقون على القصة الأصلية لقول المثل لفظة مورد، وهذه اللفظة بعيدة كل البعد عن مفهوم القصة والسرد، ولعل السبب راجع إلى تخوف النقاد والدارسين من الخوض في مثل هذه الفنون النثرية التي ظهرت في وقت مبكر، ومازالت في نظر الكثيرين تحمل صبغة من السذاجة والعفوية، ولا ترقى لجعلها محل دراسة معمقة، ومع ذلك لا يؤخذ هذا الكلام على وجه التعميم، فقد استأنسنا بدراسات حديثة تناولت المثل من جوانب مختلفة نذكر منها: كتاب (سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية لصاحبه لؤي حمزة عباس)، وكتاب (الأمثال العربية والعصر الجاهلي لصاحبه محمد توفيق أبو علي).

(*) المركز الجامعي عين تموشنت.

ولأن موضوعنا المثل؛ فلابد من التعريف به، وبالفن الذي ينتمي إليه، قبل الولوج في باقي التفاصيل.

١- السرد والمثل: مفاهيم ومصطلحات

*- مفهوم السرد:

تعددت مفاهيم السرد في المعاجم العربية، ومرد ذلك إلى المقام الذي تستعمل فيه الكلمة، ففي المعنى اللغوي يعني الفعل سرد الحديث يسرده سرداً إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له[١]، كما وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير»[٢]، (وقدر في السرد) هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود -عليه السلام- في تعليمه صنعة الدروع، قال مجاهد في قوله: (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) لا تدق المسمار فيقلق في الحلقة، ولا تغلظه فيفصمها، واجعله بقدر[٣]، كما ترد لفظة السرد في مواضع أخرى، حسب السياق، بمعان غير المذكورة آنفاً، وهذا راجع لتعدد اللهجات العربية من جهة، والاستعمالات المجازية للفظة من جهة ثانية.

أما اصطلاحاً فيذهب بعض النقاد إلى تحميل لفظة سرد معنى التأثير في المتلقي، باعتبار أن كل عمل أدبي ينشد ذلك، وذهب فريق آخر إلى أن السرد هو «المفهوم الجامع لكل التجليات المتصلة بالعمل الروائي أوالحكائي[٤]، أما (فريدمان) فيرى أن السرد هو بث الصورة بواسطة اللغة وتحويل ذلك إلى إنجاز سردي خيالياً كان أم حقيقياً[٥].

- مفهوم المثل:

كلمة مثل مأخوذة من قولنا: «هذا مثله وشبهه، والمماثلة لا تكون إلا في المتفقين، ومثل الشيء صفته، والمثل مأخوذ من المثال والحذو، وفي التنزيل العزيز: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ»[٦]، وقد يكون المثل بمعنى العبرة..»[٧]، إلى غير ذلك من التعريفات المعجمية التي لا تختلف كثيرا فيما بينها، أما في كتب التراث فسنقف على المعنى نفسه الموجود في معاجم اللغة، مع فارق طفيف يعود إلى الغربلة التي تفضي إلى خروج مادة (مثل) من أفق اللغة إلى مدى الاصطلاح[٨]، فابن المقفع مثلاً يرى أن الكلام إذا جاء في صيغة مثل كان أوضح للمنطق[٩]، وينظر ابن عبد ربّه إلى الأمثال نظرة جمالية محضة، فهي «وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وجلي المعاني..، هي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة»[١٠].

أما أول من حاول إعطاء مفهوم دقيق للمثل بعيداً عن العموميات المطلقة؛ فهو الفارابي بقوله: «المثل ما تراضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم، وفاهوا به في السراء والضراء..، وهو من أبلغ الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة»[١١].

وجوهر القول: إن المثل كلام موجز جميل، يحتوي على سرد دون تفصيل، يرتبط أول مرة بمورد أصلي أو حادث أو قصة وقعت، ثم يجري على الألسنة، ويضرب كلما وقع ما يحاكي ويشبه مورده الأصلي.

٢- السرد عند العرب:

مارس العرب السرد والحكي منذ القديم، شأنهم في ذلك شأن الأمم الأخرى، وقد توفرت «نصوصه المندرجة ضمن أنواع وأجناس سردية مختلفة كالأخبار والنوادر والحكايات والأمثال والمسامرات وسواها»[١٢]، إلا أنه لم يلق كبير اهتمام من قبل النقاد والدارسين إلا في وقت متأخر بعد أن أثبتت الدراسات الحديثة أن «القصص أو الموروث الحكائي العربي غني ومهم، ويستدعي البحث والدراسة»[١٣]، بعيدا عن الأحكام المسبقة من قبيل أن «هناك ديواناً واحداً تركه العرب هو الشعر، وما عداه من الأنواع والفنون فلا يرقى إلى الشعر»[١٤]، إذ لا يخفى ما كان لهذا الأخير، من سطوة وحُظوة لزمن غير يسير، على حساب الفنون النثرية المختلفة، التي يُعزى سبب انتكاستها وتراجعها إلى «الشفاهية التي رافقت أوليات الأدب العربي، وتحكمت في إنتاج الثقافة العربية، فالنثر–وهو القسم الشقيق للشعر في حاضنة الأدب– لم يتيسر له الانتشار والنفوذ لما يتطلبه من هيئة كتابية ليس فقط في تدوينه، ولكن أيضا في تأليفه»[١٥].

ومع هذا فقد استطاع العربي أن يبدع «على مدى عصور طويلة نصوصاً في منتهى البراعة والحس والجمال، ولقد وصل العديد منها إلى العالمية، وصار إنتاجاً إنساني البعد والنزعة، وعلى درجة سامية من الإبداع الإنساني الرفيع، وظل هذا الإنتاج يتزايد عبر الحقب والعصور، وسجل لنا العرب من خلاله مختلف صور حياتهم وأنماطها..، وما خلفته من آثار في المخيلة والوجدان[١٦]، بل إن مجرد «التصريح بوجود أنواع قصصية رئيسية أو أعمال حكائية مكتملة من قبل دارسي السرد المعاصرين، يقتضي، منطقياً، توفر الثقافة العربية في مرحلة مبكرة من مراحل تكونها على أنواع ثانوية، غير مكتملة،

بمنظور البنى اللاحقة وحيوية مكوناتها، تتشكل فيها الخصائص السردية تشكلاً بسيطاً لا ينفصل في حضوره وآلية تنظيم عناصره عن آليات معطيات عصره، وسياقاته الثقافية»[١٧].

والمثل أحد هذه الأنواع، يجب معاينة نصه، وملاحظة خصائصه السردية.

٣- الأمثال في المنظومة العربية الجاهلية:

لا تعدم أمة من الأمم قاموساً جامعاً لأمثالها، يصور نمط عيشها ومثالبها، وقد عُنِي العرب «بالأمثال عناية قل نظيرها، فقد أقحموها في كل ميادينهم تقريباً، فكان لكل ضرب من ضروب حياتهم مثل يلهج به، وبلغت عناية اللغويين مدى مميزاً عن سواهم، لأن المثل بالنسبة إليهم كان يجسد اللغة الصافية إلى حد كبير»[١٨]، فهو يجمع بين الدقة والإيجاز وحسن التعبير[*]، فضلاً على العبرة التي يتضمنها، وإلى جانب ذلك كله يحكي قصة وقعت ذات يوم.

ثم إن الباحث في الأمثال سيقف أمام «موقفين متناقضين:

– الموقف الأول: يعمد إلى طرد (الأمثال) من النثر الفني العربي، ويلحق دراساتها بنمط الدراسات (الفيلولوجية) للغة..، ويعدها مقياساً لدرس الجملة القصيرة كيف تتكون، ومقياساً بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعاني..

– الموقف الثاني: يهتم (بالأمثال) بوصفها نمطاً من أنماط النثر المتميزة في الجاهلية، ويعدها مصدراً من مصادر دراسة الأدب الجاهلي، لا سيما النثري منه»[١٩].

ولعل الموقف الثاني هو الأقرب إلى المنطق والموضوعية، إذ كيف يعقل اعتبار المثل نوعاً من عبث الشعوب بالكلمات، وهي إنما ضربتها لموقف حدث بالفعل، ولم تكن مهيأة له حتى تزوق العبارة وتنمقها.

أضف إليه أن الأمثال ليست كلها سيان، وليست كلها على درجة واحدة من البلاغة والرقي، إذا علمنا أن الشعبية طغت على جل الأمثال الجاهلية، ويقصد بالشعبية «تلك التي تختلف في مصادرها وعلة نشوئها عن الأمثال الذهنية النابعة عن الشعر أو أمثال القرآن الكريم»[٢٠]، دون أن نغفل جانباً مهماً يتمثل في الخرافة التي كان لها نصيب في الأمثال، بل إن حضورها هو من الأهمية بمكان، «لا بوصفها نوعاً قصصياً، بل بما تساعد في إقامته من أنواع قصصية تتحرف بمروياتها عن قول الحقيقة لتنشغل بالخيالي والمتوهم من الحكايات والأخبار..، وربما حفلت صيغ الأمثال بالعناية في المدونات والكتب المبكرة بسبب من ارتباطها بقصة تحمل من سمات الخرافة وأصدائها ما يجعل منها مادة مناسبة للأسمار»[٢١] «مثل الأمثال الواردة في قصة الزباء ومنها: «لا يطاع لقصير أمر»، و«لأمر ما جدع قصير أنفه»، «بيدي لا بيد عمرو».

وكذلك الأمثال الواردة في قصة ثأر امرئ القيس لأبيه ومنها: «ضيعني صغيراً، وحملني ثأره كبيراً»، و«لا صحو اليوم، ولا سكر غداً»، و«اليوم خمر، وغداً أمر»[٢٢].

ولعلنا نستشف بعض الخصائص والسمات التي ميزت، وطبعت الأمثال الجاهلية في المبحث التالي.

٤- ملامح السرد في المثل الجاهلي:

بداية لا بد من التنبيه إلى أن مسألة نسب بعض الأمثال إلى الجاهلية مسألة نسبية لا قطعية، ويؤخذ

بها على وجه التقريب لا اليقين، ومن الأمور التي استأنس بها النقاد والدارسون للفصل بين الأمثال الجاهلية والإسلامية بعض الأمارات التي قد تحيل على عصرها بشكل أو بآخر؛ كذكر الخمر والتطير والتشاؤم والثأر..، وغيرها من الإشارات التي تدل على البيئة الجاهلية.

ومن الملاحظ أن دارسي الأمثال اهتموا بحسن صياغتها وجمال ديباجتها ودقة تعبيرها، أكثر من اهتمامهم بالقصة أو الحدث أو المورد الذي قيلت فيه أول مرة، فهذا أمر ثانوي في نظرهم[٢٣]، إلى جانب هذا فقد اختلفوا، كما نوهنا سابقاً، بين من يعد المثل صالحاً للدرس اللغوي، وبين من يعده فناً نثرياً راقياً، إلا أن المنطق هنا يستدعي دراسة المثل بالنظر إلى صياغته ونصه معاً، فقصة المثل تُعْتَمَد في «دراسة النظام الأدبي الذي يختص بتشخيص محمول المثل والتمثيل له تمثيلاً قصصياً يعنى بتتبع الأخبار وتقصيها، وتتوفر فيه من العناصر ما تؤهله للإسهام بكشف أوليات التشكيل السردي لهذا الضرب من فنون الأدب في الثقافة العربية، فهو باعتماده الشخصية ركناً، وبانطوائه على السرد والوصف والحوار، وبملاحظته فضاء الحدث بدرجات تتناسب مع نظر عصور إنتاجه، يعمل على تنظيم عناصره تنظيماً لا يشذ عن وعي الثقافة العربية للقص عموماً بوصفه استعراضاً لأحداث ماضية كلاماً، وقد تكون الحوادث تاريخية أو مختلفة أو مزيجاً منهما»[٢٤].

وقد حرصت أغلب كتب الأمثال القديمة، وأشهرها كتاب الأمثال للمفضل الضبي، على تقديم الأمثال بشكل سردي، معتمدةً -أي كتب الأمثال- في ذلك على خطوات ثلاث هي: الاستهلال، والوصل والفصل، والخاتمة[٢٥]، ولا يخفى علينا أن عرض المثل مفرداً يجرده من خاصيته السردية، إذ يجب التقديم له كما فعل جامعو الأمثال عبر العصور.

فمن أسرار الأمثال أنها تبقى صالحة لكل زمان ومكان، ويجب عدم تغيير أو تحوير صيغتها، وذلك أنها ذات صبغة حكائية ولها خلفية سردية، وفي

هذا يقول أبو هلال العسكري: «الأمثال تُحكى، يعنون بذلك أنها تضرب على ما جاء عن العرب، ولا تغير صيغتها، فتقول (الصيفَ ضيعتِ اللبن)، فتكسر التاء لأنها حكاية»[٢٦]، وواضح من كلام العسكري أن الدارسين القدامى لاحظوا السمة السردية للمثل، ولم يجردوه من خصوصيته تلك، بل إن كتب الأمثال جميعها لا تذكر المثل إلا وتذكر قصته معه.

و«إذا توجهنا للنظر إلى موقع صيغة الاستهلال (زعموا أن) كما وردت في كتاب (المفضل الضبي)، وكما انتظمت في سلسلة الأمثال العربية..؛ تبينا الأهمية التاريخية لها فضلاً عن سماتها البنيوية ودورها واسطة بين حلقات»[٢٧]، كما قد يرد الاستهلال بطرق وصيغ أخرى، كالجمل الاستفتاحية من قبيل: أول مَنْ..، وفي هذا الجدول عرض لنماذج منه أوردتها بعض كتب الأمثال المعروفة[**]:

صيغة المثل	الاستهلال
القول ما قالت حذامِ	حذام هي بنت الريان..
خلا لك الجو فبيضي واصفري	أول من قال: (خلا لك الجو)..
لا مخبأ لعطر بعد عروس	إن عروساً لرجل من العرب..
سبق السيف العذل	أول من قال: (سبق السيف العذل)..
إحدى حظيات لقمان	كان عمرو بن تقن قد طلق امرأة..

ومهما اختلفت وتباينت طرق الاستهلال للمثل، تبقى صيغة (زعموا أن) الأقرب إلى خصائص القصة، فهي تؤدي «منذ البدء دور راوٍ غير معين، تتسع المسافة بينه وبين ما يروى[٢٨]، وفي كتب الأمثال شواهد ونماذج كثيرة عن طرق وصيغ الاستهلال يضيق المقام بذكرها جميعاً، وما يعنينا في هذا المقام حقاً هو إلقاء الضوء على المثل باعتباره نمطاً سردياً، وفناً أدبياً يحكي تجارب العرب القديمة، ويصور بيئتها الجاهلية في تناقضاتها وصورها المختلفة، ينازع ويزاحم في ذلك الشعر الذي يعد السجل الأول والكتاب الأمثل الذي نقل إلينا أخلاق العرب وحياتهم وطرق معيشتهم وتفكيرهم.

٥- العادات والتقاليد العربية في ضوء الأمثال الجاهلية:

نعتقد جازمين بأن المثل أصدق دليل على طبيعة الحياة العربية الجاهلية، لأن الشعر إنما صدر عن خاصة الناس وعلّية القوم، ونعني بذلك المعلقات وجواهر الأشعار التي طارت بذكرها الآفاق لجودتها. أما الأمثال فعادة تصدر عن عامة الناس لأنها أقوال عفوية لا يقصد أصحابها الشهرة، ولا يجلسون حولاً كاملاً ينقحونها كما كان يفعل بعض الشعراء، حتى إن العرب أجازت لضارب المثل الخروج فيه على قواعد اللغة بدعوى الضرورة كالشعر، لأنه قد يصدر شعراً أو سجعاً، وقد يصدر عن أفواه أناس لا يبالون بالقواعد»[٢٩].

أضف إليه أن الشعر يوفر أرضية خصبة للانتحال والتصرف فيه، ونسبة شعر لغير صاحبه أو العكس، أما المثل فتلوكه الألسنة دونما اكتراث بمعرفة صاحبه، ومن أجل هذا اخترنا المثل مجالاً لتقصي عادات العرب القديمة وتقاليدها في صورها البسيطة.

عادات الزواج، وعلاقة المرأة بالرجل:

كثيرة هي الأمثال التي ضربت في هذا المقام، ومنها قولهم: «إياك أعني واسمعي يا جارة». تعود قصة هذا المثل إلى أن سهل بن مالك

الفزاري خرج يريد النعمان، فمر بأحد أحياء طيء فنزل عند أحدهم، ووقع في نفسه من إحدى نساء البيت شيء، فلم يعرف كيف يحدثها فجلس في الخباء وأنشد شعراً وهي تسمع، فعرفت أنها المعنية بكلامه فنهرته بأبيات شعرية..، إلى آخر القصة[٣٠].

هذا المثل يصور لنا كيف أن المرأة كانت عزيزة في قومها، لا تتعرض للرجال وإذا تعرض لها أحدهم ردته خائباً في الغالب.

ومن الأمثال المشهورة قولهم: «وافق شنٌّ طبقة». وملخصها أن رجلاً من دهاة العرب أقسم أن لا يتزوج إلا امرأة توافق طباعه، فحدث أن التقى رجلاً فرافقه حتى بيته، وسأله في أمور فعجز إلى أن أجابت ابنته عنه فتزوجها[٣١].

هذا المثل يصور لنا أهمية الكفاءة التي كانت مطلوبة في الزواج قديماً، ليس من جهة الحسب والنسب فقط، بل من جهة العقل والفطنة أيضاً.

وقالت العرب في موضع آخر: «أسرع من نكاح أم خارجة». وأم خارجة هذه كانت كثيرة الزواج، كثيرة الإنجاب[٣٢]، وهذا المثل إنما يدل على أن المرأة في الجاهلية يندر أن تبقى دون زواج، لا فرق في ذلك بين ثيب أو عذراء، صغيرة أو كبيرة، المهم أن تكون ولوداً وودوداً، وإن كانت العرب، في الغالب، تفضل البكر كما في قولهم: «إن المناكح خيرها الأبكار»[٣٣]، إلا أنها تفضل الولود أكثر، يدل على ذلك كثرة الأمثال التي تمتدح المرأة المنجبة، ولا تسمى منجبة إلا إذا تجاوز عدد أولادها الثلاثة، ومن جملة تلك الأمثال قولهم: «أنجب من مارية»، و«أنجب من أم البنين»، و«أنجب من خبيئة»[٣٤]، والعرب مع حبها للإنجاب كانت تفضل الذكر على الأنثى، وتثني على المرأة صاحبة الأولاد، وفي ذلك قالوا: «لئن كنت حبلى فلِدِي غلاماً»[٣٥].

التشاؤم والتطير:

كانت العرب قديماً كثيرة التطير والتشاؤم، وكانت تتطير بأشياء عديدة يأتي على رأسها الغراب، ومنها قولهم: «أشأم من غراب البين»[٣٦]، وتشاءمت العرب أيضا بنوع من الطيور فقالت: «أشأم من طير العراقيب»[٣٧]،

غير أننا وقفنا على بعض الأمثال التي تشاءمت العرب فيها بالمرأة، وإن لم يكن تصريحاً؛ فتلميحاً، ومنها قولهم: «أشأم من عطر منشم»، وهذا مثل يضرب في التشاؤم ليس اشتقاقاً من كلمة (منشم)، ولكن صادف ذلك انطباق المثل على صاحبه اسماً ومعنى، وقصته أن «منشِم –بكسر الشين– اسم امرأة عطارة كانت بمكة، وكانت (خزاعة) و(جرهم) إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها، وإذا فعلوا ذلك كثر القتلى فيما بينهم، فكان يقال: أشأم من عطر منشِم»[٣٨]، ومثلها قولهم: «أشأم من البسوس»، وقصة البسوس خالة جساس معروفة في إشعالها حرباً لم تبق ولم تذر[٣٩].

وقالوا أيضا: «أشأم من رغيف الحولاء»، و(الحولاء) هذه كانت خبازة، فحدث أن أخذ أحدهم رغيفاً دون إذن منها فغضبت وثارت، وقتل من القوم ألف إنسان[٤٠]، وقالوا أيضاً: «أشأم من شولة الناصحة»، و(شولة) امرأة كانت كلما نصحت مواليها بشيء؛ صار نصحها وبالاً عليهم[٤١]

الحلي وأدوات الزينة:

ورد في بعض الأمثال ذكر حلي المرأة التي كانت تتزين بها، ومن المعروف أن الحرة هي التي كان لها الحظ في الزينة والتبرج، أما الأمة فلا تملك من ذلك شيئاً، ومن جملة تلك الأمثال قولهم: «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»[٤٢]، وقولهم: «ولو غير ذات سوار لطمتني»[٤٣]، وقالوا أيضاً: «ولو بقرطي مارية»، ومارية هذه أم الحارث الأعرج ملك غسان، ذات حسب ونسب، ويضرب بها المثل في الشيء العزيز الذي لا يقدر عليه[٤٤]، كما قالوا أيضاً: «بخ بخ، ساق بخلخال»[٤٥].. إلى غير ذلك من الأمثال. فالحلي بأنواعها كانت من متعلقات الحرة التي بها تميز عن الأمة، ولهذا ضربوا بها المثل في الأشياء الرفيعة.

الفوارق والطبقات الاجتماعية:

كان النظام السائد في المجتمع العربي الجاهلي قائماً على الطبقية والفوارق الاجتماعية، الأمر الذي هيَّأ جواً مشحوناً بين من نصّبوا أنفسهم أسياداً، وبين من وجدوا أنفسهم عبيداً دونما رغبة أو اختيار منهم، ولم يتوقف الأمر في حدود الثروة والنسب والحسب، ولكن تعداه إلى احتقار طبقة العبيد والفقراء، وإنزالهم منزلة الحيوانات أحياناً، وكأننا بالعرب خلقوا جنساً آخر يخالفهم في كل شيء، حتى كان الغني منهم يمشي تيهاً وعجباً، وقد عبرت الأمثال عن هذه الحال في مواضع عدة، منها قولهم: «إن الغني طويل الذيل مياس»، أي لا يستطيع صاحب الغنى أن يكتمه[٤٦]، وقد حفلت الأمثال التي تسخر بالعبيد وتنزل بهم إلى منزلة الحضيض، ومنها قولهم: «حُبَّ إلى عبد محكده»، والمحكد الأصل، وقالوا أيضاً: «احمل العبد على فرس فإن هلك هلك، وإن عاش فلك»[٤٧]، وكذلك قالوا:«الحر يعطي

والعبد يألم قلبه»[٤٨]في إشارة إلى خسة العبد الذي يتألم لأن سيده جواد كريم، كما قالوا:«ما جُعل عبد كربّه»[٤٩]، ومن أشهر الأمثال في هذا الباب والتي يقال: إنها لعنترة، قولهم:«لا يحسن العبد الكر إلا الحلب والصر»[٥٠]، وأمثال أخرى كثيرة يضيق المقام بذكرها جميعا، تصور احتقار العرب لطبقة العبيد بإلصاق كل دنية و منقصة

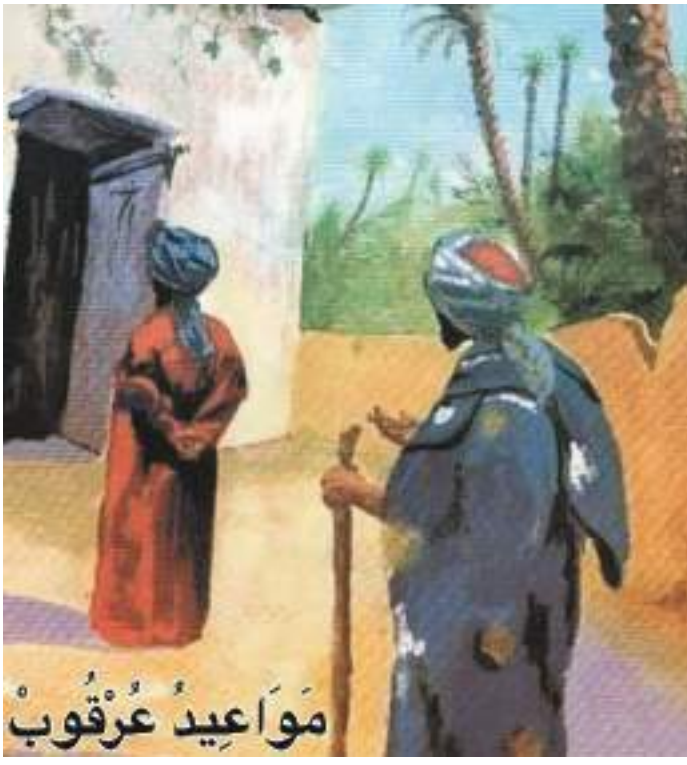

بهم، حتى إذا أرادوا التعريض والتشهير بشخص شبهوه بالعبد.

العلاقات الاجتماعية:

كانت العرب قديما تدرك قيمة وأهمية الروابط الأسرية، كما كانت تعظم الرحم، وقد يخوض المرء حربا ضروسا تلبية لنداء أخ أو عمة..، وما أمر المهلهل وجساس والبسوس بخاف علينا، ولهذا كثر ذكر كل ذي رحم في أشعار وحكم وأمثال العرب، بل إننا نجد في كثير من الأمثال تعظيما للصحبة والصداقة وإنزالها منزلة الرحم، ومنها قولهم: «إلى أمه يلهف اللهفان»؛ في إشارة إلى استعانة الرجل بأهله، وكذلك قولهم: «أم فرشت فأنامت»؛ يضرب في بر الرجل بصاحبه تشبيها بمنزلة الأم لعظمتها، وأيضا قالوا: «إذا عز أخوك فهن»[٥١]، والمثل واضح في الدعوة إلى اللين والرفق بين الإخوة والأصحاب، وقالوا: «إن أخي كان ملكي»[٥٢]، وملخص هذا المثل أن رجلا أراد الثأر لأخيه من قاتله الذي كان من أسياد القوم فلما عيره بالسوقة أجابه بالمثل آنف الذكر. ونختم هذا الباب بقولهم: «كل ذات صدار خالة»؛ والمثل لهمام بن مرة الشيباني الذي أغار على أسد وأمه منهم، فلامته نساء أسد على إغارته عليهن، فأحجم وأطلق هذا المثل[٥٣].

بيئة العرب في الجاهلية:

تزخر الأمثال الجاهلية بذكر تفاصيل البيئة العربية القديمة، كذكر الحيوانات وصفاتها وأشكالها، وذكر النباتات وأنواعها، والكواكب وأحجامها..، على سبيل الإسقاط والتشبيه.

ومما قالته العرب في باب الحيوانات: «أصوص عليها صوص»، والأصوص الناقة الحائل السمينة، والصوص اللئيم، يضرب للأصل الكريم يظهر منه فرع لئيم[٥٤]، وقالوا أيضا: «أخذت الإبل أسلحتها»، وأيضا: «إنما يجزي الفتى ليس الجمل»، و«إذا زحف البعير أعيته أذناه»، و«أخذه أخذ سبُعة»، والسبعة هي اللبوة، و«إذا نام ضالع الكلاب»، و«إنما هو ذنب

الثعلب»، و«إن تك ضبا فإني حلسه»، و«إنه لصل أصلال»[٥٥]، والصل الحية القاتلة، وغير ذلك من الأمثال التي ضمت معجما كبيرا من أنواع الحيوانات التي عرفتها العرب وخبرت صفاتها وطباعها، فضربت بها المثل. كما ذكرت العرب بعض النباتات والأشجار التي ألفتها فكانت الجار في القفر، والصاحب في السفر، ولعل أولها النخل، وفيها قالوا: «ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل»[٥٦]، وقالوا: «عرف النخل أهله»[٥٧]، وغني عن البيان أن العرب ذكرت النخل وأنواعه، والتمر وأشكاله في شعرها ونثرها، لمكانة هذه الشجرة عندها فهي رفيقتها في الصحاري؛ منها تأكل وتستظل، ولهذا لا تذكرها إلا في مواضع الثناء والمدح، وفي المقابل تذكر ما تجده في الفيافي والقفر من أشكال وأنواع الأشواك التي لا فائدة ترجى منها، في مواضع الذم والاحتقار، كقولهم: «جاء بالشوك والحجر»[٥٨].

وكان للكواكب والنجوم حظ وافر في أمثال العرب، وليس غريبا، فبها تهتدي، وبها تعرف الطريق والاتجاهات، ومنها قولهم: «أتلى من الشعرى»، والشعرى تكون في طلوعها تلو الجوزاء[٥٩]، وقولهم: «ودونه النجم»[٦٠]، كما ذكرت القمر والثريا في مواضع أخرى.

أطعمة العرب وشرابها ومراكبها وأسلحتها:

ورد في أمثال العرب مجموعة من أطعمة العرب وشرابها، وقد أخذ اللبن بأشكاله وألوانه ومصادره الحظ الأوفر، ومنها قولهم: «أبى الحقين العذرة»، والحقين اللبن المحقون، وقالوا: «أتاك ريان بلبنه»[٦١]، وأيضا: «إذا كنت في قوم فاحلب في إنائهم»[٦٢]، كما أفاض العرب في ذكر اللحوم وشحومها وأقسام الشاة وطرق طهيها والمفضل منها، فقالوا: «أنا منه كحاقن الإهالة»، والإهالة الشحم المذاب، وقالوا: «إنه ليعلم من أين تؤكل الكتف»[٦٣] أي أن لحم الكتف هو أطيب ما في

الذبيحة، أما السمك وما يصطاد من البحر فقلّ ذكره بالنظر إلى بعد البحار والأنهار وموارد المياه عن العرب في الغالب، ومع هذا فقد لمسنا معرفة كبيرة بالأسماك والحيتان عندهم، فقالوا: «آكل من الحوت»[٦٤] في إشارة إلى الجشع وسعة البطن، والعرب تذم الأكل الكثير كما نعلم.

وكان للخمر نصيب من الذكر في أمثال العرب، وليس عجيبا إذ هي شرابهم الأثير، فقالوا: «أرق على خمرك أو تبيّن»[٦٥]، و«ما أنت بخل ولا خمر»[٦٦]، و«قد تخرج الخمر من الضنين»[٦٧] .

ومن الثمار التي حفلت بذكرها الأمثال الجاهلية، التمر بأنواعه وأشكاله المختلفة، الجيد منه والرديء، كل حسب المقام الذي يقال فيه،

ومن ذلك قولهم: «إنه لأشبه به من التمرة بالتمرة» و«أكلتم تمري وعصيتم أمري»[٦٨]، وقولهم: «أحشفا وسوء كيلة!؟»، والحشف أردأ التمر[٦٩]، كما ذكروا الزبيب فقالوا: «إنما يخدع الصبيان بالزبيب»[٧٠]، وفي الأمثال أيضا فسحة لذكر الحيوانات الأليفة التي كانت العرب تعيش على لحومها وجلودها، أو تتخذها مركبا في حلها وترحالها، ومن ذلك قولهم: «أخذت الإبل رماحها»[٧١]، و«أبو وثيل أبلت جماله»[٧٢]، و«عرفت الخيل فرسانها»[٧٣]، و«إذا تفرقت الغنم قادتها العنز الجرباء»[٧٤]، وإلى جانب هذا نجد في الأمثال ذكرا لمختلف الأسلحة التي استعانت العرب بها في كرّها وفرّها، كقولهم: «إن حالت القوس فسهمي صائب»[٧٥]، و«شُغل عن الرامي الكنانة بالنبل»[٧٦]، و«عاد السهم إلى النزعة»[٧٧].

وغني عن البيان أن العرب وظفت الأمور السابقة الذكر خارج سياقها بغرض ضرب الأمثلة، وأخذ العبرة.

أخلاق العرب وطبائعها:

عُنيت الأمثال الجاهلية برصد أخلاق العرب الحسن منها والسيئ على حد سواء، غير أننا وقفنا غير مرة على أمثال تثني على خُلُق بعينه، أو العكس تذم خلقا معينا استهجنته العرب، كالبخل الذي يتنافى مع أخلاقها، فالعرب كالريح المرسلة في الكرم، ومن شذ عن هذه القاعدة صار مضربا للأمثال جيلا عن جيل، فقالوا: «أبخل من مادر»[٧٨]، وبالمقابل امتدحوا الكرم وأثنوا على صاحبه فقالوا: «أجود من حاتم»[٧٩].

وهم مع بغضهم للبخل يبغضون الظلم أكثر، والبخيل عندهم أهون من الظالم، حتى قالوا: «الشحيح أعذر من الظالم»[٨٠]، وكانوا يحتقرون الجشع والطمع، فتلك صفات تنقص من المروءة، يقول المثل: «أجشع من أسرى الدخان»، وذلك أن قوما كانوا في حرب، فدعاهم أحد أعدائهم إلى الطعام بعد أن أشعل النار وارتفع الدخان، فلبوا النداء ووقعوا في الأسر نتيجة طمعهم وجشعهم[٨١].

كما ذم العرب الجبن، وضربوا لذلك أمثالا كثيرة منها قولهم: «أجبن من صافر»؛ والصافر طائر صغير معروف بشدة خوفه، حتى إنه يصفر طوال الليل خشية أن ينام[٨٢]، بل انظر إليهم وهم يرمون الرجل الذي يموت في فراشه بالجبن في قولهم: «مات حتف أنفه»[٨٣]، وفي مقابل هذا مدحوا الشجاعة والإقدام والجرأة، فقالوا: «أجرأ من قَسوَرة»[٨٤] والقسورة الأسد، ذلك أن الموت عندهم لا يكون إلا بضربة سيف أو طعنة خنجر أو رمية رمح، فتلك هي الميتة الشريفة التي تشهد لصاحبها بالشجاعة بين الناس، وغير ذلك فذل وهوان.

ولأن المرء يعرف بأخلاقه، فقد عرف العرب بإنجاز الوعد والوفاء بالعهد، لا يخالف ذلك إلا دنيء ناقص المروءة، ولهذا عرّضوا بكل من أخلف وعده بذكر اسمه ليكون عبرة للناس، فلا يفعل مثله فاعل عبر السنين والقرون إلا وذكر فيتعوذ الناس منه كالملعون، ومن أشهر تلك الأمثال قولهم: «مواعيد عرقوب» وفي رواية «أخلف من عرقوب»[٨٥].

وإذا كانت الطبيعة الصعبة، والبيئة الوعرة قد ألقت بظلالها على العرب، فكانوا أجود من الريح، وأكرم من الغمام، وأوفى بالعهود، وأغوث للملهوف، فإنها بالمقابل صقلت أنفسهم على سفك الدماء، واستباحة الأرواح، والأخذ بالثأر وإن طال الزمن، ومن جملة تلك الأمثال المعبرة عن سرعة العرب في القتل قولهم: «محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا»[٨٦]، و«أفتك من عمرو بن كلثوم»[٨٧]، و«لا ينام من أثأر»[٨٨]، و«الحرب غشوم»[٨٩] أي يذهب ضحيتها ناس لا ذنب لهم، وقد يسلم الجاني.

الخرافة والعجائبية:

إن المطلع على التراث العربي، شعره ونثره، يجد كمًّا هائلا من الألفاظ والتعابير والقصص ذات الطابع الخرافي والعجائبي، فالمخيلة العربية أولت وردت كل ما فاق تصورها وطاقتها وحواسها إلى عالم الخيال حيث تسكن الشياطين والأرواح والجن[***].

وقد وردت لفظة التعجب في بعض أمثالها ومنها قولهم: «عش رجبا تر عجبا»[٩٠]، وقولهم: «العجب كل العجب بين جمادى ورجب»[٩١]، وحقا لا نعلم أجمعت العرب بين رجب والعجب لتوافق السجعة، أم أن هذا الشهر يحمل بعدا عجائبيا عندها!؟

وأما الأمثال التي حفلت بذكر الغرائب والخرافات فكثيرة، منها قولهم: «إنما هو كبارح الأروى قليلا ما يرى»[٩٢]، والأروى مساكنها الجبال لا ترى في الدهر إلا مرة واحدة، وقولهم: «إنها الإبل بسلامتها»[٩٣]، قصة خرافية على لسان الحيوان، و«جاء بأم الربيق على أريق»[٩٤] وأم الربيق الغول، كما قالوا: «أجل

من الحرش»[٩٥]، و«أحمق من الضبع»[٩٦]، وكلاهما قصة خرافية على لسان الحيوان، وقالوا أيضا: «كالأرقم إن يقتل ينقم وإن يترك يلقم»[٩٧]، يقصدون الثأر عند الجن، و«أمحل من حديث خرافة»[٩٨]، يقال: إنه رجل من عذرة استهوته الجن!.

هوامش البحث ومراجعه:

(١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (سرد)، مج٦، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٣٣.

(٢) سورة سبأ: الآيتان ١٠-١١.

(٣) ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير ابن كثير، تح سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م، مجلد ٦، ص٤٩٨.

(٤) مولاي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيميائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٢٥٢.

(٥) ينظر: عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م، ص٢٥٦.

(٦) سورة محمد: الآية١٥.

(٧) ابن منظور، مادة مثل ٦١٠/١١ وما بعدها، بيروت، دار صادر.

(٨) ينظر: محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي دراسة وتحليل، ص٣٣.

(٩) ينظر: ابن المقفع: الأدب الصغير، تح: أحمد زكي، مطبعة محمد علي الصناعية، ١٩١١م، ص٢٨٣.

(١٠) أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تح: العريان، دار الفكر، بيروت، ٢/٣.

(١١) إسحاق بن إبراهيم الفارابي: ديوان الأدب، تح: أحمد مختار عمر، القاهرة، ١٩٤٧م، ٧٤/١.

(١٢) محمد مسالتي: السرد العربي القديم وآفاق التأويل، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، ٢٠١٣م، ص٩٥.

(١٣) سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات، الدار العربية للعلوم، لبنان- دار الأمان، الرباط- منشورات الاختلاف، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢م، ص٥٩.

(١٤) م.ن: ص٦٠.

(١٥) محمد مسالتي: السرد العربي القديم وآفاق التأويل: ص٩٥.

(١٦) سعيد يقطين: السرد العربي مفاهيم وتجليات: ص٦١.

(١٧) لؤي حمزة عباس: سرد الأمثال، دراسة في البنية السردية لكتب الأمثال العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م، ص١٨.

(١٨) محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دار النفائس، لبنان، ط١، ١٩٨٨م، ص٣١.

(*) قال النظَّام: «يجتمع في المثل أربعة لا يجتمع في غيره من الكلام» إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة، فهو نهاية البلاغة»، محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب الجاهلي، دار الكتاب، ص١٤٥.

(١٩) لؤي حمزة عباس: سرد الأمثال: ص١٩.

(٢٠) م.ن: ص٢١.

(٢١) م.ن: ص٢٣.

(٢٢) محمد سيد سلطان: الأمثال في الأدب الجاهلي، موقع ديوان العرب، نوفمبر ٢٠٠٥م. www.diwanalarab.com

(٢٣) ينظر: لؤي حمزة عباس: سرد الأمثال: ص٢٤.

(٢٤) م.ن: ص٢٨.

(٢٥) ينظر: م.ن: ص٤٦-٤٧.

(٢٦) المفضل الضبي: الفاخر في الأمثال: ص١٤.

(٢٧) م.ن: ص٤٨.

(**) مثل كتب علاقة الكلابي، عبيد بن شرية الجرهمي.

(٢٨) ينظر: لؤي حمزة عباس: سرد الأمثال: ص٤٨-٤٩.

(٢٩) المفضل الضبي: الفاخر في الأمثال: ص١٣.

(٣٠) سليمان بن صالح الخراشي: المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م: ص١٨-١٩.

(٣١) ينظر: المفضل الضبي: الفاخر

هكذا إذن عبرت الأمثال الجاهلية عن الحياة العقلية الشعبية للعرب، فصورت نمط عيشهم، وطريقة تفكيرهم، وأسلوب معاملاتهم، بأسلوب شيق، وعبارة موجزة، والطريف في المثل أنه لا يحور ولا يغير، فحتى وإن اندثرت بعض مظاهر الحياة القديمة إلا أن المثل يبقى سائرا، وهي ميزة لا توجد في غيره من فنون القول المختلفة، فالمثل أكثرها حفظا للذاكرة والمخيلة الشعبية العربية القديمة■

في الأمثال، تقديم: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، لبنان، ط١، ٢٠١١م، ص٨٧.

(٣٢) ينظر: م.ن: ص٩٧-٩٨.

(٣٣) ينظر: أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الملقب بالميداني: مجمع الأمثال، مؤسسة الطباعة والنشر التابعة للأستانة الرضوية، إيران، ج١، ص٦٧.

(٣٤) ينظر: م.ن: ج٢، ص٣١١-٣١٢.

(٣٥) ينظر: م.ن: ج١، ص٧٩.

(٣٦) ينظر: م.ن: ج١، ص٣٩٦.

(٣٧) ينظر: م.ن : ج١، ص٣٩٥.

(٣٨) سليمان بن صالح الخراشي: المنتقى من أمثال العرب وقصصهم، دار القاسم، الرياض، ط١، ٢٠٠٧م: ص٣٠.

(٣٩) ينظر: المفضل الضبي: الفاخر في الأمثال: ص١٢٦ وما بعدها.

(٤٠) ينظر: الميداني: مجمع الأمثال: ج١، ص٣٩٥.

(٤١) ينظر: م.ن: ج١، ص٤٠٢.

(٤٢) سليمان بن صالح الخراشي: المنتقى من أمثال العرب وقصصهم: ص٥١.

(٤٣) محمد توفيق أبو علي: الأمثال العربية والعصر الجاهلي: ص٦٨.

(٤٤) ينظر: المفضل الضبي: الفاخر في الأمثال: ص١٣٥.

(٤٥) ينظر: الميداني: مجمع الأمثال: ج١، ص١١٦.

(٤٦) ينظر: م.ن: ج١، ص٣٦.

(٤٧) ينظر: م.ن: ج١، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٤٨) ينظر: م.ن: ج١، ص٢٢٠.

(٤٩) ينظر: م.ن: ج٢، ص٢٢٩.

(٥٠)-ينظر: م.ن: ج٢، ص٢٤٤.

(٥١) ينظر: م.ن: ج١، ص٢٤.

(٥٢) م.ن: ج١، ص٤٥.

(٥٣) ينظر: م.ن :ج٢، ص٧٨-٧٩.

(٥٤) م.ن: ج١، ص٢٦.

(٥٥) م.ن: ج١، ص٢٧ وما بعدها.

(٥٦) م.ن: ح١، ص١٤٤.

(٥٧) م.ن : ج١، ص٤٨٢.

(٥٨) م.ن: ج١، ص١٧٣.

(٥٩) م.ن: ج١، ص١٥٦.

(٦٠) م.ن: ج١، ص٢٧٥.

(٦١) م.ن: ج١، ص٤٣.

(٦٢) م.ن: ج١، ص٦٤.

(٦٣) م.ن :ج١، ص٤٣ وما بعدها .

(٦٤) م.ن: ج١، ص٨٩

(٦٥) م.ن: ج١، ص٢١٣.

(٦٦) م.ن: ج٢، ص٢٣٧.

(٦٧) م.ن: ج٢، ص٩٦.

(٦٨) م.ن: ج١، ص٧١.

٦٩) م.ن: ج١، ص٢١٦.

(٧٠) م.ن: ج١، ص ٩١.

(٧١) م.ن: ج١، ص٥٩.

(٧٢) م.ن: ج١، ص٧٢.

(٧٣) م.ن: ج١، ص٤٩٢.

(٧٤) م.ن :ج١، ص٩١.

(٧٥)- م ن:ج١، ص٧٣.

(٧٦) م.ن: ج١، ص ٣٧٦.

(٧٧) م.ن: ج١، ص٤٧٩.

٧٨) م.ن: ج١، ص١١٨.

(٧٩) م.ن: ج١، ص١٩١.

(٨٠) م.ن: ج١، ص٣٧٩.

(٨١) م.ن: ج١، ص١٩٦.

(٨٢)- م ن:ج١، ص١٩٣.

(٨٣) م.ن: ج٢، ص٢٢٠.

(٨٤) م.ن: ج١، ص١٩٤

(٨٥) م.ن: ج٢، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٨٦) م.ن: ج٢، ص٢٣٣.

(٨٧) م.ن: ج٢، ص٣٦.

(٨٨) م.ن: ج٢، ص١٧٧.

(٨٩) م.ن: ج١، ص٢١٦.

(***) كقول امرئ القيس:

أيقتلني والمَشرفيُّ مُضاجِعي

وَمسنُونةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أغوالِ

(٩٠) م.ن: ج١، ص٧١.

(٩١) سليمان بن صالح الخراشي: المنتقى من أمثال العرب وقصصهم: ص١١٤-١١٥.

(٩٢) الميداني: مجمع الأمثال: ج١، ص٢٥.

(٩٣) م.ن: ج١، ص٥٦.

(٩٤) م.ن: ج١، ص١٦٩.

(٩٥) م.ن: ج١، ص١٨٦.

(٩٦) م.ن: ج١، ص٢٢٥.

(٩٧) م.ن: ج٢، ص١٤٥.

(٩٨) م.ن: ج٢، ص٣٢٦.

الحب

د.عمر محمود الراوي – العراق

استيقِظْ أبا مهدي؛ فإني أسمع أصواتاً. قفز أبو مهدي من مكانه، ولبس ثيابه، وقال:

– ما الوقت يا أم مهدي؟

– الثانية ليلاً.

– هل سمعت الصوت يقيناً؟

– نعم نعم.

خرج أبو مهدي متلصصاً، وفعلاً سمع أصواتاً، إنها تأتي من فوق، صعد الدرج، فسمع صوت باب السطح يفتح..

– أكيد.. هناك أحد. صعد بسرعة، وخرج إلى السطح، وإذا به وجهاً لوجه أمام ابنه مهدي الذي لم يكمل العاشرة.

–ماذا تفعل هنا يا مهدي؟

–لا شيء، يا أبي، أردت أن أرى السطح.

نزلا بعد أن أوصدا الباب.

في اليوم التالي سمع الصوت نفسه، وفي هذه المرة صعد إلى الأعلى ولم يخرج إلى السطح، وأخذ يراقب ابنه الذي كان ينظر من سياج السطح إلى الخارج، ويطيل النظر وكأنه يتأمل، ثم اختفى خلف جدار في السطح وانتظره، فلم يخرج.

صاح على ابنه:

– مهدي أين أنت؟! خرج مهدي مسرعاً، وكأنه يخفي شيئاً.

– ماذا تفعل؟

– لا شيء يا أبي، فقط

أحسست بالضيق، وهواء السطح جميل جداً.

تنفس أبو مهدي نفساً عميقاً، وقال:

– فعلاً.. إنه هواء طيب، وبالخصوص هواء قريتنا نقي ندي معطر، ورائحته الطيبة تأتي من ورد الجت (البرسيم) الذي يحيط بالقرية من كل الجهات.

نظر أبو مهدي من سياج السطح، فلم ير في ضوء القمر الساطع إلا القرية الجميلة، وبيوتها الصغيرة، والمروج الشاسعة حولها، والمدرسة الصغيرة في طرفها، وإلى جانبها مسجدها ذو المنارة الحديدية.

في اليوم التالي حدث الشيء نفسه، فصعد أبو مهدي إلى السطح وراقب ابنه جيداً. لقد فعل كما فعل في اليوم الأول، ونظر من السطح طويلاً إلى القرية، ثم ذهب خلف الجدار، وبقي مدة طويلة، كان يقف فيها أبو مهدي، ومن دون حراك على السطح، ومهدي لا يدري.

سمعه يتمتم، ولم يفهم منه شيئاً، وكأنه كان يردد كلمات أو يدعو الله. قلق عليه كثيراً فهو لازال صغيراً، ويجب أن يعرف ما يخفي عنه!.

– أين أنت يا مهدي؟

– أنا هنا يا أبي.

–أخبرني عن الحقيقة يا ابني، فقد راقبتك ليومين، وأنت تعمل العمل نفسه!.

– ألم تقل يا أبي: إن التجسس حرام وخطأ؟

– صحيح يا ابني، ولكن خفنا عليك، ويجب أن تخبرنا الحقيقة.

– سكت مهدي مطرقاً، ثم رفع رأسه إلى أبيه بخجل، قائلاً:

– يا أبي.. أحبها.. أحبها.

ضحك أبو مهدي.

– لماذا تضحك يا أبي!؟

– لا شيء، لاشيء!. قال الأب في نفسه:

– أظنه سيكون مثل عبوسي في المسلسل التلفزيوني عندما كان ينظر إلى دار جاره، وقال: أحبها! وفي النهاية ظهر أنه كان يحب القطة التي عند الجيران، فقال لابنه:

– وهل تحب قطة الجيران يا ابني؟

أخذت الدموع تنهمر من عين مهدي على خديه بغزارة، وظن أبو مهدي أنه جرح شعور ابنه، فأخذه وضمه إليه، قائلاً:

– أنا لا أقصد جرح شعورك، فمن التي تحبها؟! نظر مهدي إلى أبيه والدموع لازالت تنهمر، وقال:

– أحب قريتي يا أبتي، أحبها..

– إذن؛ لماذا تبكي يا ابني؟

–لقد أخبرني صديقي أن أمريكا ستضرب القرية بالصواريخ وتدمرها، ولن يستطيع أحد ردها.

–هذا كلام غير صحيح يا ابني، فلماذا يضربون القرية!؟

–يقولون: إنهم يكرهون كل شيء جميل، فهم يا أبي قصفوا القرى الجميلة في أفغانستان بأضخم الطائرات، وأكد لي أن عائلته ما تركت القرية إلا لأنها جميلة جداً وسيدمرونها.

– ولكن يا ابني.. الله أقوى من أمريكا، وهو الذي يمنعها.

– نعم يا أبي، فأنا أصعد كل يوم؛ أصلي، وأقرأ القرآن، وأطلب من الله أن يحمي قريتنا.

ربت على كتفه، وأخذ بيده ودموعهما على خديهما، وقال:

– تعال يا ابني؛ فإن الله سمع دعاءك■

تذكرت البارحة قصيدةً عمرها تسعة عشر عاماً، نظمتها لأكبر أشياخي سنّاً، وأجلّهم قدراً، وأعمقِهم في حياتي أثرا، العالم الموسوعي، الوالد القدوة، الشيخ: «محمد سعيد الطنطاوي» رحمه الله، لأول صلتي به قبيل المرحلة الثانوية، ولم أكن ألتقي الشيخ في السنة غير مرة واحدة، ثم أبقى مشوقاً إلى اللقاء الآخر من السنة القابلة.

أول الذكرى مع الشيخ

محمد سعيد الطنطاوي – رحمه الله

د.عمر بن عبدالله بن طالب – السعودية

ولما عُينت قاضياً في جدة، بقيت فيها تسع سنين ألتقي الشيخ في كل أسبوع مرة أو مرتين، وكنتُ لا أفتأ أسمع منه في كل زَورةٍ جديداً، وأخرج من عنده مستفيدا، وكان لي غناء الدهر، ومسرّة النفس، ومستراح الروح المتعَبة، ومدرسة جامعة ومكتبة عامرة لا يستنفد لآلئها سؤول، ولا يدرك أغوارها مبحرٌ غوّاص، ولكن تأخذ الأفهامُ منهُ على قدر القرائحِ والعقولِ.

وكَم وَعظ الشيخُ فأبكى، وفاكه فأضحك، وفتح عينيّ على عوالم، وسار بي في أودية وشعاب، وصعد بي روابي وأبراجا، فيا وجدي على مجالس ما كنتُ أوثر عليها غيرها ولو أُعطيتُ بها ما أعطيت، وما قمتُ منها يوماً

إلا وجدتني أرغب في الآخرة، وأزهد في الدنيا، وأشرف همةً في سائر فنون العلم وشعب الإيمان.

وقد كان الشيخ أحبّ الناس إليّ، وكنتُ أحب الناس إليه، أو من أحب الناس إليه، وأفضاله عليّ كثيرة، وأثره لا ينسى، وخبره لا يستوفيه مجلدان كبيران، لكني تذكرت الساعة قولَه أولَ ما زرتُه بعدما بعثتُ إليه القصيدة، ورآني معتمراً فسألني باهتمامٍ قبل أن أتمّ السلام: هل دعوتَ لي؟! وبغتني السؤال، فلم أعهد الشيخ يسأل أحداً شيئا، وإنما يُطلب من الشيخ وأمثاله الدعاء، ثم تذكرتُ عِدتي إياه في تلك القصيدة فأنشدت على الفور:

لكما ما بقيتُ مني وفاءً
أصدقُ الحبِّ والدعاءُ الأكيدُ

فتمدّد الشيخ لمّا سمع ذلك على كرسيّه، واستتار وجهه وأشرق، وأدركتُ أنه إنما أراد أن يؤكد الوعد الأكيد، وأنه لم يحفل من القصيدة بغير هذا البيت، لأنه كان يَعُدّ نفسه في الموتى، وما يفرح الميتُ بشيءٍ فرحَه بالدعاء، وما يصل الميت من ثناء الناس شيء.

وفي ساعة السحَر من ليلة الوداع، رقِيتُ من صحن المطاف إلى مصابيح الحرم، وخفق القلب خفقة الأسف، وشدّ الفتى بيده يدَه الأخرى، وانهمرت من عينيه الدموع، لمّا رأى شيخه جسداً ممدّدا على الأرض، مسجّى فوق النعش بمشلح من مهابة وجلال، أوّلاً في صفّ الجنائز، كما كان أوّلا في مدارج السالكين وميادين السابقين.

ثم كنتُ فيمن شيّع الجنازة المهيبة إلى مقبرة المعلاة، أحمل النعش وأسمع صوت الشيخ في أذنيّ أشجى ما يكون وهو ينشد واعظاً نفسه المطمئنة:

أُؤَمِّلُ أن أحيا وفي كلّ ساعةٍ
تَمرُّ بيَ الموتى تُهَزُّ نُعوشُها
وهل أنا إلا مثلُهمْ غيرَ أنّ لي
بقايا ليالٍ في الحياة أعيشُها

وكان الشيخ إذا قال: «بقايا ليالٍ» يمدّ بها صوته، ويموّجه، ويشير بيده يقلّلها، ثم يردف: من يقول: كم ليلةً بقيت لي؟ كم يوماً؟ الحياة عزيزة على كثير من الناس، لو قيل لأحدهم: بقي لك خمس عشرة سنة، استقلّ ذلك، ولعلّ يومه أدنى من هذا بكثير!.

ولم يكن الشيخ من هؤلاء الناس، بل كان من الموت على غاية الأهبة، وما أحرز من متع الحياة ما يأسف على فراقه، وكان يقول: أثمن شيء في حياة الإنسان الوقت، حتى إن الحسن البصري يعرّف الإنسان أجود تعريف فيقول: ابنَ آدم، إنما أنتَ أيام، كلما مضى يومٌ مضى بعضك.

وكان الشيخ يقول: ما مرّ بي تعريف للإنسان أحسن من هذا التعريف، وقد عرّفه كثير من العرب ومن غيرهم.

وحدثني الأخ الوفيّ: أنس بن نور الدين عدي، وقد رأيتُ من برّه بالشيخ وتحنّنه عليه وحسن صحبته له ما سرّني، أن الشيخ كان يردد قبل شهرٍ من رحيله بعدما أحاطت به الأوجاع وأقعده الكِبَر:

مَن مُجيري مِن حالكاتِ الليالي
نُوَبَ الدّهرِ! ما لكنّ وما لي؟

ولم نكن نسمعه ينشد ذلك من قبل، ثم إنه صار لا يفتأ يردد في آخر أيامه في لهفة واشتياق:

أبـداً تَـحِـنُّ إلـيـكمُ الأرواحُ
ووصالكم ريحانُها والـرَّاحُ
وقلوبُ أهلِ ودادكم تشتاقكم
وإلـى لـذيذ لقائكم تـرتـاحُ

أما القصيدة التي بعثتُ بها إلى الشيخ فقد كانت من أول ما نظمت، ولولا محبتي لمن قيلت فيه ما أعدت نشرها، وهذه بعض أبياتها:

يُدرك القلبُ عندكم ما يريدُ
شكـر الله بـرّكـم يـا سـعيدُ
ما لها أحرفُ القصيدةِ خجلى
ولسانُ القصيدِ خصمٌ عنيدُ
كلما خَطّتِ اليَراعةُ حرفاً
وجمت هيبةً وظلّت تميدُ
ليت شعري وقد خَبَرتَ القوافي
كيف تُصغي لشاعرٍ لا يُجيدُ
حين ألقاكَ أيها الشيخ ألقى
علماً أطبقت عليه الشهودُ
عَرَفَت قدرك العلومُ فأضحت
وسـواءٌ طريـفـها والـتـلـيـدُ
قرّةَ العينِ، يا شقيقَ عليّ
طِبتَ دوماً، وطاب ذاك الفقيدُ
كم تمنّيتُ أن أراه، فأفضى
قبل أن يَهنأ الفؤادُ العميدُ
ما على من يـراك ألا يـراهُ
والليالي إذا مضت لا تعودُ
لكما مـا بـقيتُ مـنـي وفـاءً
أصدقُ الحبّ والدعاءُ الأكيدُ
إنّ هذا اللقاءَ في كلّ عام
بعد طولِ الغيابِ عيدٌ جديدُ
أحمدُ الله حين أغدو إليكم
وعزائي إنْ رحتُ أنّي أعودُ
عشْ سعيداً مُنعَّماً كلَّ حينٍ
عـمـلٌ صـالـحٌ وعـمـرٌ مـديـدُ

أدام الله سعادة الشيخ السعيد، ورفع درجته في المهديين، وبلغه برحمته ورضوانه منازل الصديقين، وجزاه عن العلم وأهله خير ما يجزي عالماً، وأحسن إليه كما أحسن إلينا، وأعاننا على بره والوفاء له، وجمعنا به في الفردوس الأعلى، آمينِ■

لا شيء كالإحسان

محمد مصطفى البلخي – سورية

يا مَنْ تزورونَ القُبورْ ... تُهْدُون للمَوْتَى الزُّهورْ
لِمَ تبْخلونَ بزَهْرةٍ ... تُضْفِي على حَيّ سُرورْ
فَخميلَةُ الإحْسانِ بينَ ... النّاسِ مِنْ أقوَى الجُسُورْ
وبِها تلينُ قلوبُ مَنْ ... كانتْ قلوبُهُمُ صُخُورْ
لا شَيْءَ كالإحْسانِ يَسْـ ... ـتَلُّ السُّخامَ مِنَ الصُّدُورْ
لا شَيْءَ كالإحْسانِ يقْـ ... ـتَلِعُ الضَّغينَةَ والشُّرورْ
لا شَيْءَ كالإحْسانِ يَمْـ ... ـسَحُ كُلَّ آثارِ النُّفُورْ
لا شَيْءَ كالإحسانِ يَجْـ ... ـنِي رَحْمَةَ الرَّبِّ الغَفورْ
لا شَيْءَ كالإحسانِ يُهْـ ... ـدِي لِلْورَى مِسكاً طَهُورْ
ويعودُ بالحُسنى على ... مَنْ فَتَّقُوا تلكَ العُطورْ
يا مَنْ يَغُرُّكَ رأسُ ما ... لٍ أو متاعٌ أو قُصورْ
أوَ ما عَلِمْتَ بأنَّ ذي ... الدُّنيا مَمَرٌّ لِلْعُبورْ
أوَ ما عَلِمْتَ بأنَّ ذي ... الدُّنيا سَرابٌ أو غرُورْ
إذْ جُلُّ ما فيها قَذىً ... ولَطالَما كانتْ عَثُورْ
وغداً سَتَلفِظُ أهْلَها ... مِنْ ذي القُصورِ إلى القُبورْ
وسيَعْلمونَ بأنَّهمْ ... تَركُوا اللُّبابَ إلى القُشورْ
وهُناكَ في يومِ الحَصا ... دِ هُناكَ تُقْتَطَفُ الأجورْ
والفَرْحَةُ الكُبْرَى لِمَنْ ... قد كانَ مِنْ أهلِ الدُّثُورْ
مَنْ كانَ يُسْعِدُ غَيْرَهُ ... طَمَعاً بِمَغْفِرَةِ الغَفُورْ
هذي حَقِيقَةُ ديننا ... دين السَّماءِ على العُصُورْ
فاضْرِبْ أُخَيَّ بِحِكْمَةٍ ... دُونَ المَعاصِي ألْفَ سُورْ
واسْلُكْ طريقَ مُحَمَّدٍ ... تَجْنِ السّعادَةَ والسُّرورْ
فَطَرِيقُهُ الإحْسانِ للـ ... ـإنْسانِ في كُلِّ الأُمُورْ
أخلاقُهُ القُرآنُ والـ ... ـقُرآنُ فيه هُدىً ونُورْ
وتدبُّرُ الأفهامِ في ... آياتِه يَشْفِي الصُّدُورْ
يَهَبُ العُقولَ بصائراً ... والرُّوحَ يُهْدِيها الطَّهُورْ
لِتَظَلَّ تُسْعِدُ غيْرَها ... بِشَذَى المَحَبَّةِ كالزُّهورْ
واللهُ يَمْنَحُها الرِّضا ... ورضاهُ يَمْنَحُها الحُبُورْ

بناء المكان

في قصص العدد (٩٧) من مجلة الأدب الإسلامي

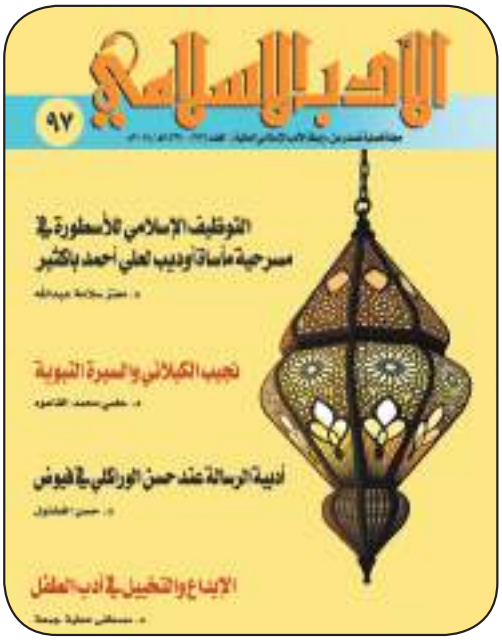

دأبت مجلة الأدب الإسلامي (مشكورة) في كل عدد من أعدادها نشر قصص قصيرة متميزة بالبنية الفنية، والسمات الإبداعية.

ورغبة من الباحث في إلقاء الضوء على بعض جوانب البنية الفنية لهذه القصص كان هذا المقال الذي يدور حول بناء المكان في قصص العدد (٩٧) من مجلة الأدب الإسلامي، وهي قصة: (ونمت على ضفاف نهر العاصي) للكاتب السوري فاضل السباعي، وقصة: (النهر) للكاتب المغربي عمر فتال، وقصة: (استياء) للكاتبة الجزائرية صورية مروشي، وقصة: (يا ليتني كنت قطًا) للكاتبة المصرية مروة سعيد.

بداية يمكن القول: إن للمكان أهميته الكبرى، فهو عنصر مهم في السرد القصصي، فكما أن للزمان أهميته، فالمكان لا يقل أهمية عنه.فلكل قصة بعدها المكاني والفضاء الذي تقع فيه أحداثها وشخوصها وتكون داخل إطارها فهي الخلفية التي تقع فيها الأحداث، إذ إن «المكان في حركة أخذ وعطاء مع الشخصيات الروائية وأحداثها يتوجه بوجهتها، ويرتبط بحركتها، ويقدم بما يدفع أحداثها إلى الأمام دائماً» [١].

د.محمد عباس عرابي- مصر

يختلف المكان القصصي عن المكان الواقعي الموجود، فالمكان القصصي يتميز ببعده اللغوي والثقافي والخيالي، بحيث تبدو مهمة القاص أو الروائي أكثر صعوبة وبحاجة إلى براعة أكثر حتى يستطيع أن يصور الروح المكانية التي لا يمكن تصويرها بدون شخصيات كذلك، فاختيار المكان وبيئته يمثلان أيضاً جزءًا من بناء الشخصية البشرية[٢].

وأما المكان الواقعي الجغرافي فيعد جزءًا من الجانب القصصي والسردي عند كُتاب قصص العدد (٩٧) من مجلة الأدب الإسلامي كالنهر، والطرق، والشوارع، والمعمل، وحلب، وسورية، وفلسطين، ومحطة بغداد،

والفنادق، الشقة ومكوناتها وغيرها من الأماكن العامة والخاصة، بشكلٍ يجعل المتلقي يؤمن بأن أحداث هذه القصص حقيقية وواقعية أيضاً، من خلال ذكر المكان وتصويره كما هو في الواقع؛ لإيهام القارئ بواقعية القصة، ففي قصة (ونمت على ضفاف نهر العاصي) للكاتب السوري فاضل السباعي وصف (لغرفة جدته) حيث يقول في مستهل القصة: «هرعنا نحن أفراد الأسرة القاطنون في (زقاق الزهراوي)، كبارًا وصغارًا إلى غرفة الجدة سيدة الدار، غرفة صغيرة، وذات سقف متين وجدران سميكة»[٣].

ويكثر السباعي القاص من ذكر الأماكن التي ارتبط بها في حياته الواقعية كمدينة حلب، كما في قوله في نهاية القصة: «وفي القطار عدنا إلى حلب. ومن محطة بغداد قطعنا الشوارع العريضة قبل أن نتسرب في الأزقة الضيقة وصولاً إلى بيتنا في زقاق الزهراوي، ببركته وليوانه، وأشجار الياسمين فيه، والرمان ودالية العنب وبأشواقي إلى بيت الطفولة.»[٤].

وفي قصة (ونمت على ضفاف نهر العاصي) ذكر السباعي بغداد وحلب، مما يعطي انطباعاً عن الأبعاد المختلفة التي تدور فيها أحداث القصة من حيث الطبيعة، والأجواء، والأماكن، والأشخاص...، وأيضاً من شأن ذلك أن يعطينا تصورًا عن أثر هذا المكان في بناء عناصر القصة الأخرى والمجتمع الذي يمثله.

أيضاً مما يلفت النظر في قصص كتاب العدد (٩٧) من مجلة الأدب الإسلامي أن الشخصيات والمكان في حركة تبادلية يؤثر كل في الآخر، كما في قصة: (النهر) للكاتب المغربي عمر فتال حيث يقول: «صباح ذلك اليوم الصيفي الحار، وهو في الطريق إلى المعمل، لم يكن غريبًا أن يتوقف مرات لذات الغاية. قطع لحظتها تقريبًا ثلثي المسافة، وبعدما أشرف على الجسر المقام على النهر خرج عليه هذه المرة من بين الأشجار أربعة أطفال في نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة، وما لبث أن توقف، وقد طلب منه ذلك أحدهم على شاكلة ما يفعل باقي سكان القرية!»[٥].

والمكان حاضر في عنوان القصة كما في عنوان قصة: (ونمت على نهر العاصي) وقصة: (النهر)، فهنا نجد حضور المكان صارخاً في عنوان القص، إذ «إنّ سطوة المكان تتعدى في الواقع ما يبدو على السطح من تأثيرات وفاعليتها المباشرة إلى أعماق التكوين النفسي للشخصيات»[٦].

ويمكن تقسيم الوصف المكاني عند كُتاب العدد (٩٧) من مجلة الأدب الإسلامي إلى قسمين:

الوصف الموضوعي: وهو «الوصف الذي يحاول تجسيد الشيء بكل حذافيره بعيدًا عن المتلقي أو إحساسه بهذا الشيء»، ومنه ما ورد في قصة (ونمت على نهر العاصي) يقول السباعي: «وأقلنا بسيارته إلى مزرعة العائلة، واسمها الزور (زور المراديّة)، وفي ريف حماة يسمى كل ما يزرع من الأراضي على ضفاف النهر بالزور، تبعد عن المدينة نحو عشرة أميال شرقًا، وأذكر أنه نقلنا على دفعتين، وربما نقل في مرة ثالثة مزيداً من الفرش واللحف. كانت تلك أول مرة يتاح لي فيها أن أنام في أحضان الريف»[٧].

ومنه أيضًا ما ورد في قصة (يا ليتني كنت قطًّا)، وفيها تقول الكاتبة: «في شقة أبي المتواضعة جدًا المكونة من غرفتين وصالة، ثم ذهبت إلى عملي في أحد المحال الكبرى، فهذا أول يوم لي فيه، أضع البضائع على الأرفف المخصصة لها، لم يكن العمل شاقًا، فقد فرغت من أرفف التوابل سريعًا، وذهبت إلى أرفف الأسماك المعلبة لأضع كل صنف في مكانه الخاص»[٨].

ومنه أيضًا ما ورد في قصة (استياء)، حيث تقول الكاتبة: «وتتالت الأيام في ذلك الفندق، والسيدة تبحث عن الشاب في كل مكان حتى إذا رأته لاحقته بالنظرات، وربما اجتهدت حتى تجلس بقربه في ساحة الفندق أو على طاولة في المطعم أو في أي مكان يكون فيه»[٩].

الوصف التعبيري: وهو الوصف «الذي يقوم بتصوير الشيء وفقاً لأحاسيس الشخصية وانفعالاتها، بحيث تكون النظرة للمكان لها طابع خاص، يختلف عن الوصف المكاني المألوف. ومنه ما ورد في قصة (ونمت على نهر العاصي) يقول السباعي: «قد جروا على أن يقضوا سهراتهم بجوار أمهم التي لم تكن تغادر فراشها، نسمع هدير الطائرات، وهي تحوم في سمائنا، وأصوات انفجار القذائف، ونحن نرتعد خوفًا»[١٠].

إنّ الجلوس بجوار الأم داخل الغرفة على الفراش يدل على الخوف وذهاب الاستقرار والأمان. إن وصف المكان هنا انبثق من خلال عرض أثره في أحاسيس الشخصية.

ومن الوصف التعبيري أن القاص أحياناً يشخص المكان بصورة شخصية لها مشاعر وأحاسيس كما في قصة: (النهر) يقول الكاتب: «وسرعان ما غيبتهم الأشجار، شل الذهول حركته لحظات قبل أن ينتبه لنفسه، وكأنه مستيقظ من غفوة عابرة، حرك رأسه متنهدًا، انطلقت السيارة، وانطلقت معها في أعماقه جملة تساؤلات ملحة»(١١).

إنّ القاص هنا يشكل أجزاء المكان بحسب شعوره، وأحاسيسه، فالأشجار تغيب، والذهول يشل، والتساؤلات تنطلق■

الهوامش:

(١) أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، ص ١٧، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ٢٠٠١م.

(٢) سيزا قاسم ويوري لوتمان وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، دار قرطبة، ط ٢، ١٩٨٨م، ص ٦٣.

(٣)فاضل السباعي: ونمت على نهر العاصي، العدد (٩٧) مجلة الأدب الإسلامي، ص١٦. ربيع الآخر – جمادى الآخرة، ١٤٣٩هـ.

(٤) فاضل السباعي: ونمت على نهر العاصي، المرجع السابق، ص١٧.

(٥) عمر فتال: قصة النهر، العدد (٩٧) مجلة الأدب الإسلامي، ص٥٩.

(٦) صبري حافظ: الحداثة والتجسيد المكاني، ص١٧٢، مجلة فصول، العدد الرابع، ١٩٨٤م.

(٧) فاضل السباعي: ونمت على نهر العاصي، ص١٧.

(٨) مروة سعيد: (يا ليتني كنت قطًا)، ص٩٤.

(٩) صورية مروشي: (استياء)، ص٧٦.

(١٠) فاضل السباعي: ونمت على نهر العاصي ، ص١٦.

(١١) عمر فتال النهر، ص٥٩.

قصة قصيرة جداً:

نظرة أخرى

عبدالحميد ضحا – مصر

جالس على مقعدي وَسَطَ الحافلة.. وجدتُه يصعد بصعوبة وقد غزا الشَّيب ما تبقَّى من شَعْرِه، ولم يرحم شاربَه.. هَجَم على خَلَدي سَيْلٌ من ذكريات مَيْعة الشباب.. أوَّله صورتُه التي كان يحافظ عليها مهما حدث، تسريحة الشعر الناعم التي يَزيدها جمالاً ولمعانًا زيوت الشعر التي يضعها دائمًا، وكأنه هذَّبه شَعرةً شعرة، ورائحته العطرة، وهِندامه الأنيق، ووجهه الذي كان يرسم عليه براءة الحمل الوديع يؤازرها براءة الأطفال في عينيه، التي كانت لا تَخِيل على أصدقائه؛ فكنا نعلم أنه ذئب بسبب حكاياته ومغامراته التي كنا نختلف فيما بيننا في مدى صدقها.

يا ألله! يا لها من ذكريات! أهذا سعد محمود نسخة ما بعد الأربعين؟! أيُعقَل أن يمرَّ الزمن بهذه السرعة، فتنتقل صورة سعد الشاب الوسيم إلى سعد الكهل المترهِّل، الذي يبدو أن الزمن قد أكل عليه وشرب؛ بسبب بُعدي عن بلدتي كلَّ هذا الوقت!

نظرتُ إلى كِرشه العظيم، وجسده المترهِّل، وهندامه عديم الذوق، فقالت نفسي: ما الذي فعل به ذلك؟ أهي الأيام؟ أم اختلاف المراحل العمرية؟

ناديتُه ليجلس بجواري، فنظر إليَّ متعجبًا وكأنه لم يعرفني.. قال لي متأمِّلاً وجهي: حضرتك تعرفني؟

رددتُ عليه مندهشًا: ألا تعرفني يا سعد؟! أهكذا الأيام تغيِّر المرء؟! تأمَّلْ جيدًا يا رجل!

فجأةً انفجرت منه ابتسامة عظيمة، وارتمى في حِضني، وقال لي: اعذِرْني! لم أعرفك.. لقد تغيَّر كلُّ شيء فيك وكأنك شخصٌ آخَرُ!■

جزاء الأمين

الشخصيات حسب الظهور:
- أب.
- أم.
- طفل ١.
- طفل ٢.
- طفلة.

(المكان: بيت فقير صاحبه يبكي حزنا)

الأم: (تدخل) نام الأولاد.. الحمد لله.

الأب: (يمسح دموعه) ناموا بجوعهم.

الأم: (تخفف عنه) كلما جاعوا صحوا.

الأب: ومن الجوع قد نموت.

الأم: هون عليك.

الأب: علينا تدبير طعام عيالنا.

الأم: إن قدرنا ما كنا تأخرنا.. لكن الرزق لا حيلة لنا فيه.

الأب: قلق أنا لأجل الأولاد.

الأم: لا تقلق فقد سكنت جوعهم ببواقي خبز كان عندنا.. سينامون للصباح.

الأب: على أمثالنا من الفقراء.. التروي قبل الشروع في بناء أسرة وإنجاب أولاد لا يقدرون على تدبير حاجتهم.. من غذاء وكساء.

الأم: يفعل ذلك من لا يؤمن

محمود محمد كحيلة- مصر

بالله.. أما المؤمنون فيعلمون أن رزقهم على الله.

الأب: لا حول ولا قوة إلا الله.

الأم: ما دام الأمر كذلك.. فليس عليك أن تبكي ولا أن تحزن.

((صوت أذان))

الأم: جاءت راحة البال من عند الله.

الأب: اللهم يا مغير الأحوال.. بدل حالنا وارزقنا برزق عيالنا يا رب العالمين.

الأم: هيا إلى المسجد، صلِّ وعد.

الأب: سأفعل (ينهض ويذهب).

الأم: يفرجها الله.

(إظلام لتغيير الزمان)

((بعد مرور بعض الوقت))

(نفس المكان حيث الأم تختم صلاتها وتبتهل إلى الله)

الأب: (داخلا) فرجت زوجتي العزيزة، فرجها الله.

الأم: كيف؟.

الأب: وجدت هذه.. حافظة نقود بها ألف دينار.. سنحصل على كل ما حرمنا منه.. سأشتري كل ما أحلم به من طعام.. دواجن.. لحوم.. فواكه.. كباب.. ثم.. ثم نشتري أنت وأنا كل ما نحتاجه من ثياب.

الأم: والأولاد؟

الأب: الأولاد سينعمون بكل خير.. قبل أن نأكل سيأكلون، وقبل أن نلبس يلبسون.. هذا المال يكفينا نحن وعيالنا لوقت طويل.

الأم: هل ترضى لعيالك أكل الحرام؟

الأب: كلا، طبعا لا أرضى ولا أريد.. لو أردت لما كان حالي كذلك.. لقد ابتليت كثيرا بمال حرام وما قبلت.

الأم: هذه النقود التي وجدتها.. تخص شخصاً آخر لابد أن حاله لا يسر الآن.. لذلك عليك أن تعلن عن هذه الأمانة حيث وجدتها..

الأب: ونحن والأولاد.

الأم: الله معنا.

الأب: الله وضع هذا المال في طريقي.

الأم: ليمتحنك يا زوجي الطيب ويبتليك.

الأب: (منتبها) نعم.. معك حق.. ما منعني إلا الشيطان أن أذكره.

الأم: عد إذًا.. وأعلن عن النقود.. وإن وجدت صاحبها سيعطيك نصيباً منها.. وإن لم يعطك.. فما عند الله خير وأبقى.

الأب: سأفعل يا زوجتي الحبيبة فالحلال ليس أفضل منه ولا أبقى. (يهم بالخروج)

طفل١: (يدخل) السلام عليك يا أبي.

الأب: (متردداً في الذهاب) وعليك السلام يا بني.

الطفلة: وأنا.

الأب: (مازحا) أنت أيضا.. عليك السلام.

طفل٢: هل عندنا أي طعام؟.

(تنظر الأم إلى الأب المتردد)

الأب: سأذهب الآن.. لأعود بعد قليل.. ربما بطعام.

الطفلة: أحضر لي حلوى.

الأب: سأفعل إن شاء الله (يهم بالخروج.. فيتوقف).

الأم: (تدفعه) اذهب يا زوجي.. الله معك.

((يخرج الأب))

طفل١: أنا جائع يا أمي.
الطفلة: وأنا كذلك.
الأم: وأنا مثلكم.. فما رأيكم أن نلعب لعبة تنسينا هذا الجوع!؟
طفل٢: ما من لعبة تنسي الجوع يا أمي.
الأم: وما من حل آخر.
الطفلة: أين كسرات خبزنا!؟.
الأم: أكلناها جميعها.

طفل١: يعني ليس أمامنا غير اللعب.
الطفلة: نلعب إذا حتى يعود أبي.. ندعو الله ألا يتأخر.
الأب: (يدخل مبتهجاً) السلام عليكم.
الأم: عدت بسرعة؟.. أم لم تذهب.
الأب: بل ذهبت.. وجئت أبشركم بما حدث.
الأم: بشِّرنا.. بشَّرك الله.
الأب: عندما عدت للبحث عن صاحب الحافظة.. رأيت رجلاً يتبعني.. فرجعت أسأله.. فإذا به يبادرني بسؤال عن وجهتي.. فأخبرته بأنني في طريقي للبحث عن صاحب أمانة وجدتها.
الأم: وبعد ذلك؟!.
الأب: ولما وصف الحافظة وما فيها من نقود.. عرفت أنه صاحبها وأعطيته إياها بكل رضا وامتنان.
الجميع: ثم ماذا؟!.
الأب: فإذا به يعطيني عشرة أضعاف ما كان فيها من نقود قائلاً إنها أموال كُلِّف بإعطائها إلى فقير أمين يحتاجها.
الجميع: الحمدلله.
الأب: وقال: إنه دبر هذه الطريقة ليصل المال لمن يستحقه.. وقد تقصى خطاي حتى عرف أنني من يبحث عنه.
الأم: من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب!!، أنت من يستحق.. فلن يجد خيراً منك بعد أن جاهدت نفسك كل هذا الجهاد.
الأب: بل أنتِ الأحق.. فلولا نصيحتك الذهبية ما كنت عدت بهذا الخير.. أيتها الزوجة الصالحة.
(يحتضنان أولادهما في سعادة وأعينهم تتعلق بالسماء، حمداً وشكرا لله)

***

تأملات مغترب

خلف محمد كمال – مصر

صباحٌ
يضخّ الشّروق
فيختبئ البرد تحت الغطاء
فتضحك منه الزهور
ويشمت فيه الندى
إنّه الآن ينقل أمتعة للرحيل
ويذكي رياحاً عبوساً
تدمر أحلام خيماتنا
ترهق أطفالنا المتعبين
وتغلق آذانها عند صَرْخاتهم
من ثلوج المشاعر
والجوع ينهش أحلامهم
إنّه حدأة المكر
يعقد صفقاته
مع البحر في ثورة لا تموت
لا يرعوي للبراءة
سيل الدّموع
وتغريبة في سماء الضباب
يراهن من أجل عرش
يحالف تلك الشياطين
في سائر الأمكنةْ
ويقيم السُّدود
في حدود البلاد
التي استبدلت عزّها
استبدلت عزّها بالخنوع
الخنوع المباغت
في سماء السّراب

رحلة بالقطار

تقطع نومه، وهو مضطجع على أحد المقاعد في عربة من القطار. فاستيقظ، ومدّ يده بحثاً عن جوّاله، وكان الظلام سائدا فقد كانت الساعة الثانية ليلا.

استعرض الواقع فوجد أن القطار واقف في محطة، والمسافرون كلهم نائمون، إلا من ليس بإمكانه الرقود في رحلة القطار، والجوّ يرتج بشخيرات ونخيرات من النائمين.

كان يسافر في إحدى ليالي رمضان على الرغم من رغبته في قضاء شهر الصيام الفضيل بدون تنقل من مكان إلى آخر لأنه كان مسؤولا عن إنجاز عمل مهم في غضون يومين، ولا يمكن ذلك إلا بهذا السفر.

وما كان لديه شيء للأكل والشرب، إذ إنه قد تعشى مبكرا، فنفد الزاد، ومع ذلك فإنه كان عازما على أن يصوم غدا، فكان من الضروري أن يتسحر بشيء من الأكل والشرب. فأحبّ أن ينتهز فرصة وقوف القطار ونزل في المحطة باحثاً عن شيء طيب من المأكولات في الدكاكين الموجودة هناك عسى أن يجد ما يتسحر به. فسأل صاحب دكان:

ألديك كعك؟

لا، بل هنا كثير من أنواع البسكويت. انظر هذا وذاك.

ليست لي حاجة إليها.

لا بأس، ابحث في دكان آخر لعلك تجد ما تريد.

فأسرع إلى دكان آخر، وأعاد السؤال نفسه:

ألديك كعك؟

نعم! يحبّه كثير من الناس. فكعك دكاني حلو ولذيذ، ونكهته فريدة.

بكم هذا؟

بثلاثين روبية.

هات كعكة.

ها هي ذي.

غياث الإسلام الصديقي الندوي – الهند

فأخذها ودفع إليه عملة مئة روبية. فقال صاحب الدكان:

هذه مئة روبية وليست لدي فكة نقود. فأعطني فكة من ثلاثين روبية.

فأخذ يبحث في جيبه عن ثلاثين روبية. فجأة وقع نظره على القطار الذي بدأ يجري، فنبذ الكعكة من يده، وسارع إلى باب عربته في القطار، وركب سلّم الباب فوجده مغلقاً من الداخل. فبُهت وتحير وتمسك بمقبض الباب بشدة. وكان يسمع أصواتاً من أناس واقفين في المحطّة:

– انزل بحيطة وحذر، واركب عربة بابها مفتوح.

– اقفز بحذر! الله يحفظك.

– أسرع واقفز قبل أن يغادر القطار المحطة، وإلا ستواجه صعوبات يمكن أن تقضي على حياتك.

كان القطار يجري بسرعة، وهو واقف على سلّم العربة، ممسكاً بيده اليمنى مقبض الباب، ولم يزل يقرع ويلكم نافذة الباب بيده اليسرى بشكل حثيث عسى أن يفتحه أحد الموجودين من الداخل في القطار الذي قد غادر المحطة، فلم يجرؤ على القفز، وبقي معلقاً بالباب.

كان الخوف يساور قلبه وهو يسائل نفسه: ماذا سيكون إذا لم يفتح الباب؟ وكيف يمكن هذا؟ فإن الجميع غارقون في سباتهم العميق. وبالطبع هذا وقت النوم. ولا يمكن أن يستيقظ أحد على ندائه، لأن الصوت يستحيل نفوذه إلى داخل القطار.

كان يسائل نفسه: كيف حدث هذا؟ وماذا سيكون مصيره؟ أما من أحد يفتح الباب؟ ماذا يكون لو ارتخت يده من المقبض؟ ماذا يكون إذا عبر القطار أي جسر أو أي غار وهو معلّق بعربته؟ إن سقط في مكان ما فماذا يصيب جسده؟

إنه يشعر بأن المنية ترقص أمام عينيه، وهو يتذكر أيامه التي قضاها في قريب وبعيد في حياته من طفولته إلى شبابه، بالإضافة إلى دراسته، وأبويه، وأساتذته، وأصدقائه، وكلُ من كان قريبا إلى قلبه كأنه يودّع هذه الدنيا.

ثم بدأ يتذكّر معاصيه وزلاته ويقول في نفسه: ماذا سيكون إن كان هذا الوضع آخر لحظة من لحظات حياته!؟.

عقب التفكر والتبصر؛ أيقن أنه لا يمكن أن ينجو إلا بعون الله، فإنه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه. فنفض جميع الأفكار من ذهنه، والتجأ إلى الله، وأناب إليه يستغفره ويستغيثه ويسترحمه بتوبة وندامة، ولم يزل على ذلك.

على حِين غِرَّة انفتح الباب، فاندفع إلى الداخل، واعتنق الحياة من جديد، وتنفس الصعداء، ثم لمّا اطمئن قلبه رأى هناك ثلاثة رجال منزعجين هرعوا، ويسألون عن حاله:

– كيف أنت؟ هل أنت بخير؟ عافاك الله.

– نعم، الحمد لله، أنا بخير. ولكن كنت أخشى من مصير مؤلم مؤسف.

– كيف يمكن هذا، وكنّا قد رأيناك معلقاً بباب العربة قبل مغادرة القطار المحطة، ونحن في عربة بعيدة فجئنا مهرولين مسرعين مجتازين عدّة عربات.

– جزاكم الله أحسن الجزاء.

فحمد الله وشكره. وشكرهم أيضاً، وعرف أن الله خالق الكون والحياة؛ هو الذي جعل في قلوبهم رحمة ومودة له، وأرسلهم إليه لفتح الباب■

شعر المديح
في ضوء منهج الأدب الإسلامي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير
في النقد ومنهج الأدب الإسلامي،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بكلية اللغة العربية،
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي (١٤٣٠/١٤٣١هـ)

إعداد الطالبة: عائشة بنت صالح بن فيحان الشمري
إشراف الأستاذ الدكتور: وليد بن إبراهيم قصّاب

للمديح في منهج الأدب الإسلامي معايير نقدية تقويمية، تقوم على أساس من مبادئ الشريعة الإسلامية، ليكون المديح مقبولا. وهذه تجسد تصور الإسلام لشعر المديح، بأن يكون أداة للدعوة الإسلامية في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، فذلك هو دوره الأساس. وهذه المعايير في الوقت نفسه تقوم على ضوابط شرعية، لا بد من استيفائها؛ ليؤدي المديح دوره في حياة المجتمع المسلم. ومن ثم فإن الميزة الرئيسة للمديح المقبول في منهج الأدب الإسلامي إشاعة القيم الخيرة، بتمثلها في فضائل الأعمال والأخلاق، في سلوك الصالحين، وذلك بإظهارها على سبيل الامتداح، ونسبتها إلى أصحابها اعترافا بفضلهم، وفي ذلك تثبيت لهم وتشجيع على الفضائل، والاستمرار عليها.

ويقتضي تحقيق هذا المنهج في المديح المقبول تجنب جملة من المحاذير، تتمثل في المخالفات الشرعية، وما ينتج عنها من الكذب وما إليه من المبالغة الممنوعة المجاوزة للحد، مما قد يفضي إلى الشرك والكفر، بارتكاب كبائر الإثم، وأساس ذلك الخروج على المعايير والضوابط الشرعية، التي يرد المديح بسببها، حيث يصبح سبيلا لتزوير الحقائق، والاعتداء على المجتمع المسلم وقيمه النظيفة.

وهذه المحاذير تتعلق بالمادح والممدوح والمجتمع، ويعنى منهج الأدب الإسلامي بتعيينها، وبيان أسبابها ودوافع مرتكبيها، ومن ثم يرسم السبيل إلى دفعها وتفادي أخطارها، ليظل المديح المقبول كما في التصور الإسلامي أداة لتجسيد القيم الإسلامية، بدعوته إلى الالتزام بالفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

وتألفت الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول. وتضمن التمهيد: مفهوم شعر المديح، ومكانة شعر المديح في الأدب العربي، ومشروعية المديح، وفيها: ما مدح به القرآن الصالحين، واستماع النبي صلى الله عليه وسلم إلى مديح الشعراء، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض الشعراء بمدح الصالحين، واستماع الخلفاء الراشدين والصحابة إلى مديح الشعراء لهم. وفيما يأتي فصول الرسالة ومباحثها:

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

شعر المديح في ضوء منهج الأدب الإسلامي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في النقد ومنهج الأدب الإسلامي

إعداد الطالبة
عائشة بنت صالح بن فيحان الشمري

إشراف
الأستاذ الدكتور /وليد بن إبراهيم قصاب

١٤٣٠ - ١٤٣١هـ

الفصل الأول: معايير المديح المقبول، وقد تضمنت: تمهيداً في موقف الإسلام من الشعر، وفيه خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول: المديح بالقيم الإسلامية، وشمل: مفهوم القيم، والدعوة إلى المديح بالقيم الإسلامية.

المبحث الثاني: عدم التكسب بالمديح، وشمل: التكسب بالشعر والنفرة منه في العصر الجاهلي، وموقف الإسلام من التكسب بالشعر؛ الذي وضح: موقف الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله في التكسب بالمديح، وموقف الصحابة والخلفاء الراشدين من التكسب بالمديح.

المبحث الثالث: عدم المبالغة في المديح.

المبحث الرابع: مدح من يستحق (الصدق)، وشمل: موقف النبي من مدح من يستحق، وموقف الصحابة وصلحاء الأمة من مدح من يستحق، وقضية الصدق في المديح.

المبحث الخامس: عدم القطع بالمدح، وشمل: نهي القرآن من القطع في المديح، ونهي السنة عن القطع في المديح، ونهي الصحابة عن القطع في المديح.

الفصل الثاني: مزايا المديح المقبول: وتضمن ثلاثة

مباحث هي: **المبحث الأول:** إشاعة القيم الخيرة، **والمبحث الثاني:** الاعتراف بفضل الصالحين، **والمبحث الثالث:** تشجيع الصالحين وتثبيتهم.

الفصل الثالث: محاذير المديح غير المقبول: وتضمن ثلاثة مباحث هي: **المبحث الأول:** ما يتعلق بالمادح.

المبحث الثاني: ما يتعلق بالممدوح، وفيه: فتنة المديح للممدوح، والمحاذير التي يكون الممدوح سببا فيها، مثل إعطاء الشعراء على المديح، وحمل الشعراء على المبالغة والكذب.

المبحث الثالث: ما يتعلق بالمجتمع: وتضمن الجانب المالي، والجانب الإداري، والجانب الاجتماعي، والجانب السياسي.

الفصل الرابع: النماذج المنقودة من شعر المديح: وتضمن مبحثين هما: **المبحث الأول:** المديح المقبول، **والمبحث الثاني:** المديح المردود.

أهم نتائج الرسالة وتوصياتها:

- يبدأ تاريخ الأدب الإسلامي منذ فجر الإسلام، وانطلاق دعوته الناس إلى دين الله تعالى، واتباع شرعه. وليس ذلك باعتبار الناحية الزمنية فحسب، بل نظرا إلى المنهج الذي بدأ الإسلام يدعو إليه في الأدب عامة، والشعر خاصة، ومنه غرض المديح (موضوع البحث)، وذلك من خلال تصور الإسلام للشعر ودوره في الدعوة الإسلامية، وبناء المجتمع الإسلامي على أسس سليمة، وكان ذلك بصورة فعلية عملية، في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد جعل الشعر سلاحا في المعركة ضد المشركين، فرفعه إلى مرتبة الجهاد، ووصفه النبي صلى الله عليه وسلم، بأنه أشد وقعا من النبل على المشركين، فقد روي أنه قال: ((والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل)) (رواه الإمام أحمد).

- كان المديح والهجاء غرضين رئيسين في الشعر، في مواجهة المشركين.

- كان لشعر المديح دور مهم في الدعوة الإسلامية، ولكنه لا يؤدي دوره ما لم تتوافر فيه الخصائص الشرعية، وتتلخص في التزامه العقدي الهادف، وانطلاقا من ذلك فإن منهج الأدب الإسلامي في المديح يعتمد معايير، أهمها: المديح بالقيم الإسلامية، وعدم التكسب بالمديح، ومدح من يستحق، وعدم القطع بالمديح، وهي معايير تنبثق من مبادئ الشريعة الإسلامية، وتجسد بوضوح التصور الإسلامي لشعر المديح.

- إن توافر معايير المديح الشرعي وتكاملها يعد الشرط الأساس لقبول المديح، وإلا كان مردودا، فإذا كان المديح بالقيم الإسلامية المعيار الأول لقبول المديح؛ فإنه يقتضي أن يكون المديح بدافع ذاتي إيماني من الشاعر، لتحقيق مقصد شرعي، وليس بدافع التكسب ونيل الحظوة عند الممدوح، وأن يكون الممدوح مستحقا للمديح، وألا يقطع الشاعر بمديحه له.

- هذه المعايير تنطوي على ضوابط شرعية، وفي مقدمتها أن يكون المديح هادفا إلى تحقيق مقصد شرعي، أن يكون مفيدا، والا فالصمت أفضل. وإذا كان الممدوح مستحقا للمديح فيشترط أن يؤمن عليه من الفتنة بالمديح، وأن يكون الشاعر صادقا، بحدود ما يعلم من حال الممدوح، وألا يكون المديح بطلب من الممدوح، نزولا عند رغبته.

– عدم التكسب بالشعر لا يعني أن إعطاء الشعراء محظور، ولكن يشترط ألا يكون بصورة من المقايضة، الشعر مقابل المال، فبهذه الحال يكون تكسبا، فيحظر لما له من مضار على المادح والممدوح، والمجتمع بصفة عامة، وإنما يعطى الشعراء من باب رعايتهم من الناحية الاجتماعية، لما لهم من دور في تطوير اللغة وفن الشعر، ويمكن توجيه ذلك إلى تشجيعهم على الفضيلة والالتزام بها في المديح. وإلا يكون العطاء من قبل الممدوح بصورة من المراءاة، والتظاهر، فيكون من الإسراف والتبذير، فذلك محظور شرعا.

– يتصف المديح المقبول بمزايا: إشاعة القيم الخيرة، والاعتراف بفضل الصالحين، وتشجعيهم وتثبيتهم على الأعمال الخيرة. وهذه المزايا في حقيقتها هدف رئيس يناط بالمديح المقبول تحقيقه في سلوك الفرد المسلم، وذلك عندما يلتزم الشاعر المادح بالمعايير والضوابط الشرعية فيما يقول.

– يرد المديح فلا يقبل، في منهج الأدب الإسلامي، إذا لم يلتزم فيه الشاعر بالمعايير أو الضوابط الشرعية للمديح المقيول، فمعايير المديح غير المقبول، التي يرد بسببها هي نقائض معايير المديح المقبول: المديح بغير القيم الإسلامية، والتكسب بالشعر، ومدح من لا يستحق، وقطع الشاعر في المديح، بتظاهره أنه متيقن من صحة ما يقول في مديحه فيجزم فيه. فهذه المعايير للمديح غير المقبول حقيقتها مخالفات محذورة شرعا.

– تتمثل (محاذير المديح غير المقبول) في الكذب، وما إليه من المبالغات الممنوعة المجاوزة للحد، التي قد تفضي إلى الشرك والكفر، بارتكاب كبائر الإثم، وهذه المحاذير منها ما يتعلق بالشاعر المادح، ومنها ما يتعلق بالممدوح، ومنها ما يتعلق بالمجتمع، وذلك من حيث الأسباب والدوافع، وما ينتج عن المديح غير المقبول من الآثار السلبية، على الفرد والمجتمع بصفة عامة، في عدة مجالات وجوانب وحياة المجتمع العامة، وحياة الفرد الخاصة.

لم يقع من محاذير المديح غير المقبول في شعر صدر الإسلام إلا القليل النادر، وخاصة في عهد النبي، فقد كان بين ظهراني المسلمين يعلمهم أمور دينهم، ويهديهم سبل الرشاد والسداد،

والتزام كلمة الصدق والتقوى، ومن بعده كان الخلفاء الراشدون خاصة والصحابة عامة يوجهون الشعراء إلى ذلك، ويأخذون على أيدي المخالفين من الشعراء. وإنما نشأت محاذير المديح غير المقبول بعد عصر صدر الإسلام، بأسباب من طمع العديد من الشعراء، واتخاذ الشعر حرفة ووسيلة للتكسب، وفي الوقت نفسه كان بعض الممدوحين طرفا في وقوع المحاذير والمخالفات الشرعية في شعر المديح، حيث أغروا الشعراء ليلبوا رغبتهم في المديح، وبعضهم قبلوا أو سكتوا عما وقع في مديح الشعراء لهم من الكذب والمبالغات الشركية.

ومن أسباب الوقوع في محاذير المديح غير المقبول؛ أن بعض الأدباء والنقاد القدماء انتهجوا في نقدهم مذهب (الفن للفن). ففصلوا بين الدين والشعر. ولا يعني ذلك أنهم أرادوا مخالفة الدين أو توجيه الشعر والشعراء ضده، وإنما أرادوا أن ما يقع في شعر شاعر، من الفسق والشرك والكفر لا ينقص من شاعريته أو يحط من طبقته بين الشعراء من الناحية الفنية. ولكن ذلك لا يدفع عنهم جنايتهم جراء ما جنوا من سوء مذهبهم، لما فيه من التشجيع لضعيفي الإيمان من الشعراء على التمادي في التعدي على الحدود الشرعية، والاستخفاف بالقيم الإسلامية.

لقد رد جمهور النقاد المسلمين القدماء مذهب الفن للفن في نقد الشعر، كما ردوا المديح غير المقبول على حد سواء، وكانوا يصدرون في نقدهم عن تصور الإسلام لشعر المديح، في أن يكون وسيلة وأداة لنشر الفضيلة، ومحاربة الرذيلة.

ومما يعبر عن رفض المجتمع المسلم لمذهب الفن للفن والمديح غير المقبول معا؛ انحطاط مكانة الشاعر، ورد شهادته لدى بعض العلماء.

لقد ظهر من خلال البحث -ولا سيما في الفصل الرابع- أن النقاد القدماء قد اعتمدوا في قبول المديح أو رده على النص الشعري ذاته، فيما يعبر عنه، فلم يجاوزوا ذلك إلى مناسبة المديح أو موقف الشاعر من الممدوح ودوافع المديح، أو ما هي المؤثرات الخارجية عليه، فثمة مدائح عدوها من المديح المقبول نظرا إلى مضامينها، وكان الدافع إليها التكسب، وبعضها كان بطلب من الممدوحين، وثمة ممدوحون يستحقون ما مدحوا به، وآخرون خلافهم، وعلى ذلك فإنه يمكن القول: إن هناك مدائح عدها النقاد القدماء من المديح المقبول وفق معيار واحد من معايير المديح المقبول، هو (المديح بالقيم الإسلامية) دون الأخذ بالمعايير الأخرى، سواء في ذلك معايير المديح المقبول، وغير المقبول.

يرى بعض العلماء أن المديح المقبول وفق المعايير الشرعية مندوب إليه، وإذا كان بطلب من ولي الأمر لمصلحة الأمة والدين فحكمه الواجب. والله أعلم.

وأخيرا، فإن منهج الأدب الإسلامي يستمد مقاييس نقد المديح وتقويمه من الشريعة الإسلامية، وفق تصور الإسلام الشعر المديح، فما كان منه وفق الشريعة الإسلامية فهو مقبول، وما كان خلاف ذلك فهو مردود، وذلك مبدأ عام في الإسلام، طلب تطبيقه والالتزام به في الأمور كلها، فكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) (رواه البخاري). والحمد لله رب العالمين■

ريحٌ على شرفةِ النسيان

أشرف قاسم – مصر

فلْتغلقي الباب خلفي كلهم رحلوا ... في موسم الحزن رَكْبُ الفرْحِ يرتحلُ

مُعَلَّقٌ كاغترابِ الحلمِ في وطنٍ ... يمضي اليتامى به من دون أنْ يصلوا

نمضي ويتبعُنا في تيهِنا أُفُقٌ ... من دمعةِ الغيمِ والأوجاعِ يغتسِلُ

نُعلِّقُ الحلمَ مصباحًا فتطفئه ... ريحٌ على شرفةِ النسيانِ تشتعلُ

نمضي، على شفةِ الأطفالِ أغنيةٌ ... وفي عيونِ الصبايا ينطفي الأملُ

نمضي، وفي دمنا نيرانُ وَحْشتِنا ... وفي استعاراتنا للموتِ مُعتَقَلُ

هذا مَدانا، لظىً والحلمُ مُرتَهَنٌ ... وفي انحناءاتِنا الأحزانُ تعتدِلُ

* * *

فلتغلقي البابَ خلفي كلهم رحلوا ... عشرون ألفَ احتمالٍ ليس يُحتَمَلُ!

نشدو بلحنٍ، على أوتارِ قافيةٍ ... عجفاءَ لونَ اصفرار العُشْبِ تبتهلُ

في ظلِّ بيتٍ قديمٍ، حائطٍ خَرِبٍ، ... بِقَدْرِ بُطْءِ لِقانا نَأْيُنا عَجِلُ

* * *

لم تمنحينا سوى دمعٍ ومسْغَبَةٍ ... وفوق مُرِّ الضنى يَسَّاقَطُ العسَلُ

تَهُزُّ ريحُ المَنايا جِذْعَ خيمتنا ... وفي مَفازاتنا يحتلُّنا الوَجَلُ

عُريٌ وبردٌ وأمطارٌ، وأسئلةٌ ... في جُبِّ ألغازها يقضون مَن سَألوا

وحدي.. أسافرُ محمولًا على قلقي ... نوافذُ البوحِ رُدَّتْ، صمتنا جَلَلُ

مِن ألفِ جُرحٍ سقطنا دون ألويةٍ ... قد استوى في الهوى الموهومُ والبطلُ

* * *

بوحُ الحكايا نزيفٌ فوق أرصفةٍ ... مَدَّتْ غواياتها فاسَّاقَطَتْ قُبَلُ

مِن غيمةٍ في سمائي ملؤها غضبٌ ... لِشُرفةٍ واعَدَتْني شمسُها أصِلُ

هذا رمادُ الرؤى في كَفِّ عُزلتِه ... جُرحًا عَصِيًّا متى يا جُرحُ تَندَمِلُ؟؟

* * *

قالتْ لي الشمسُ يومًا عندَ مَغربِها: ... تمضي بلا وِجهةٍ يا أيها الرجُلُ!

الفرص الضائعة

"... في ستين داهية! نحن لا نعرفه، ولا نعرف عنه أيّ شيء، ولا نريد معرفته، حاول لتتخلَّص منه بأيّ شكل... ولوْ سمِع أبوك أوْ أخوك؛ فسيهدم البيت على ما فيه، ومَن فيه"!.

بهذه الألفاظ الحارقة انهالوا عليه، ورجموه بعدها بوابلٍ من الشتائم قبل أن يسمعوا بقية كلامه... فلم يقل لهم سوى: "اليوم جاءنا ضيف غريب عن البلدة".

ثم تودَّد إليهم، قائلاً: أتمنَّى أن تسمعوا بقية الكلام قبل أن تتهموني بأنِّي أرغب في ضيافته أوْ حتى معرفته أو معرفة أهله، إنما الحكاية بالضبط: أنه منذ بضعة أسابيع...!

فقاطعوه قبل أن يكمل الحكاية التي كان يريد أن يحكيها، وقالوا له بشيءٍ من الوعيد: انزِل، واطرده فوراً من البيت، وإلا سيكون اليوم أسود أيامك أنت وهو.. يا ولاد الـ..!

فصاح مزمجراً: أرجوكم، أرجوكم أنْ تتفهَّموا حقيقة الموقف الذي أنا فيه...!

فقاطعوه مرة أخرى بلهجةٍ أشدّ تهديداً: انزِل حالاً، واضربه بالحجارة والنعال، وحذِّره من دخول القرية مرةً أخرى، وإلا سنُسلِّمه للبوليس!.

ارتفع السِّباب وتعالت الشتائم؛ ففتح أحد الجيران نافذته الصغيرة المُطلَّة عليهم، وقال غاضباً: كفاية.. كفاية غم!

محمد عبد الشافي القوصي – مصر

إذا كانت الحياةُ قَسَتْ عليكم، فلا تصبحوا مثلها وتقسوا على الآخَرين.

عندئذٍ؛ انفرجتْ أسارير "مازن"، وقال: شكراً أستاذنا الفاضل، حاول أن تُفهِّم هؤلاء المغفَّلين، الذين يريدون طرد ضيف غريب، لم يطلب منَّا شيئاً على الإطلاق، بلْ فهِمتُ من كلامه أنه صائم!

فتعجَّب الجارُ مما سمِع، وقال: ربما يكون هذا الرجل من أولياء الله، أوْ ربما يكون... فقاطعوه، وردُّوا عليه بسخريةٍ لاذعة: شكراً، لا نريد في بيتنا أولياء ولا شياطين!

فامتعضَ الجار، وأغلقَ نافذته بشدة، وهو يقول متأفِّفاً: يبدو أنَّ الشر مُتجذِّر في طباعكم.. ولا يُجنَى من الشوكِ العنب!.

حاول "مازن" الاعتذار لجاره، لكنه اضطرب فجأة، ولم يستطِع أن ينطق بكلمةٍ واحدة؛ إذْ تذكَّر مقولة ذلك الضيف عندما الْتقاه على شاطئ النهر: إنَّ الترف والجاه والمال حَجَبَ عن الناس أنوار الحق، وطالما انشغلَ القلبُ بحب هذه الأشياء؛ فإنه لا يمكن أن يرتقي، لكن مَن يرتفع فوق عبودية الزينة والجاه والمناصب؛ فسوف ينال العالَم في صَفائه، وذلك هو غاية المرام الذي يجعل الإنسان كاملاً بفنائه في الله!.

وتذكَّره –أيضاً– عندما همس في أُذُنه قائلاً: "عصا موسى" لا تنفتح طاقتها الإلهامية إلا للكليم فقط، فهي كالجوهرة التي تكون في يد غير مالكها حجارةً عادية، وترجع إلى كينونتها الجواهرية في يد صاحبها.

وتذكَّره يومَ أن رآه ينفض الترابَ عن شاب مصاب بالطمع والجشع، ثمَّ نصحه قائلاً: إنَّ الله أمر قوماً أن يذبحوا بقرة، وبقرة كل إنسان نفسه، والله أمرك بذبحها.

* * *

استدار "مازن" صوب السلّم، مطأطئ الرأس، حانيَ الهامة، والألم يكاد يعصِره... إذْ لم يجد أمامه حيلةً سوى الاعتذار لضيفه، على أمل أن يلتقيا في مناسبةٍ أخرى قد تكون أيسر حالاً... وطَفِقَ يُحوقِل، ويستغفِر مما جرى في ذلك اليوم العصيب.

في تلك الأثناء؛ شعر بثِقل أقدامه، وكأنه يجرُّها جراً، من فرط الملامة، وشدة الأسى، فنزل بخُطاً وئيدة درجةً درجة، وكأنه يمشي فوق الأشواك، حتى استغرق منه نزول درجات السلّم القلائل، ما يزيد على نصف ساعة!.

وقبل أن يدخل على ضَيْفِه؛ أخذ يسترقُ السمعَ خَلْف باب الحجرة الآيل للسقوط، وينظر من طرفٍ خفيّ حتى طال وقوفه دون أن يشعر بأيّ همسٍ يُوحي بأنَّ أحداً في المكان!.

فاعتراه الوجل، وصار كالعصفور المبلَّل بالماء... ثمَّ تجرأ واقتحم الغرفةَ، فلم يجد بها إنساً ولا جاناً.. لكنه وجد رسالةً صغيرة مكتوباً فيها:

"اختبرناك ثلاث مرات، ولم نجد لكَ عزماً... فضاعت منك الفُرص الذهبية كلها:

الأولى: لوْ أنك حملتني معك فوق سفينتك؛ لوجدتَ من كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ومن كل هَمّ فَرَجَاً.

الثانية: انشغلتَ بغلامك عني، ولوْ أنك بادلتَني التحية؛ لصار الغُلامُ براً رضيًّا.

أمَّا الثالثة: سُخريتكم منّي في أثناء زيارتي مسكنكم؛ أضاعت عليكم كنزاً إلى الأبد!.

(التوقيع: ا ل خ ض ر)■

ناجيتُ طيفكَ

مصطفى قاسم عباس - سورية

ناجيتُ طيفكَ في صحْوٍ وفي حُلُمِ ... يا منْ هواهُ جرى شَهداً بنبضِ دَمِي

ناجيتُ طيفكَ لا أبغي سواكَ فما ... أهيمُ للبان شَوقاً أو لذي سَلَمِ

فما نظمتُ القوافي فيكَ مُشرقةً ... إلا تفتَّح نسرينٌ بروضِ فمي

ولألأتْ فِي حروفي أنْجمٌ سَطَعتْ ... وانسابَ في السِّفْر ياقوتٌ من الكَلِمِ

فَظِلُّ نورِكَ أهدى النَّيِّرينِ سناً ... وللضُّحى ألقاً والجودَ للدِّيَمِ

***

ناجيتُ طيفكَ أبغي الوصلَ فانتثرتْ ... روحي مبعثرةً ترنو إلى الخِيَمِ

جذلى تداعبُ أوتارَ الْجَوى طَرَباً ... بغَيْر حبِّ نَبيِّ اللهِ لَم تهِمِ

فمَنْ يُلملمُ روحي بعد ما عَلِقَتْ ... بروضةِ المصطفى, بالبيت, بالحرمِ؟

دعني أبثُّ الدُّجى شوقاً يُتَيِّمُني ... وقل لِمَن لامَ شوقي للحبيب: لُمِ

وسَلْ عُيوني التي فاضَ السُّهادُ بها ... لظىً, وسلْ جَفْنِيَ المَقروحَ عن وَرَمِ

لَمّا تذكرتُ والذكرى لها شَجَنٌ ... عهداً بطيبةَ طرْفُ الشَّوق لم ينَمِ

وأمطرَ القلبُ تَحناناً فجرَّعني ... كأساً من البَيْنِ بل من وابلِ السَّقمِ

وسافر الليلُ في عيني.. فلا وَسَنٌ ... وحبلُ دمْعي بخدّي غيرُ مُنصرمِ

ناجيتُ طيفكَ فالدنيا تضوعُ شذاً ... يا مَن صفاتُك في الأشعارِ لم تُرَمِ

***

كانوا على سَفَهٍ في جاهليتهم ... ولم يريقوا الدّما في الأشهرِ الْحُرُمِ

كم قطَّعوا رَحِماً! كم دَنَّسوا شَرَفاً ... من زهرةٍ سُبِيَتْ والكونُ في صَمَمِ!

كم عابدٍ صنماً يرجو ندى يدِه ... يُغضي له وَجِلاً من خشيةِ النِّقَمِ!

تبكي الـرمـالُ إذا مـوءودةٌ دُفِـنَتْ ... ولَـم تَسِـلْ من أبيهـا عَـبْـرةُ النَّـدمِ

ظلوا إلى أن أتى غيثُ النبيّ هدىً ... يـروي قلوباً قَسَتْ من مَنهلٍ شَبِمِ

بلمسةٍ من شـريـفِ الـكفِّ حانيةٍ ... يـجلو شقاءً لطفلٍ شـاخَ فـي اليُتُمِ

***

بـه امتطتْ أُمَّـةٌ هـامَ العُـلا نُجُباً ... وقبلُ كانـوا رعـاةَ العِـيْسِ والـدُّهُـمِ

كم أنجبتْ رجلاً باهى الزمانُ به ... ذُرا الـعـلا كـأبـي بكرٍ ومعـتصمِ!

وها هي اليومَ تَمضي في غَوايتها ... سَكرى أتُروى صديداً من خمورِ دمِ؟

فطرْقُها عن هُدى خيرِ الأنام عَمي ... وقلبُـها بسـهـامِ الـمعـتـديْن رُمِـي

تَـئِـنُّ مُـطـرقـةً ثكـلـى مُـمَـزَّقـةً ... في صدرها حجَرٌ, والأُذْن في صَمَمِ

تُقَدّسُ الغربَ تتلو نُصحَهُ سُوَراً ... أينصحُ الذئبُ قُطعاناً من الغَنَمِ؟

فلتنهضِ اليـومَ من أوهـام غفلتها ... حتى تعانقَ فجراً فِي دُجى الظُّلَمِ

معاً سنروي جراحاتِ الأسى أَمَلاً ... معـاً نُضَـمّـدُ جـرحَ البؤس والألَـمِ

نبني منـاراتِ حُـبٍّ فـي ضمائرنا ... حتى نُحطِّمَ ما في النفس من صنمِ

***

بُحورُ شعـريَ حَيْرى فَـهْيَ عاجزةٌ ... عن وصفِ حِبٍّ بكلِّ الْحُسن مُتَّسِمِ

قِيْلت قوافٍ فشابت في سواهُ على ... مـرِّ الـدهورِ ومـأواها إلـى الـعـدَمِ

فأين ما قال في النُّعمانِ نابغةٌ؟ ... وأين ما قيل في سيفٍ وفـي هَرِمِ

أمـامَ سـؤْدَدِ أشعـارٍ بـه مُـدِحَـتْ؟ ... فما اكتستْ أبداً بالشَّيب والـهَـرَمِ

عليه صلَّى إلهُ العرش ما صدحتْ ... عنـادلُ الأيـكِ تُـهدي أعـذبَ النَّغمِ

العلامة الشريف
محمد واضح رشيد الحسني الندوي..
حياته وفكره وأعماله للدكتور محمد أكرم الندوي

عني أسلافنا بفن التراجم والسير، وصنفوا في ذلك مصنفات قيمة، حفظت لنا صوراً عن أعلام الأمة في مختلف المجالات، وألفوا في السير، والطبقات، والفهارس، والبرامج.

والسيرة نوعان: سيرة ذاتية، وهي التي يعنى فيها الكاتب بسرد حياته وأحواله الشخصية، وقد تكون هذه الأحوال روحية، مثلما صنع الغزالي في كتابه : (المنقذ من الضلال).

وسيرة غيرية، وهي التي يترجم فيها الكاتب لغيره من الناس، من الأعلام بخاصة. وقد تتناول هذه السيرة علماً واحداً، وقد تعنى بعدد من الأعلام.

لم يتخلف المعاصرون عن هذا الطريق، فألفوا كتباً كثيرة تعرِّف بالأعلام من القدماء والمعاصرين، ومن المؤلفين من تناول المشهورين من الأدباء والأعلام، ومنهم من رافق الكتب الغميصة فاستخرج لنا منها سير المغمورين.

وكان لعلماء الهند يد فضلى في فن التراجم والسير، ومن أشهرهم من المتأخرين السيد عبد الحي الحسني الندوي، ومن أهم كتبه: «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر»، ويحتوي على نحو خمسة آلاف ترجمة للعلماء والمشايخ والملوك والأمراء والشعراء وغيرهم من الأعلام».

كما ألف الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي في هذا الفن أكثر من كتاب، ومن ذلك كتاب: (المرتضى) ، وهو سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكتاب: (الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس)، وكتاب: (السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، مجدد القرن الثالث عشر)، كما ألف في هذا الباب كتابه الشهير: (رجال الفكر والدعوة في الإسلام).

عرض: د.حسن الأمراني – المغرب

وها هو الدكتور محمد أكرم الندوي يتبع سنن أعلام ندوة العلماء، بوضع هذا الكتاب عن المفكر والأديب الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رحمه الله.

ومن مزايا كتاب الدكتور أكرم عن الشيخ محمد واضح الندوي عنايته بأمرين: الأول هو الاهتمام بما تعنى به كتب السيرة، من تجلية جوانب حياة المترجم له تجلية شافية. والأمر الثاني هو أن هذا الكتاب ألفه أديب عن أديب، له به صلة عليمة وصداقة متينة، فكان أن جاء أسلوبه الأدبي نصاً على نص في البيان.

فقد كُتب الكتاب بأسلوب بليغ قلّ نظيره عند كثير من المعاصرين، وهو أسلوب من جذم الفصاحة، ويعكس لنا ما وصلت إليه العربية في شبه القارة الهندية من عناية وعلوّ شأن.

إنّ أسلوب المؤلف أسلوب مشرق متدفق، وفصاحته يكاد يعجز عنها بعض من ينسب نفسه إلى الأدب من العرب.

ومن أراد دليلاً على أسلوب المؤلف، فليقرأ نعيه للشيخ واضح الندوي، فإنه سيدرك من بلاغة الأديب من جهة، وتفجع المكروب من جهة أخرى، ما يفسر سر هذا التأثير الذي تحدثه كلمته في القلوب. ومما جاء في هذا النعي: (لقد نادى نعيُّ الندوة بأرفع صوت أن فارسها هوى، وأن جدارها قد تثلم، وأنه يندب العلم والأدب، والمروءة والكرم، وأندرْ بهذا المفقود!؛ الذي ليس له ندٌّ موجود، فاسودَّت علي المناظر، واستكَّت علي المسامع، وفزعت في هذا الخبر بآمالي إلى الكذب والباطل، أحقاً يا أبناء الندوة! أن لستُ رائياً فقيد الكتابة والصحافة منذ اليوم إلا توهُّماً).

ولعل القارئ يلحظ كيف يمتص هذا الكاتب الهندي من عيون التراث العربي ما يحلي به بيانه، فهو ينظر مما ينظر إليه إلى مرثية المتنبي التي يقول فيها:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر
فزعت فيه بآمالي إلى الكذب

وما أصدق قول المؤلف عن المترجم له: (سهل الفناء، طلق الوجه، باسم المحيا، قليل التشكي للمصاب، مطهر عن الخنا، بعيد عن الباطل، صموت، طويل السكوت، ما زان السكوتُ أحداً

محمد واضح رشيد الندوي

كما زان هذا الفقيدَ، وما حلَّى أحدٌ السكوتَ مثل ما حلاّه المرحوم!).

ولقد كان المؤلف يحرص على أن يحلي مطالع الأبواب أو الفصول بكلمة من كلمات المترجم له، مناسبة للغرض الذي يعالجه.

وفي الكتاب فوائد جليلة، ومنافع جمة، اعتمد في تدوينها على المصادر المعتمدة من جهة، وأفواه الرجال من جهة أخرى.

ومن الطريف أن مما يفيده القارئ من الكتاب، معرفة عدد من العلماء المغاربة الذين كان لهم شأن علمي في المشرق بصفة عامة، وفي الهند بخاصة.

أما المنهج، فلا يقتصر فيه المؤلف على سرد الأحداث، ولا عرض المضامين، بل هو صاحب بصيرة، ذو رأي سديد فيما يعرض له. ثم إنه يختار من درر الشيخ واضح ما يفتتح به كل باب.

ولا يعدم القارئ الكريم، وهو يطالع سيرة المترجم له، أن يعثر على معلومات جليلة، منها ما أشار إليه الأستاذ واضح من أن اللغة العربية وصلت إلى تلك المنطقة البعيدة قبل الإسلام، أي أرض البنغال، لوصول العرب إلى ذلك الساحل الشرقي من الهند قبل الإسلام، ثم قامت إمارات إسلامية، فنشأت اللغة، وشاعت، وأثرت في اللغة البنغالية التي تعتبر من أقدم لغات الهند.

ويمكن القول إجمالاً: إن كتاب الدكتور محمد أكرم الندوي قد أدّى عن المثقفين دَيْناً كان عليهم أن يؤدوه لرجل؛ هو الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي، خدم الأدب واللغة العربيين في شبه القارة الهندية خدماتٍ جليلةً، بغزارة تأليفه، وجمال عرضه، وصواب نظراته النقدية■

يا قدساه..!

خالد برادة – المغرب

أنت يا قدساه أغلى من درر
أنت بدر الكون والبدر بهرْ

كل شعر فيك بوح خاشع
ينبض الشعر بأنوار السَّحرْ

منك للساري منارات إذا
أدلج الليل أو النجم انحسرْ

إنني أرنو لرؤياك أيا
شعلة الحق وأجواز القمرْ

إنني أهفو لناديك أرى
كوثرا حفّ بجنبيه الشجرْ

ينظر الأقصى إلينا ساهما
ملهب الدمع إذا الدمع ضمرْ

فيك يا قدساه قلب نابض
وحَمامُ الأيك نوحا ينفطرْ

فيك يا قدساه جند باسل
وإلى نصرك كلٌّ ينتظرْ

في رؤاك الروح تسمو بالهدى
عزّ من أجزل هاتيك الصورْ

شهيد

عبد الرحيم الماسخ – مصر

ذابتِ العينُ دمعاً
وذاب اللسانُ كلاماً
وقلبي يشدّ يدَ الدمِ
حتى أجادَ السّلاما
أنتَ أكبرُ من كذبٍ وخداعٍ
وأصغرُ من لوعةٍ في عيونِ الجِياعِ
سرى الروحُ في حُلمٍ أو بصحوٍ أقاما
لِيُثْبتَ أفراحَ من أوقدوا للغرامِ ابتساما
وأحزانَ من أطفؤوا بالحروبِ السلاما
وقفتْ دورةُ الأرضِ
عادَ السحابُ إلى البحرِ
عادَ الصُّراخُ إلى الصبرِ
والشمسُ تطلبُ مَشرِقها من يدِ القبرِ
والقبرُ يصرخُ فيها: إلاما؟
وأنتَ إلى أيّ حضنٍ تعودُ؟
وأنتَ النشيدُ الذي نبَعَ الماءُ من حيثُ سلّمْ
أنت العنيدُ الذي جاءنا يَسْحبُ الفلكَ أو يتحطّمْ
أنت الوحيدُ الذي ردّ للجهلِ رايَتهُ – كلَّ حربٍ – لِيسْلمْ
يبقى الرِّهانُ على القلبِ والجبَلِ
القلبِ والبحرِ
والقلبِ والملكوت
وأنتَ غريباً تعيشُ
غريباً تموتُ
ولا تفقدُ الحبّ
لا تفقدُ المُنتمى

مطيع والغشَّاش

كانا في حارتنا في دكَّانَين لا يفصل بينهما حسًّا إلا جدار، ويفصل بينهما في معاني الإنسانيَّة وأصالة الخُلق وطهارة الذِّمَّة وأمانة اليد سنوات ضوئيَّة.

الأقرب إلى مدخل عمارتنا قد اجتمع له من أسباب القبول ما أفسده بسوء تدبيره وفساد طويَّته وخيانة يده حتى كرهه النَّاس، وتجنَّبوه لا أعرف له اسمًا ولا كنيةً، وقد عشت في تلك الحارة دهراً حتَّى اسم محلِّه دَرَسَ من أذهان أهل الحيّ ولا أحد يعرفه أو يعرِّف به إلَّا بالغشَّاش ودكَّان الغشَّاش، ولم يبقَ له باب للكسب إلا من عابري السَّبيل الذين يغترُّون بشيبته وهيبته، أمَّا أهل الحارة فلا يقربه منهم أحد.

وبعد دكَّان الغشَّاش دكَّان مطيع، ذاك الرَّجُل المبتلى الذي اجتمعت له من عوائق إدارة الدُّكَّان ما عوَّضه بأمانة اليد، ونقاء السَّريرة، والنُّصح لكلِّ مشترٍ.

كان العمُّ مطيعُ مقطوعَ الرجل من الفخذ، يتأبَّط عكَّازه في قيامه وقعوده وذهابه ومجيئه، بطيءَ الحركة، قليلَ الكلام، جافَّ الوجه، نادرَ الابتسام، وليس ذاك عن جفاء أو سوء خُلق، بل من ثقل الهموم، وتوالي المصائب التي دهمته، فاشتدَّ لها حزنه، وطال صمته، وكأنَّه سابح في فلك الأفكار للاعتبار.

ومع صمته وإعاقته وجفاف وجهه كانت أمانتُه لسانَه الناطق، ورجلَه التي تحمله في تجارته، وبسمتَه التي تجذب المشترين إلى دكَّانه، ورسولَه إلى قلوب النَّاس.

كنت طفلًا ترسلني أمي للشِّراء وتودِّعني في كلِّ مرَّة بقولها: (اشتر من عند مطيع وإذا ما لقيت عنده كل الأغراض لا تشتر من عند الغشاش، اشتر من عند "أبو الدرجات" في الحارة الثانية).

فكرهت هذا الغشَّاش كرهًا عظيمًا، وخِلت أن يده ستمتدُّ إلى جيبي إن عبرت أمام محلِّه، فكنت أنزل عن الرَّصيف وأمشي في الشَّارع، فإذا جاوزت دكَّانه رجعت إلى رصيف دكَّان مطيع.

واستمرَّ الحال على هذا يشتري النَّاس من مطيع الذي جُعِلَ له القبول في الحيّ كلِّه حتَّى خسر الغشَّاش، ولم يقوَ كسبه من عابري السَّبيل على حمله.

وبقي مطيعٌ في محلِّه يربح من تجارته، ولعلّ من أعظم ربحه حبَّ الناس له وشهادتَهم له بالأمانة، وها أنا ذا بعد ثلاثين سنة أذكره بالخير، وأدعو له، وأجده نموذجًا للتَّاجر الذَّكيّ الذي أدرك أن سبيل الرِّبح هو النُّصح، فرضي بالرِّبح الحلال المستدام وإن قلَّ، وآثره على (ضربة الشَّاطر) التي تملأ الجيب مالًا، والنَّفس إفلاسًا، وعلم أن دفاتر السُّمعة أعظم قدراً وأكبر خطراً من دفاتر الحسابات.

رامي أحمد ذو الغنى – سورية

رحم الله مطيعًا! ومن كان على نهج مطيع، ولا بارك الله بالغشَّاش وحزبه■

بوح أخضر

حسين حسن التلسيني - العراق

عيناكِ مِحْبرتانِ للشعراء ... ثمرٌ يُمزِّقُ آهةَ الفقراءِ
نجمانِ درويشانِ بالإسراء ... بالسُّنَّةِ الخضراءِ والغراءِ
وخُيوطُ دمعهما دلاءُ سَمَاءِ ... وفؤادُكِ الرَّقراقُ زمزم ماء
وعلى ضفافِ عُروقِكِ البيضاء ... خيمُ التقى نارٌ على البغضاءِ
فيها حدائقُ عِفةِ الأنداءِ ... فيها رسولُ الأنفسِ الجرداءِ

***

أمي رداءُ قصيدتي العذراءِ ... وشذا وكحلُ عَروضِها الحوْراءِ
هي مَنْ تُبَعِّدُها عن الإقواءِ ... وَحَضِيضِها الظَّمآن للأدواءِ
هي هالةٌ من مكة العَلياءِ ... وَعَصا بكفِّ الليلةِ العَمياءِ
ألِفٌ تَفيضُ إلى تُخومِ الياءِ ... لِتَظَلَّ غيثاً في سَمَا الأحياءِ
تَسقي بفاتحةِ الهُدى الكَحْلاءِ ... أمواتَكُمْ في الليلةِ الليلاءِ
ولِأمَّهاتِ الرحمةِ السَّمْحاءِ ... خفقاتُ آياتِ الهُدى الفَيْحاءِ

***

أمي عِمامةُ روضةِ الحِناءِ ... ومنارةٌ لفراتنا الغناءِ
فيها تُؤذِّنُ دجلتي الحَسْناء ... فيها صلاةُ النور لا الشَّحْناءِ
لا جِنَّ في أعماقها الوضَّاءِ ... فَقَوارِعُ القرآنِ في الأعضاءِ
كانتْ بَريدَ وَبسْمةَ الجوزاءِ ... ودواءَها في ليلةِ الأرزاءِ
كانتْ نخيلَ جَنائنِ الغَبراءِ ... ظلتْ طَريدَةَ مِعْوَلِ الصحراءِ

***

أمي فراتُ الأحرفِ الزَّهْراءِ ... ودمٌ لقلبِ الليلةِ القمراءِ
وَسَحابَةٌ حُوريَّةُ الأحشاءِ ... لمْ تَنْهمِرْ لجهنم الفحْشاءِ
نافورةٌ حَمَلتْ أسى الغرباءِ ... وحمامةٌ ضمّتْ شذا الخُطباءِ
وتقيَّةٌ كمدينةِ الحَدباءِ ... لمْ تَلتَقِطْ كُحلاً من الحِرْباءِ
دَقاتُ خافقها صدى الأجواءِ ... سربُ القطا لمدينةِ الأضواءِ
وحُروفُها جَمْعٌ من السُّفراءِ ... تحكي جراحَ القدسِ للشعراءِ

***

لكَ يا إلهَ الخَلْقِ فاضَ دُعائي ... مَنْ للدُّعاءِ سواكَ خيرُ وعاءِ
ياجامِعَ الأرواحِ والأشلاءِ ... فتحْ لأمي جنةَ الآلاءِ
فجُيوبُها الحلوى أكفُّ سَخاءِ ... وبها الصِّغار بفرحةٍ ورخاءِ
ودماؤها ضَوْئيةُ الأرجاءِ ... لمْ تَلْتَحفْ بالظلمةِ العرْجاءِ

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب القاهرة– اللجنة الإعلامية:

سفير السلام الدكتور عبدالحميد يونس في ضيافة الرابطة بالقاهرة

في أمسية احتفالية كبيرة، احتفت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ليلة الاثنين الموافق ٢٦ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٩م بسعادة الدكتور عبدالحميد يونس سفير السلام بالأمم المتحدة.

قدَّم الاحتفالية د.صابر عبدالدايم رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، فرحب بالحضور الكريم، وسرد في حديث مسهب طرفًا من سيرة الضيف المحتفى به سعادة الدكتور عبدالحميد يونس ونشاطه الاجتماعي العام، ونشاطه الثقافي، وتلاه بالحديث كل من الشاعرة نوال مهني نائب رئيس مكتب القاهرة، ود.غانم السعيد عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر، ود.علي مطاوع، ود.محمود خليل مدير إذاعة القرآن الكريم، ود.صلاح عدس.

وقد تحدث الضيف المحتفى به الدكتور عبدالحميد يونس عن تجربته ونشاطه المجتمعي والثقافي، ورعايته للأدب من خلال صالونه الثقافي، ثم تم تكريمه بتسليمه درعًا وشهادة تقدير من الرابطة.

وختمت الأمسية بإلقاء قصائد شارك فيها الشعراء: محبوبة هارون بقصيدتها مَنِ الأبتر!؟، ومحمد فايد عثمان بقصيدته حماة الضاد، ود.محمود خليل بقصيدته مدينة الأربطة، ومحمد الشرقاوي بقصيدته قلب العروبة، وعبدالحميد ضحا بقصيدته قلب خافق، ومحمود عبده بقصيدته تحية للشاعر هاشم الرفاعي، ومحمد حسن داود بقصيدته الحمد لله.

أمسية شعرية في المديح النبوي صلى الله عليه وسلم

في ليلة شعرية إيمانية، أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ندوة للاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك ليلةَ الاثنين ٣٠ صفر ١٤٤١هـ، الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠١٩م. وقدَّم الندوة سعادة الدكتور صابر عبدالدايم رئيس مكتب الرابطة بمصر، حيث بدأ باستعراض خطة نشاط الرابطة والندوات التي تم وضعها من مجلس الإدارة للفترة القادمة، وأهمية استمرار النشاط وتفعيله وتطويره، والإسهام في المشهد الثقافي والأدبي، وإقامة ندوات في المحافظات والجامعات المختلفة في الفترة القادمة إن شاء الله.

وقدم د.صابر عبد الدايم للأمسية بالحديث عن مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن الأشعار التي قيلت عنه صلى الله عليه وسلم، واهتمام الشعراء بكتابة قصائد عن النبي صلى الله عليه وسلم منذ العهد النبوي حتى عهدنا الحاضر، ثم قدم الشعراء قصائدهم في مدح النبي صلى

العطاء الحضاري للأدب الإسلامي
الشاعر الدكتور محمود خليل نموذجًا

في أمسية أدبية بالقاهرة، أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ليلة الاثنين الموافق ٢٨ ربيع الأول ١٤٤١هـ، ٢٥ نوفمبر ٢٠١٩م ندوة بعنوان "العطاء الحضاري للأدب الإسلامي.. الشاعر الدكتور محمود خليل نموذجًا"، احتفاء وتكريماً بأحد مبدعيها الكبار.

أدار الندوة سعادة الأستاذ الدكتور صابر عبدالدايم رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، فرحب بالحضور الكريم، وبالضيف المحتفى به الشاعر الدكتور محمود خليل مدير إذاعة القرآن الكريم، وسرد طرفًا من سيرته الذاتية، وتجربته الشعرية، وتأثيره في الواقع الأدبي والثقافي بإبداعه وثقافته الموسوعية، ودوره المشهود في الإذاعة المصرية، وخاصة إذاعة القرآن الكريم، من خلال برامجه الشهيرة مع كبار علماء الأمة الإسلامية ومبدعيها ومفكّريها، ثم تحدثت الشاعرة نوال مهني نائب رئيس الرابطة بمكتب مصر عن الشاعر الدكتور محمود خليل عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية وشعره وأدبه وإبداعه، ثم تحدَّث الضيف المحتفى به عن أهمية الكلمة والإبداع، وتحدث عن بدايات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واصفًا إياها بأنها وُلدت عملاقة، وأنها شرف كبير لمن ينتمي إليها، ثم ألقى قصيدته "ابتهال"، ثم بدأت المداخلات الثَّرية من الحضور الكريم، والأسئلة للضيف الكريم التي أجاب عنها إجابات وافية بصدر رحب.

الله عليه وسلم، وهم: عبدالحميد ضحا قصيدته رسول الهدى، ومحمد حافظ قصيدته أغيب سُكْرًا، ود.صابر عبدالدايم قصيدته الجبل، ومحمد فايد عثمان قصيدته اعتذارية بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، والسيد جلال قصيدته حبيبي يا رسول الله، ومحمد الشرقاوي قصيدته أشواق، ثم تحدث القاص والعميد متقاعد الأستاذ محمود مبارك عن تأسي الجنود في حرب (رمضان/أكتوبر) التي خاضها مقاتلاً بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وكتابته عن ذلك، ثم عقب الدكتور صابر عبدالدايم

على القصائد التي ألقيت، واختتم الندوة بإلقاء مفتتح قصيدته أين الطريق إليك؟.

مكتب عمان – اللجنة الإعلامية:

التشكيل البصري في الفن الإسلامي

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان)، الناقد الفني الدكتور مازن عصفور أستاذ النقد الفني في الجامعة الأردنية بعمان، الذي قدم محاضرة بعنوان: (التشكيل البصري في الفن الإسلامي)، بحضور الدكتور جميل بني عطا رئيس المكتب.

وفي المحاضرة التي أدارها الناقد عبدالرحيم جداية عضو الرابطة، تحدث الدكتور عصفور عن أهم مفردات الفن الإسلامي، مقارنا تلك التقنيات والأفكار والرؤى الفنية مع الفن الغربي.

فقد وجد الباحث أن الفن الإسلامي لم يصور الخلفاء والملوك، وابتعد عن التصوير، إلا في المنمنمات في الكتب الإسلامية..، كما أشار إلى قيمة الوحدة والتماسك في الفن الإسلامي، من خلال الأطباق النجمية والزخارف الهندسية.

ولفت الدكتور مازن عصفور النظر إلى أن هذه القيم

الفنية والتقنيات الإبداعية في الفن الإسلامي، قد تشكلت رؤى من الفهم العميق للقرآن الكريم، حيث انطلق الفن الإسلامي إلى التشكيل البصري الذي يمثل القيم الإسلامية.

وأعقب المحاضرة حوار بين المحاضر والجمهور الذي استمتع بالمحاضرة، وقد أجاب المحاضر عن أسئلة الحاضرين وملاحظاتهم. كما أعلن المكتب عن المحاضرة القادمة، بعنوان: "وفي الأرض آيات للموقنين" لعضو الرابطة، رئيس الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة، المهندس حاتم البشتاوي.

رحيل تيسير الفتياني

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الدكتور تيسير محجوب الفتياني، عضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، الذي وافاه الأجل يوم السبت (١٤٤١/٣/١٢هـ، الموافق ٢٠١٩/١١/٩م)، في العاصمة الأردنية عمان.

والأستاذ الدكتور تيسير الفتياني من مواليد غزة عام ١٩٥١م، وهو عضو في مجلس النواب الأردني (٢٠٠٣-٢٠٠٧م)، يحمل شهادة البكالوريوس في الشريعة، وشهادة الدبلوم في التربية، ودرجة الماجستير في الدعوة والإعلام، وشهادة الدبلوم العالي في العقيدة والمذاهب المعاصرة, ودرجة الدكتوراه في الفلسفة، ودرجة الدكتواره في الدعوة.

وعمل الدكتور الفتياني مدرساً في المعهد الشرعي لوزارة الأوقاف الأردنية خلال المدة (١٩٧٤-١٩٧٦م)، ومدرسًا ومشرفًا تربويًا في مدارس الرياض الأهلية في السعودية من العام (١٩٧٦-٢٠٠٠م)، وأستاذاً جامعياً في جامعة العلوم التطبيقية الخاصة من العام (٢٠٠١-٢٠١٣م).

له العديد من الاهتمامات البحثية، والأنشطة الدعوية؛ في العقيدة الاسلامية والعقائد غير الاسلامية، وأصول وأساليب الدعوة والدعاة،

صورة القدس في شعر الدكتور سليم ارزيقات

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان) الدكتور علاء الدين زكي القريوتي، أستاذ الأدب العربي القديم والحضارة الإسلامية، في قسم اللغة العربية وآدابها، في جامعة الزيتونة الأردنية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي، حيث قدم محاضرة نقدية بعنوان «صورة القدس في شعر د.سليم ارزيقات»، وقد قدمه عضو الهيئة الإدارية د.حسام العفوري.

في البداية ألقى د.سليم ارزيقات قصيدته «يا قدس»، التي اختارها الناقد لأنها تمثل تجليات عديدة من التصوير الفني لمدينة القدس، لاسيما الشكل الكلي الدرامي. ثم شرع الناقد في تبيان مفهومه النقدي لمصطلح «الصورة الفنية»، ثم عرّف بديوان الشاعر موضوع الدراسة «لفلسطين أغني»، بأجزائه الخمسة: الوطنيات، والانتفاضة والفداء، والإسلاميات، والأناشيد، والمراثي، وسبب اختيار هذا الديوان هو تجلي صور القدس فيها، في شتى تقنيات البناء الفني، ثم عرض الناقد نتائج استخدام أداة الإحصاء بوصفها إحدى أدوات استقراء صور القدس الفنية في الديوان.

وفي نهاية المحاضرة أجاب الناقد عن المداخلات القيمة لكل من د.عبد الله الخطيب، ود.حسام العفوري، وأ.عبد الرحمن المبيضين، وتجدر الإشارة إلى مشاركة الندوة ثلة من طلبة قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الزيتونة الأردنية.

والحوار، ومقارنة الأديان، وقصص الأنبياء، والتزكية والأخلاق والثقافة الاسلامية، والفرق والمذاهب المعاصرة. وحاضر د.تيسير الفتياني في المراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية والمساجد بإيطاليا، وفرنسا.

كان د.تيسير الفتياني عضواً في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجمعية الأخوة الأردنية الفلسطينية، والمكتب التنفيذي

لهيئة علماء فلسطين، وعضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤٣٠/٦/٢٥هـ، الموافق ٢٠٠٩/٦/١٨م)، وعضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، وعضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وعضو في الجمعية الأردنية للإعجاز في القرآن والسنة.

نسأل الله سبحانه وتعالى الرحمة الرضوان للفقيد، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

الاحتفال بذكرى الرسول

احتفل مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في عمان بذكرى المولد النبوي الشريف مساء السبت الواقع في ١٢ ربيع الأول ١٤٤١هـ، الموافق ٩/ ١١/ ٢٠١٩م، حيث أقام أمسية شعرية بالمناسبة كان فرسانها الشعراء الأساتذة علي فهيم الكيلاني، وعبد الرحمن مبيضين، وعبد الرحيم جداية، ومحمد الخليلي، ومحمود إبراهيم، وصالح البوريني، والدكتور حسام العفوري.

وقد جادت قرائحهم بوصف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، والحديث عن أخلاقه الكريمة، وعما أحدثه ميلاده الشريف من نقلة هائلة وتحول عظيم في حياة الناس من الجاهلية والشقاء والظلم إلى الهدى والسعادة والعدل والمساواة.

وقد أدار الأمسية عضو الهيئة الادارية الدكتور عدنان حسونة. وحضرها جمع غفير ضاقت بهم جنبات القاعة من أعضاء الرابطة وأصدقائها.

القدس قضية أمة

ألقى الدكتور حسن المبيضين محاضرة في المكتب الإقليمي لرابطة الادب الاسلامي العالمية في عمان بالأردن، بعنوان (القدس قضية أمة) ٢٠١٩/١١/٢م، وقد تحدث فيها عن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية عامة.

والشعب العربي والفلسطيني خاصة، مشيرا إلى المخططات التي تتعرض لها الأمة الإسلامية والعربية لتفكيك أواصرها وإضعاف قدرتها على المقاومة، وإنهاء وجودها كقوة عالمية.

وقدم المحاضرَ عضوُ الهيئة الإدارية الشاعر عبدالرحمن المبيضين، وأجاب الدكتور حسن المبيضين على أسئلة الحضور واستفساراتهم، واستمع إلى ردودهم وتعليقاتهم. وفي ختام المحاضرة شكر رئيس مكتب الرابطة بالأردن د.جميل بني عطا المحاضر المبيضين والحضور على تفاعلهم.

الجناس في القرآن الكريم
محاضرة للأديبة هيفاء علوان

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان) الأستاذة هيفاء علوان، الأديبة والشاعرة التي قدمت أبحاثاً في النقد، وتهتم بأدب الطفل، ولها أكثر من سلسلة قصصية، وأربعة دواوين شعر للأطفال، ولها أكثر من ديوان شعر للكبار.

وقد عرضت الأستاذة هيفاء علوان محاضرة بعنوان: "الجناس في القرآن الكريم"، وقدم المحاضرة عضو الهيئة الإدارية الأستاذ سعيد الهودلي بحضور عضو الهيئة الإدارية د.حسام العفوري.

وعرفت الأديبة الجناس، وبينت أنواعه من لفظي ومعنوي. ونبهت إلى أن الجناس محسن بديعي عربي الأصل، وتناولت في حديثها جماليات

الجناس التام القرآني وبلاغته، والسمات الجمالية والنفسية للجناس.

وكان للحضور تفاعلٌ مميز، ومما ذكره المخرج كاشف سمير أن الجناس كلام سماوي إلهي، وأطرى على سلاسة الطرح وأهمية الموضوع، وقدم الأستاذ سهير أمثلة عن السجع، وكان للأستاذ حسام العفوري تعليق مثرٍ تحدث فيه عن أهمية كتاب الأديب المرحوم محمد حسناوي الفاصلة في القرآن.

مصادر التنظير للأدب الإسلامي

أقيم في المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي بعمان، محاضرة بعنوان "مصادر التنظير للأدب الإسلامي"، ألقاه الأستاذ الأديب الناقد عباس مناصرة. وذلك يوم السبت (١٤٤١/٢/٢٠هـ، الموافق ٢٠١٩/١٠/١٩م)، بحضور عدد من أعضاء الرابطة، ولفيف من الأدباء والنقاد المتابعين.

وعرف الأستاذ صالح البوريني بالمحاضر عباس مناصرة في نبذة موجزة من سيرته الذاتية، وقد تحدث المحاضر في عدة نقاط كان أبرزها الخطاب الأدبي في القرآن الكريم، والجمال الأدبي في الكتاب والسنة، وامتنان الله تعالى على الإنسان

بنعمة اللغة والبيان. وختم الأستاذ صالح البوريني اللقاء، وفتح المجال لنقاش الحضور الذي طال، وأسهب الأستاذ عباس مناصرة في الرد حول كل ما تم طرحه في المحاضرة.

إصدارات جديدة

• المهارات الوظيفية للغة العربية، تأليف د.وليد إبراهيم قصاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، كرسي الشيخ يوسف بن عوض الأحمدي لدراسات إدارة واستثمار أوقاف الحرمين الشريفين، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، (٣٥٦) صفحة، و(١٧×٢٤).

• البلاغة العربية: علم البيان، والمعاني، والبديع، بأجزائه الثلاثة، د.وليد قصاب، ط١، من مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، مقاس (١٧/٢٤).

• **صدرت عن مؤسسة (أنس البناء للاستشارات التعليمية والتربوية)**، بالتعاون مع مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية؛ في الدمام بالسعودية، ثلاث روايات؛ ضمن سلسلة روايات للفتيات:

- رواية **(نور والآخرون)** تأليف الأديبة صورية مروشي، عضو الرابطة، من الجزائر. وجاءت في (١٢٠) صفحة، من القطع المتوسط (١٤×٢٠)، الطبعة الأولى، (١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م). وقالت صورية مروشي في الإهداء: "لكل فتى وفتاة مقبل على الحياة بصخبها وأمواجها العاتية وما تأتي به من مفاجآت، إلى الآباء والأمهات، كي يرتفع البناء شامخا في السماء العالي، نبته في الأرض وثمره في الجنات.
- رواية **(همسات ليلى)**، للأديبة هجرة الصاوي.
- رواية **(الفريدة)** للأديبة بثينة عرابي.

• **ميثاق الشرف الدعوي؛ نحو بناء عمل دعوي معتدل**، الطبعة الثانية، تأليف الدكتور هشام الطالب، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة،

(١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، من القطع المتوسط (٢١×١٤)، (١١٥) صفحة، (د: ن.م).

• **دروس من حياتي**، صفحات من السيرة الذاتية للدكتور أحمد توتونجي، وتجاربه في الحياة، نشر المؤلف، من القطع المتوسط (٢١×١٤)، عدد الصفحات (١١٥) صفحة، الطبعة الثانية، (د.م)، والكتاب يلقي الضوء على العمل الدعوي التطوعي بخاصة.

• **صفحات من حياتي**، تأليف إبراهيم بن محمد بن مشاري آل تويم الهاجري، كتاب في السيرة الذاتية، من نشر المؤلف، الطبعة الأولى، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، من القطع العادي (٢٤×١٧)، عدد الصفحات (١٤٨) صفحة، الرياض، السعودية.

• صدر للأستاذ خليل محمود الصمادي:

- رواية صلاح الدين وأسراب الحمام، دار المكتبي في دمشق والشارقة والقاهرة، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، من القطع المتوسط (٢١×١٧).
- معجم شعراء فلسطين في العصر الحديث والمعاصر، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، (٣٢٠) صفحة، و(٢٤×١٧)، وضم تراجم أكثر من (١٢٠٠) شاعر.

• بلاغة العرض المسرحي، مسرح المنطقة الشرقية نموذجا، د.حياة خطابي، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب، وبدعم من وزارة الثقافة، (١٨٦) صفحة، و(٢١×١٤).

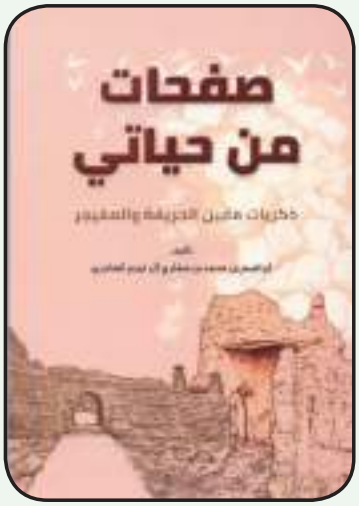

ماليزيا – كوالا لمبور – د.منجد بهجت:

في ظلال اليرموك على المسرح

أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بماليزيا في (٢٠١٩/١٢/١٣م)، عرضا لمسرحية إسلامية في حرم الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، حيث تم تمثيل مسرحية في ظلال اليرموك من تأليف الأديب الأستاذ الدكتور رفعت محمد زنجير. اشترك في تجسيد شخصيات المسرحية وإدارة المسرح أكثر من (٥٠) طالبا وطالبة من طلبة برنامج تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، كلية التربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بالتعاون مع أكاديمية اللغة العربية (EAG) الماليزية.

والنص الأصلي للمسرحية، سبق لمؤلفه أن حصل على جائزة أدبية، حين كان طالبا بجامعة أم القرى. ولطول المسرحية استغرق عرضها ساعتين، كما أن عرضا مصاحبا إلكترونيا باللغتين العربية والملايوية كان أثناء تمثيلها. ويحقق النشاط المسرحي أهدافا مهمة في الجامعة، فضلا عن المتعة الفنية المتحققة للمشاهدين، منها تدريب عدد كبير من الطلبة الممثلين، على مهارة الكلام، والنطق السليم للغة العربية الفصيحة، والتعامل المباشر مع اللغة الأدبية للغة العربية، وتعلمها.

وحضر المسرحية جمع غفير من المشاهدين قدر (٥٠٠) مشاهد من داخل الجامعة وخارجها. ومن ضيوف الشرف الذين حضروا المسرحية نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية بماليزيا أ.د.منجد مصطفى بهجت، الذي ألقى كلمة رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الماليزية د.عبد الرحمن شيك في ختام المسرحية، مهنئا د.وان رسلي، أستاذ مادة الأدب الإسلامي المعاصر، الذي يتبنى مشروع تعليم اللغة العربية من خلال المسرحية الهادفة في السنوات الخمس الماضية، كما هنّأ الطلاب المبدعين في المسرحية، وتحقيقهم لرسالة الأدب الإسلامي المعاصر.

وتقديم المسرحيات الإسلامية من البرامج الطلابية التي تحظى بشعبية كبيرة بين طلبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ونشير إلى أن النشاط السابق لطلاب قسم اللغة العربية بكلية التربية كان في (٢٠١٩/٤/٢٦م)، إذ قدموا مسرحية أميرة الأندلس لأحمد شوقي، بالتعاون مع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في ماليزيا.

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب القاهرة– اللجنة الإعلامية:

سفير السلام الدكتور عبدالحميد يونس في ضيافة الرابطة بالقاهرة

في أمسية احتفالية كبيرة، احتفت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ليلة الاثنين الموافق ٢٦ ربيع الآخر ١٤٤١ هـ، ٢٣ ديسمبر ٢٠١٩م بسعادة الدكتور عبدالحميد يونس سفير السلام بالأمم المتحدة.

قدَّم الاحتفالية د.صابر عبدالدايم رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، فرحب بالحضور الكريم، وسرد في حديث مسهب طرفًا من سيرة الضيف المحتفى به سعادة الدكتور عبدالحميد يونس ونشاطه الاجتماعي العام، ونشاطه الثقافي، وتلاه بالحديث كل من الشاعرة نوال مهني نائب رئيس مكتب القاهرة، ود.غانم السعيد عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر، ود.علي مطاوع، ود.محمود خليل مدير إذاعة القرآن الكريم، ود.صلاح عدس.

وقد تحدث الضيف المحتفى به الدكتور عبدالحميد يونس عن تجربته ونشاطه المجتمعي والثقافي، ورعايته للأدب من خلال صالونه الثقافي، ثم تم تكريمه بتسليمه درعًا وشهادة تقدير من الرابطة.

وختمت الأمسية بإلقاء قصائد شارك فيها الشعراء: محبوبة هارون بقصيدتها مَنِ الأبتر!؟، ومحمد فايد عثمان بقصيدته حماة الضاد، ود.محمود خليل بقصيدته مدينة الأربطة، ومحمد الشرقاوي بقصيدته قلب العروبة، وعبدالحميد ضحا بقصيدته قلب خافق، ومحمود عبده بقصيدته تحية للشاعر هاشم الرفاعي، ومحمد حسن داود بقصيدته الحمد لله.

أمسية شعرية في المديح النبوي صلى الله عليه وسلم

في ليلة شعرية إيمانية، أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ندوة للاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك ليلةَ الاثنين ٣٠ صفر ١٤٤١هـ، الموافق ٢٨ أكتوبر ٢٠١٩م. وقدَّم الندوة سعادة الدكتور صابر عبدالدايم رئيس مكتب الرابطة بمصر، حيث بدأ باستعراض خطة نشاط الرابطة والندوات التي تم وضعها من مجلس الإدارة للفترة القادمة، وأهمية استمرار النشاط وتفعيله وتطويره، والإسهام في المشهد الثقافي والأدبي، وإقامة ندوات في المحافظات والجامعات المختلفة في الفترة القادمة إن شاء الله.

وقدم د.صابر عبد الدايم للأمسية بالحديث عن مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن الأشعار التي قيلت عنه صلى الله عليه وسلم، واهتمام الشعراء بكتابة قصائد عن النبي صلى الله عليه وسلم منذ العهد النبوي حتى عهدنا الحاضر، ثم قدم الشعراء قصائدهم في مدح النبي صلى

العطاء الحضاري للأدب الإسلامي
الشاعر الدكتور محمود خليل نموذجًا

في أمسية أدبية بالقاهرة، أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة ليلة الاثنين الموافق ٢٨ ربيع الأول ١٤٤١هـ، ٢٥ نوفمبر ٢٠١٩م ندوة بعنوان "العطاء الحضاري للأدب الإسلامي.. الشاعر الدكتور محمود خليل نموذجًا"، احتفاء وتكريماً بأحد مبدعيها الكبار.

أدار الندوة سعادة الأستاذ الدكتور صابر عبدالدايم رئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالقاهرة، فرحب بالحضور الكريم، وبالضيف المحتفى به الشاعر الدكتور محمود خليل مدير إذاعة القرآن الكريم، وسرد طرفًا من سيرته الذاتية، وتجربته الشعرية، وتأثيره في الواقع الأدبي والثقافي بإبداعه وثقافته الموسوعية، ودوره المشهود في الإذاعة المصرية، وخاصة إذاعة القرآن الكريم، من خلال برامجه الشهيرة مع كبار علماء الأمة الإسلامية ومبدعيها ومفكّريها، ثم تحدثت الشاعرة نوال مهني نائب رئيس الرابطة بمكتب مصر عن الشاعر الدكتور محمود خليل عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية وشعره وأدبه وإبداعه، ثم تحدَّث الضيف المحتفى به عن أهمية الكلمة والإبداع، وتحدث عن بدايات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، واصفًا إياها بأنها وُلدت عملاقة، وأنها شرف كبير لمن ينتمي إليها، ثم ألقى قصيدته "ابتهال"، ثم بدأت المداخلات الثَّرية من الحضور الكريم، والأسئلة للضيف الكريم التي أجاب عنها إجابات وافية بصدر رحب.

الله عليه وسلم، وهم: عبدالحميد ضحا قصيدته رسول الهدى، ومحمد حافظ قصيدته أغيب سُكْرًا، ود.صابر عبدالدايم قصيدته الجبل، ومحمد فايد عثمان قصيدته اعتذارية بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم، والسيد جلال قصيدته حبيبي يا رسول الله، ومحمد الشرقاوي قصيدته أشواق، ثم تحدث القاص والعميد متقاعد الأستاذ محمود مبارك عن تأسي الجنود في حرب (رمضان/أكتوبر) التي خاضها مقاتلاً بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وكتابته عن ذلك، ثم عقب الدكتور صابر عبدالدايم

على القصائد التي ألقيت، واختتم الندوة بإلقاء مفتتح قصيدته أين الطريق إليك؟.

مكتب عمان – اللجنة الإعلامية:

التشكيل البصري في الفن الإسلامي

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان)، الناقد الفني الدكتور مازن عصفور أستاذ النقد الفني في الجامعة الأردنية بعمان، الذي قدم محاضرة بعنوان: (التشكيل البصري في الفن الإسلامي)، بحضور الدكتور جميل بني عطا رئيس المكتب.

وفي المحاضرة التي أدارها الناقد عبدالرحيم جداية عضو الرابطة، تحدث الدكتور عصفور عن أهم مفردات الفن الإسلامي، مقارنا تلك التقنيات والأفكار والرؤى الفنية مع الفن الغربي.

فقد وجد الباحث أن الفن الإسلامي لم يصور الخلفاء والملوك، وابتعد عن التصوير، إلا في المنمنمات في الكتب الإسلامية..، كما أشار إلى قيمة الوحدة والتماسك في الفن الإسلامي، من خلال الأطباق النجمية والزخارف الهندسية.

ولفت الدكتور مازن عصفور النظر إلى أن هذه القيم

الفنية والتقنيات الإبداعية في الفن الإسلامي، قد تشكلت رؤى من الفهم العميق للقرآن الكريم، حيث انطلق الفن الإسلامي إلى التشكيل البصري الذي يمثل القيم الإسلامية.

وأعقب المحاضرة حوار بين المحاضر والجمهور الذي استمتع بالمحاضرة، وقد أجاب المحاضر عن أسئلة الحاضرين وملاحظاتهم. كما أعلن المكتب عن المحاضرة القادمة، بعنوان: "وفي الأرض آيات للموقنين" لعضو الرابطة، رئيس الجمعية الأردنية لإعجاز القرآن والسنة، المهندس حاتم البشتاوي.

مصادر التنظير للأدب الإسلامي

أقيم في المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي بعمان، محاضرة بعنوان "مصادر التنظير للأدب الإسلامي"، ألقاه الأستاذ الأديب الناقد عباس مناصرة. وذلك يوم السبت (١٤٤١/٢/٢٠هـ، الموافق ٢٠١٩/١٠/١٩م)، بحضور عدد من أعضاء الرابطة، ولفيف من الأدباء والنقاد المتابعين.

وعرف الأستاذ صالح البوريني بالمحاضر عباس مناصرة في نبذة موجزة من سيرته الذاتية، وقد تحدث المحاضر في عدة نقاط كان أبرزها الخطاب الأدبي في القرآن الكريم، والجمال الأدبي في الكتاب والسنة، وامتنان الله تعالى على الإنسان

بنعمة اللغة والبيان. وختم الأستاذ صالح البوريني اللقاء، وفتح المجال لنقاش الحضور الذي طال، وأسهب الأستاذ عباس مناصرة في الرد حول كل ما تم طرحه في المحاضرة.

صورة القدس في شعر الدكتور سليم ارزيقات

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان) الدكتور علاء الدين زكي القريوتي، أستاذ الأدب العربي القديم والحضارة الإسلامية، في قسم اللغة العربية وآدابها، في جامعة الزيتونة الأردنية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي، حيث قدم محاضرة نقدية بعنوان «صورة القدس في شعر د.سليم ارزيقات»، وقد قدمه عضو الهيئة الإدارية د.حسام العفوري.

في البداية ألقى د.سليم ارزيقات قصيدته «يا قدس»، التي اختارها الناقد لأنها تمثل تجليات عديدة من التصوير الفني لمدينة القدس، لاسيما الشكل الكلي الدرامي. ثم شرع الناقد في تبيان مفهومه النقدي لمصطلح «الصورة الفنية»، ثم عرّف بديوان الشاعر موضوع الدراسة «لفلسطين أغني»، بأجزائه الخمسة: الوطنيات، والانتفاضة والفداء، والإسلاميات، والأناشيد، والمراثي، وسبب اختيار هذا الديوان هو تجلي صور القدس فيها، في شتى تقنيات البناء الفني، ثم عرض الناقد نتائج استخدام أداة الإحصاء بوصفها إحدى أدوات استقراء صور القدس الفنية في الديوان.

وفي نهاية المحاضرة أجاب الناقد عن المداخلات القيمة لكل من د.عبد الله الخطيب، ود.حسام العفوري، وأ.عبد الرحمن المبيضين، وتجدر الإشارة إلى مشاركة الندوة ثلة من طلبة قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الزيتونة الأردنية.

الجناس في القرآن الكريم
محاضرة للأديبة هيفاء علوان

استضافت رابطة الأدب الإسلامي العالمية (المكتب الإقليمي في عمان) الأستاذة هيفاء علوان، الأديبة والشاعرة التي قدمت أبحاثاً في النقد، وتهتم بأدب الطفل، ولها أكثر من سلسلة قصصية، وأربعة دواوين شعر للأطفال، ولها أكثر من ديوان شعر للكبار.

وقد عرضت الأستاذة هيفاء علوان محاضرة بعنوان: "الجناس في القرآن الكريم"، وقدم المحاضرة عضو الهيئة الإدارية الأستاذ سعيد الهودلي بحضور عضو الهيئة الإدارية د.حسام العفوري.

وعرفت الأديبة الجناس، وبينت أنواعه من لفظي ومعنوي. ونبهت إلى أن الجناس محسن بديعي عربي الأصل، وتناولت في حديثها جماليات الجناس التام القرآني وبلاغته، والسمات الجمالية والنفسية للجناس.

وكان للحضور تفاعلٌ مميز، ومما ذكره المخرج كاشف سمير أن الجناس كلام سماوي إلهي، وأطرى على سلاسة الطرح وأهمية الموضوع، وقدم الأستاذ سهير أمثلة عن السجع، وكان للأستاذ حسام العفوري تعليق مثرٍ تحدث فيه عن أهمية كتاب الأديب المرحوم محمد حسناوي الفاصلة في القرآن.

مكتب عمان – اللجنة الإعلامية:

الاحتفال بذكرى الرسول

احتفل مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي في عمان بذكرى المولد النبوي الشريف مساء السبت الواقع في ١٢ ربيع الأول ١٤٤١هـ، الموافق ٩/ ١١/ ٢٠١٩م، حيث أقام أمسية شعرية بالمناسبة كان فرسانها الشعراء الأساتذة علي فهيم الكيلاني، وعبد الرحمن مبيضين، وعبد الرحيم جداية، ومحمد الخليلي، ومحمود إبراهيم، وصالح البوريني، والدكتور حسام العفوري.

وقد جادت قرائحهم بوصف الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، والحديث عن أخلاقه الكريمة، وعما أحدثه ميلاده الشريف من نقلة هائلة وتحول عظيم في حياة الناس من الجاهلية والشقاء والظلم إلى الهدى والسعادة والعدل والمساواة.

وقد أدار الأمسية عضو الهيئة الادارية الدكتور عدنان حسونة. وحضرها جمع غفير ضاقت بهم جنبات القاعة من أعضاء الرابطة وأصدقائها.

القدس قضية أمة

ألقى الدكتور حسن المبيضين محاضرة في المكتب الإقليمي لرابطة الادب الاسلامي العالمية في عمان بالأردن، بعنوان (القدس قضية أمة) ٢/١١/٢٠١٩م، وقد تحدث فيها عن التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية عامة.

والشعب العربي والفلسطيني خاصة، مشيرا إلى المخططات التي تتعرض لها الأمة الإسلامية والعربية لتفكيك أواصرها وإضعاف قدرتها على المقاومة، وإنهاء وجودها كقوة عالمية.

وقدم المحاضرَ عضوُ الهيئة الإدارية الشاعر عبدالرحمن المبيضين، وأجاب الدكتور حسن المبيضين على أسئلة الحضور واستفساراتهم، واستمع إلى ردودهم وتعليقاتهم. وفي ختام المحاضرة شكر رئيس مكتب الرابطة بالأردن د.جميل بني عطا المحاضر المبيضين والحضور على تفاعلهم.

ماليزيا – كوالا لمبور – د.منجد بهجت:

في ظلال اليرموك على المسرح

أقامت رابطة الأدب الإسلامي العالمية بماليزيا في (٢٠١٩/١٢/١٣م)، عرضا لمسرحية إسلامية في حرم الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، حيث تم تمثيل مسرحية في ظلال اليرموك من تأليف الأديب الأستاذ الدكتور رفعت محمد زنجير. اشترك في تجسيد شخصيات المسرحية وإدارة المسرح أكثر من (٥٠) طالبا وطالبة من طلبة برنامج تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية، كلية التربية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بالتعاون مع أكاديمية اللغة العربية (EAG) الماليزية.

والنص الأصلي للمسرحية، سبق لمؤلفه أن حصل على جائزة أدبية، حين كان طالبا بجامعة أم القرى. ولطول المسرحية استغرق عرضها ساعتين، كما أن عرضا مصاحبا إلكترونيا باللغتين العربية والملايوية كان أثناء تمثيلها. ويحقق النشاط المسرحي أهدافا مهمة في الجامعة، فضلا عن المتعة الفنية المتحققة للمشاهدين، منها تدريب عدد كبير من الطلبة الممثلين، على مهارة الكلام، والنطق السليم للغة العربية الفصيحة، والتعامل المباشر مع اللغة الأدبية للغة العربية، وتعلمها.

وحضر المسرحية جمع غفير من المشاهدين قدر (٥٠٠) مشاهد من داخل الجامعة وخارجها. ومن ضيوف الشرف الذين حضروا المسرحية نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية بماليزيا أ.د.منجد مصطفى بهجت، الذي ألقى كلمة رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية الماليزية د.عبد الرحمن شيك في ختام المسرحية، مهنئا د.وان رسلي، أستاذ مادة الأدب الإسلامي المعاصر،

الذي يتبنى مشروع تعليم اللغة العربية من خلال المسرحية الهادفة في السنوات الخمس الماضية، كما هنّأ الطلاب المبدعين في المسرحية، وتحقيقهم لرسالة الأدب الإسلامي المعاصر.

وتقديم المسرحيات الإسلامية من البرامج الطلابية التي تحظى بشعبية كبيرة بين طلبة الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا. ونشير إلى أن النشاط السابق لطلاب قسم اللغة العربية بكلية التربية كان في (٢٠١٩/٤/٢٦م)، إذ قدموا مسرحية أميرة الأندلس لأحمد شوقي، بالتعاون مع مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في ماليزيا.

د.سعد أبو الرضا وداعاً

ودعت رابطة الأدب الإسلامي علماً من أعلامها في الأدب والنقد، هو (الأستاذ الدكتور سعد أبو الرضا محمد أبو الرضا) الذي وافاه الأجل بالقاهرة؛ يوم الأحد (١٤٤١/٦/١٥هـ، الموافق ٢٠٢٠/٢/٩م)، إثر مرض مفاجئ، تغمده الله بالرحمة والرضوان.

ولد د.سعد أبو الرضا في محافظة البحيرة في (١٠/١٠/ ١٩٣٨م)، ونال فيها تعليمه الأولي، ثم حصل على ليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من جامعة القاهرة؛ كلية دار العلوم (١٩٦٠م)، وعلى شهادة دراسات عليا في التربية وعلم النفس بجامعة عين شمس؛ كلية التربية (١٩٦١م)، ودبلوم اللغة العربية تخصص البلاغة والنقد والأدب المقارن، بجامعة القاهرة؛ كلية دار العلوم (١٩٦١م)، وعلى الماجستير في البلاغة والنقد والأدب المقارن تخصص البلاغة والنقد والأدب المقارن بجامعة القاهرة؛ كلية دار العلوم (١٩٧٥م)، وعلى الدكتوراه في البلاغة والنقد والأدب المقارن تخصص البلاغة والنقد والأدب المقارن بجامعة القاهرة؛ كلية دار العلوم (١٩٨٠م).

عمل د.سعد أبو الرضا رئيس قسم اللغة العربية بكلية آداب بنها (١٩٩٠م)، وأستاذاً بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم (١٩٩١م)، وأستاذاً بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (١٩٩٥م)، وأستاذاً مشاركاً بكلية التربية الأساسية بالكويت (١٩٨٩م).

أشرف على رسائل جامعية كثيرة في الماجستير والدكتوراه، وناقشها، وحضر ندوات ومؤتمرات علمية للرابطة وغيرها في مصر وخارجها وشارك فيها، وله عشرات المقالات في الصحف والمجلات العربية المتخصصة.

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤٠٨/٨/٢٥هـ، الموافق ١٩٨٨/٤/١٢م)، وعضو الهيئة الإدارية لمكتب البلاد العربية، ونائباً لرئيسه في سنوات عمله في الرياض بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعضو الهيئة الإدارية لجمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة (المكتب الإقليمي للرابطة بمصر)، ونائباً لرئيسه.

عمل مديراً للتحرير، ثم نائباً لرئيس التحرير في مجلة الأدب الإسلامي في الرياض (١٩٩٥- ٢٠٠٥م)، ثم عضو هيئة التحرير حتى (٢٠٢٠/٢/٩م)، وعضو اتحاد كتاب مصر بالقاهرة، وعضو نادي القصة بجمهورية مصر العربية، وعضو تحكيم في مسابقات رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو بالمجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية، لجنة الدراسات الأدبية واللغوية.

نال جائزة المدينة المنورة في الدراسات الإنسانية (أدب الطفل) (٢٠٠٣م). ونال جائزة نادي أبها الثقافي في أدب الطفل (٢٠٠٢م)، وله أكثر من عشرين كتاباً في النقد الأدبي والبلاغة، ودراسات في الشعر والمسرح والقصة والأدب المقارن وأدب الأطفال، وله عدة مجموعات قصصية. وللمزيد: انظر الموقع الإلكتروني رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

رحيل تيسير الفتياني

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ الدكتور تيسير محجوب الفتياني، عضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، الذي وافاه الأجل يوم السبت (١٤٤١/٣/١٢هـ، الموافق ٢٠١٩/١١/٩م)، في العاصمة الأردنية عمان.

والأستاذ الدكتور تيسير الفتياني من مواليد غزة عام ١٩٥١م، وهو عضو في مجلس النواب الأردني (٢٠٠٣-٢٠٠٧م)، يحمل شهادة البكالوريوس في الشريعة، وشهادة الدبلوم في التربية، ودرجة الماجستير في الدعوة والإعلام، وشهادة الدبلوم العالي في العقيدة والمذاهب المعاصرة, ودرجة الدكتوراه في الفلسفة، ودرجة الدكتواره في الدعوة.

وعمل الدكتور الفتياني مدرساً في المعهد الشرعي لوزارة الأوقاف الأردنية خلال المدة (١٩٧٤-١٩٧٦م)، ومدرسًا ومشرفًا تربويًا في مدارس الرياض الأهلية في السعودية من العام (١٩٧٦-٢٠٠٠م)، وأستاذاً جامعياً في جامعة العلوم التطبيقية الخاصة من العام (٢٠٠١-٢٠١٣م).

له العديد من الاهتمامات البحثية، والأنشطة الدعوية؛ في العقيدة الاسلامية والعقائد غير الاسلامية، وأصول وأساليب الدعوة والدعاة، والحوار، ومقارنة الأديان، وقصص الأنبياء، والتزكية والأخلاق والثقافة الاسلامية، والفرق والمذاهب المعاصرة. وحاضر د.تيسير الفتياني في المراكز الإسلامية والجمعيات الخيرية والمساجد بإيطاليا، وفرنسا.

كان د.تيسير الفتياني عضوًا في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وجمعية الأخوة الأردنية الفلسطينية، والمكتب التنفيذي لهيئة علماء فلسطين، وعضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية (١٤٣٠/٦/٢٥هـ، الموافق ٢٠٠٩/٦/١٨م)، وعضو الهيئة الإدارية للمكتب الإقليمي للرابطة في الأردن، وعضو في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وعضو في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، وعضو في الجمعية الأردنية للإعجاز في القرآن والسنة.

نسأل الله سبحانه وتعالى الرحمة الرضوان للفقيد، وأن يسكنه الفردوس الأعلى، و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

إصدارات جديدة

- المهارات الوظيفية للغة العربية، تأليف د.وليد إبراهيم قصاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، كرسي الشيخ عبدالعزيز التويجري، الطبعة الأولى، ١٤٤١هـ/٢٠١٩م، (٣٥٦) صفحة، و(٢٤×١٧).
- البلاغة العربية: علم البيان، والمعاني، والبديع، بأجزائه الثلاثة، د.وليد قصاب، ط١، من مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، مقاس (١٧/٢٤).
- **صدرت عن مؤسسة (أنس البناء للاستشارات التعليمية والتربوية)**، بالتعاون مع مؤسسة عبد اللطيف العيسى الخيرية؛ في الدمام بالسعودية، ثلاث روايات؛ ضمن سلسلة روايات للفتيات:

– رواية **(نور والآخرون)** تأليف الأديبة صورية مروشي، عضو الرابطة، من الجزائر. وجاءت في (١٢٠) صفحة، من القطع المتوسط (٢٠×١٤)، الطبعة الأولى، (١٤٤١هـ/٢٠١٩م). وقالت صورية مروشي في الإهداء: "لكل فتى وفتاة مقبل على الحياة بصخبها وأمواجها العاتية وما تأتي به من مفاجآت، إلى الآباء والأمهات، كي يرتفع البناء شامخا في السماء العالي، نبته في الأرض وثمره في الجنات.

– رواية **(همسات ليلى)**، للأديبة هجرة الصاوي.

– رواية **(الفريدة)** للأديبة بثينة عرابي.

- **ميثاق الشرف الدعوي؛ نحو بناء عمل دعوي معتدل**، الطبعة الثانية، تأليف الدكتور هشام الطالب، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، من القطع المتوسط (٢١×١٤)، (١١٥) صفحة، (د: ن.م).
- **دروس من حياتي**، صفحات من

السيرة الذاتية للدكتور أحمد توتونجي، وتجاربه في الحياة، نشر المؤلف، من القطع المتوسط (٢١×١٤)، عدد الصفحات (١١٥) صفحة، الطبعة الثانية، (د.م)، والكتاب يلقي الضوء على العمل الدعوي التطوعي بخاصة.

• **صفحات من حياتي**، تأليف إبراهيم بن محمد بن مشاري آل تويم الهاجري، كتاب في السيرة الذاتية، من نشر المؤلف، الطبعة الأولى، (١٤٤٠هـ/٢٠١٩م)، من القطع العادي (٢٤×١٧)، عدد الصفحات (١٤٨) صفحة، الرياض، السعودية.

• صدر للأستاذ خليل محمود الصمادي:

- رواية صلاح الدين وأسراب الحمام، دار المكتبي في دمشق والشارقة والقاهرة، ط١، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، من القطع المتوسط (٢١×١٧).
- معجم شعراء فلسطين في العصر الحديث والمعاصر، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، (٣٢٠) صفحة، و(٢٤×١٧)، وضم تراجم أكثر من (١٢٠٠) شاعر.

• بلاغة العرض المسرحي، مسرح المنطقة الشرقية نموذجا، د.حياة خطابي، مكتبة سلمى الثقافية، تطوان، المغرب، وبدعم من وزارة الثقافة، (١٨٦) صفحة، و(٢١×١٤).

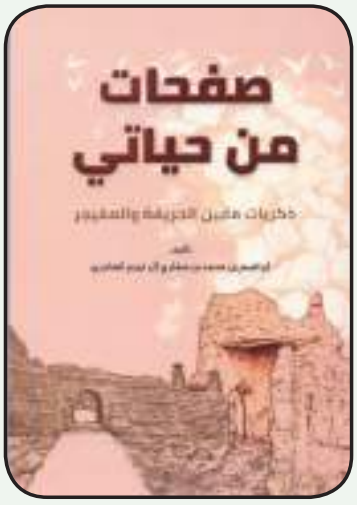

جليس صالح

ناصر عبد الله الخزيّم - السعودية

حديثُهُ ذابَا ... في الرُّوحِ وانسَابَا
يجيءُ كالبُشْرى ... عِطْراً وترحابَا
يَسلُّ أضواءً ... من منطِقٍ طابَا
فإن مضى أبقَى ... في النفسِ آرابَا
وإن أتى آبَتْ ... للنبْعِ إذ آبَا
يُصيِّرُ المَعْنَى ... واللفْظَ أتْرابَا
بِموجَزٍ يُبدي ... معناهُ إطنابَا
ويجعلُ الحلْوَى ... لقولِهِ بَابَا
فإنْ أَلِجْ أَقطِفْ ... نَجواهُ إعجابَا
وإن جَرى أغرِفْ ... عِلْمًا وآدابَا
ورأيُهُ يُحذي ... في الأرضِ طُلابَا
كأنَّه دوح ... تَبثُّ أسرابا
وإنْ بدا لَبْسٌ ... انداحَ إعرابَا
لمْ يغلُ في مدحٍ ... وليسَ عيَّابَا
بل يقصدُ المَرْمَى ... مُسنّنًا نابَا
ويصطفي صَيْدًا ... يسرُّ أصحابَا
لقيتُهُ شَدوًا ... يموجُ وثَّابَا
عَدلاً إذا عادى ... غيثًا إذا حابَى
عاتَبْتُهُ يومًا ... فَشَعَّ إعتَابَا
وردّني نوراً ... وكنتُ مرتابَا
يشُدّ في حِلْمٍ ... للحبّ أسبابَا
وإنْ علا لغوٌ ... في مجلسٍ غابَا
وحارَ في يأسٍ ... مَنْ كان مُغتابَا
وارتدَّ مكسوراً ... من كان كذّابَا
إذ قد رأى صُبحًا ... يُذِلُّ مَنْ خابَا
ما أطيبَ اللقيا ... بِصيّبٍ صابَا

أين نصيب المراهق من الإبداع الأدبي؟!

عمر فتال- المغرب

قد لا يحتاج المرء إلى اليسير من الجدال، عند الحديث عن نصيب الطفل من الإبداعات الفنية بصفة عامة، والأدبية بصفة خاصة. إذ نجده في وقت مبكر يستعذب الأنشودة الجميلة المدغدغة لأحاسيسه الغضة، كما نراه يحلق بجناحي الخيال أثناء متابعة فحوى الأقصوصة، أو الحكاية المصورة منها، أو المكتوبة، أو المنطوقة.

ونتابعه وهو يتفاعل التفاعل الكامل مع أداء الممثلين لأدوارهم داخل المسرحية القصيرة المعروضة على الخشبة، أو داخل المسلسل المشوق، سواء كانت شخصياته «كرتونية» أم حقيقية. ولا يمكن هنا إغفال أمر معارض الكتاب على اختلاف أحجامها؛ فهي لا تفتأ تخصص جناحا ضمن أجنحتها الأساسية، تضم رفوفه الأعمال الإبداعية الموجهة بشكل مشوق إلى الطفل، فيستقطب الجناح المعلوم على مدار أيام العرض أفواجاً وأفواجاً من الأطفال.

وفي موازاة مع ما سبق فإن مجلات بعينها قد قصرت اهتمامها على الطفل، وتوجهت إليه بشكل متواصل، ومواكب للحركة الإبداعية التي تضمن إقباله، واستمتاعه، وتذوقه؛ بل أكثر من كل ما تقدم فإن جوائز قيمة خصصت للأدباء المتخصصين في أدب الطفل، تفرد لتقديمها لقاءات خاصة.

كل ما تمت الإشارة إليه وغيره يؤكد بما لا يقبل المراء، أن الكبار يولون غاية الاهتمام للطفل في مجال الإبداع الأدبي منه على وجه الخصوص. غير أن اللافت للنظر حقاً هو أن الاهتمام المشار إليه آنفا، لا يساير نمو الطفل في مراحله التصاعدية إلى حين الإشراف على مرحلة النضج والرشد.

فما إن يقف الطفل أمام بوابة المراهقة خاصة، حتى تبدأ شعلة الإبداع الموجه إليه في هاته المرحلة الحساسة من مراحل عمره، تخبو وتخبو إلى درجة التلاشي!! يحدث هذا للأسف البالغ، والمراهق في قبضة تقلبات نفسية عارمة تستدعيها التحولات الفسيولوجية، فيجد نفسه من جهة معرضاً عن كل الإبداعات التي طالما أمتعته في سنوات طفولته المرحة، وقد بدأ يحس داخل أعماقه بأنه لم يعد ذاك الطفل الذي تخاطبه الأنشودة، أو الأقصوصة، أو الحكاية، أو المسرحية ذات الفصل الواحد، والشخصيات المعدودة، أو المسلسل "الكرتوني» الموغل في أعماق الخيال!.

في ظل تلك النظرة الشزراء إلى الإبداعات الموجهة إلى الأطفال، يجد نفسه من جهة ثانية مندفعا نحو الإبداع الموجه للكبار، في تعبير نفسي عن أنه اجتاز أسوار الطفولة إلى غير رجعة. سلوك مثل هذا -ولا شك- فيه تأثير جلي في نفسيته بالدرجة الأولى؛ لأن مضامين ورسائل تلك الأعمال الإبداعية فوق مداركه، كما أن الاضطرابات التي تمور بها دواخله في هذه المرحلة الانتقالية تجعله أكثر إقبالا على الإبداع الميال إلى التمرد والمغامرة، والاندفاع، وفي ذلك ما فيه من تأثير سلبي في نفسيته، وإساءة بالغة إلى تربيته وأخلاقه وتوجهاته.

إن الأمر يستدعي حقاً إيلاء مرحلة المراهقة كبير العناية في مجال الإبداع الأدبي الذي هو الرافد الفياض لباقي الفنون، وفي طليعتها السينما، والمسرح، والموسيقى؛ وهي الفنون التي تستقطب جموع المراهقين.

فلترفع الأقلام الجادة إذاً التحدي المسؤول لإبداع أعمال موجهة إلى المراهق على أن تكون مشبعة بالقيم النبيلة التي من شأنها تشكيل التوجهات الخيرة، وحاملة كل موصفات الفن الراقي الذي يخاطب الأحاسيس، والمشاعر بغية السمو بها نحو الأفضل، والأحسن.

ولتحتضن دور النشر هاتيك الأعمال، ولتتلقفها المكتبات، ولتعرضها المعارض، وليعرف بها الإعلام، وليقربها من المراهق، من أجل ملء مسؤول لكل فراغ في حياته قد تنتج عنه فراغات خطيرة يكون لها التأثير السلبي على شخصيته، وهو يشق الدرب نحو مرحلة الشباب؛ مرحلة الثبات والجد والعطاء ■